سبتمبر وأكتوبر ١٩٣٣ جمادى الاولى والثانية ١٣٥٢	المعرفة	الجزءان : ٥ و ٦ السنة الثالثة

مجلة — شهرية — جامعة

[مقررة فى وزارة المعارف العمومية]

لصاحبها وناشرها ومحررها المسئول

عبد العزيز الإسلامبولى

المجلد الخامس — شعارنا : اعرف نفسك بنفسك

خواطر المحرر

فيصل الأول

أحقاً مات فيصل؟ وصدقاً قضى عاهل العراق؟ إذن فقد تجاوزت الفجيعة مسالك العراق، وأخذت تمضى كالزوبعة العاصفة إلى مسالك الشرق كله. وأولئك الذين كانوا يستظلون بالروح السامية الفياضة التى انطوت عليها شخصية الملك الفقيد العظيم «فيصل»، وأولئك الذين استروحوا فى ظله أجزل نسمات الحرية، وأوفر ما ينطلق معها من عبير، وأولئك الذين شهدوا فيه المثل الأعلى لحياتهم الضاربة إلى سدة المجد، الداعية إلى استعادة السؤدد العربى الدابر، أولئك جميعاً قد سحوا سخين الدمع، وسكبوا قلوبهم حسرات حين فاجأهم الناعى بقوله إن «فيصل» قد ذهب إلى طريق الخلود، وإن اسمه قد هيأت له الأقدار صفحته من كتاب التاريخ العربى الضخم المفعم بأروع الجلائل، وأجل الذكريات.

وما والله يعز الدمع على واحد شبيه «فيصل»، أو يكون صورة من هذه الخصائص التى حركت الدنيا فى نشاط ودأب، ليعلم العالم أجمع أن العراق قد آلى على نفسه أن يستبق خطوات الأمم فى سبيل الحياة المكفولة السعادة. وما والله يهون الدمع على أحد إلا أن يكون واحداً من أولئك الذين لا يطيقون الحياة على هامة شعب مثقف موفور الدراية.

ونحمد الله أن الشرق كله قد افتقد أولئك الملوك القساة الغلاظ الشداد ، وأن الأقدار قد أتاحت له القادة الذين يبسطون على سمائه ظلاً من الرحمة، وظلا من العدالة، وظلا من الحياة المشرقة .

ومن هؤلاء كان « فيصل » ، الذى تألقت فى سماء العراق أضواؤه، فكانت تهدى شعبه فى الساعات العصيبة إلى مواقف الحكمة والسداد، وكانت تأخذ به راضية مغتبطة إلى طريق المجد.

وما نشك فى أن تاريخ الملك الراحل سيكون منار المؤرخين جيلاً بعد جيل ، ففيه شعب ذات شعب ، وأغصان ذات أفنان ، ولكننا نريد أن نذكر بالخير هذه الميزة الباقية التى لم يدركها النجاح المنشود ، والتى ألجأتها فجيعتنا الداوية إلى مصير لا ندرى من أمره شيئاً .

ونعنى بهذه الميزة دعوته - يرحمه الله - إلى « الوحدة العربية » فى كثير من الحماس، وفى كثير من الأمل ، حتى لقد كانت تشغله عن نفسه ، ولقد كانت باكورة أعماله بعد أن تجاوز بسفينة العراق أنواء البحر المهلكة وبلغ بها شاطىء النجاة ، ولقد ذهب من الدعوة إليها مذاهب أخلص المصلحين فى الدعوة لألصق مبادئه بوجدانه ونفسه ، وكانت صراحته الغالبة على كل طبيعة فيه تضع أمامه كثيراً من العقبات ، ولكنه مع ذلك لم يبخل على هذه العقبات بالجرأة الكافية لإزهاقها وإحالتها إلى أشتات شتيتة لا روح فيها ولا حياة .

إن هذه الدعوة الواسعة للوحدة العربية قد أتاحت للفقيد العظيم أن يكون الشخصية البارزة فى أرجاء الجزيرة ، وقد مكنت له أن يكون رجل الساعة حين تعصف الأمور بالعظماء ، وحين تضيق منهم الصدور . ويشهد الله أنه لم يكن الرجل الساعى إلى غير الخير ، ولم يكن الرجل الداعى إلى تنابذ أو خصام ، وإنما كانت نفسه جياشة بأعمق معانى الخير ، لا لشعبه وحده ، وإنما للشعوب العربية جميعاً .

وإن مصر التى كانت آخر بلد إسلامى شهد الفقيد العظيم فى أخريات أيامه حين سفره الأخير إلى أوروبا ، لتحتشد فى قلوب بنيها أفواج من الحزن والألم والحسرة والقطوب ، هى فى تفصيلها وفى جملتها مشاركة فياضة لعواطف العراق الشقيق المحزون .

وإن العروبة التى غمرها الفقيد العظيم بجليل عطفه لتبكى فيه الرجل الذى سعى إلى تزويدها بالحياة والمجد . وإن مصر العربية، وإن العروبة التى تكون القومية الواسعة لمن ينطق الضاد ، لتبكيان الفقيد العظيم ، وتقفان فى الوقت نفسه موقف الأمل فى خليفته « غازى » ، وهما يعلمان أنه غرس هذه اليد التى جلت صنائعها على أذهان العادين والحاسبين .

هما ترجوان له عزاء عن فجيعته ، وتوفيقاً فى قيادته ، وسداداً فى خطواته ، وهناءة فى حياته ، وعهداً طويل الأمد ، باقى الأثر ، حافلا بأشياء من أعمال والده العظيم . .

مات فيصل الأول . فليحى غازى الأول.

تعريف أدباء مصر

إلى الاقطار العربية

للأستاذ محمد الهراوى

كانت رحلة صديقنا الفاضل الأستاذ الهراوى إلى الأقطار الشقيقة : سوريا ولبنان وفلسطين، بمثابة سفارة أدبية رائعة، كما كانت وصلا للعلاقات التى تأثرت أخيراً بموت شاعرى مصر العظيمين : شوقى وحافظ ؛ فجاءت هذه الرحلة موفقة موثقة روابط الإخاء الأدبى ، وفرصة طيبة لرفع صوت الأدب فى صخب السياسة ، وزعازع الجو المادى ، الذى عصفت أعاصيره بكل شىء ، وطغى سيله على ما عداه من شئون الحياة .

على أن الرحلة لم تقتصر على تبادل التحايا الأدبية بين الشاعر وأدباء تلكم الأقطار ، بل تعدتها إلى تناول فنون شتى من النواحى الاجتماعية ، وضروب متعددة من ألوان الأحاديث العامة فى الشئون الأدبية ؛ ومن أهم تلك الأحاديث : توجيه صنوف من اللوم ، ورشاش من العتاب إلى مصر ، لتجاهلها شعراء الأقطار الشقيقة وأدباءها ، بقدر اهتمام جيراننا بأدبائنا وشعرائنا .

وقد عقد الأستاذ صاحب مجلة « العاصفة » ـ التى تصدر فى بيروت ـ حديثاً جامعاً مع الأستاذ الهراوى ، بدد فيه الثانى أثر اللوم والعتاب ، وقام بتعريف أدبائنا جميعاً إلى جيراننا . ونشرت « العاصفة » ذلك التعريف فى مقالين متتابعين ، الأول بتاريخ ١٣ أغسطس سنة ١٩٣٣ ، والثانى بتاريخ ٢٠ أغسطس سنة ١٩٣٣ .

ولما كانت « المعرفة » يسرها أن تحتفل بهذا النقد النزيه ، شاكرة لأدباء الأقطار الشقيقة عنايتهم بهذا الموضوع ؛ فقد رأت أن تنشر هذين المقالين ، على أن تقوم بنصيبها فى ذلك ، من تعريف أدباء الأقطار الشقيقة إلى مصر .

***

قالت مجلة « العاصفة » الغراء :

« مصر تجهلنا ونحن نعرفها بأسماء أعلامها فرداً فرداً ، وبأسماء مدنها وقراها مدينة مدينة وقرية قرية ، وبأسماء شوارعها شارعاً شارعاً ، فلا ينبغ فيها ذو موهبة وعلم ألا نكون قد تناقلنا اسمه وتحدثنا عن أدبه وحكمنا حكمنا عليه . وأحكامنا على نوابغ مصر طافحة بالإعجاب بإخواننا المصريين ، حتى كأننا قطعة من ذلك البلد المالك منا القلوب والشاخصة إليه الأبصار .

والغريب أن هذه العواطف المتقدة فى أفئدتنا نحو مصر لا تتقد فى قلوب المصريين نحونا، وإذا هى اتقدت فإن نارها تكاد تكون ضئيلة جداً ؛ فالمصريون فى شغل بأنفسهم عنا .

وربما كان أدباؤنا بأجمعهم مجهولين فى مصر ؛ فالمصرى يعرف أن هناك براً يقال له بر الشام، وأن فى بر الشام جبال لبنان وقلعة بعلبك ومدينة حلب ومدينة دمشق، ولكنه لا يكاد يذكر أحداً من شعرائه ولا من كتابه، وإذا ذكر قال: هناك جريدة تدعى بهذا الاسم وجريدة بهذا الاسم الآخر ، ووقف فيما يتذكره عند هذا الحد .

ولا ندرى الباعث على هذا الإهمال فى أفئدة المصريين ، فكأنه لا رابطة بيننا وبينهم ، وكأن لا صلة تجمع بين أدبائنا وأدبائهم، مع أن اللغة العربية هى الجامعة الكبرى ، ومع أن مصر على مسافة قريبة من لبنان وسوريا ، فما هى إلا بضعة عشرة ساعة حتى يتصل اللبنانى والسورى بمصر، ويتصل المصرى بسوريا ولبنان. وعندنا أن التعارف بين أدباء القطرين لابد منه ، ونرى أن تتولى إحدى الصحف المعروفة فى وادى النيل هذا التعارف، فتنشر الأحاديث عن أدباء سوريا ولبنان، كما تنشر الأحاديث عن أدباء القطر المصرى . فمن الواجب ألا يكون أبناء الأقطار العربية غرباء بعضهم عن بعض ، بل من الواجب ألا يكون أدباء اللغة العربية غرباء بعضهم عن بعض؛ فالأدب هو أعظم صلة تربط شعباً بشعب وقطراً بقطر .

نقول هذا فى صدد حديثنا عن الشاعر المصرى الفحل الأستاذ محمد الهراوى .

فالأستاذ الهراوى ــ وهو من شعراء البلاد العربية اللامعين، وممن أوتوا قوة وموهبة فى السبك والنظم ــ يرى من الضرورة أن تكون هناك جريدة أشبه بهمزة الوصل بين مصر وسائر الأقطار الناطقة بالضاد ؛ فتنقل إلى المصريين آثار الأدباء فى الأقطار العربية الأخرى، وتعرفهم إلى أدباء مصر ؛ ونحن نرى أن على كل جريدة مصرية أن تخصص بعض حقولها بآثار أدباء اللغة العربية غير المصريين .

وقد ود الأستاذ الهراوى أن تكون هناك سفارة أدبية فى كل قطر من الأقطار يلجأ إليها الأديب فترشده إلى إخوانه ورفاقه وزملائه، ونحن نشاطره هذا الرأى مع كل ما يتراءى فى تحقيقه من المشقة والعناء » .

رأى الهراوى فى الأدب :

ولا عجب ونحن نجلس إلى الأستاذ الهراوى إذا حدثناه عن الأدب ، لا عجب إذا سألناه عن حالة الأدب فى وادى النيل ، وعن رأيه فى الأدب العربى الجديد . والأستاذ الهراوى ــ وهو من المتعصبين لهذا الأدب العربى، ومن الراغبين فى رفع مستواه ــ أفاض فى الحديث وأفاد . وقد لاح لنا منه أنه راض كل الرضا عن حالة الأدب فى الزمن الحاضر، وأنه كثير التفاؤل بالمستقبل ؛ وعنده أن نهضة اليوم قاعدة وطيدة لنهضة أسمى سيرفع لواءها الجيل الجديد .

قال يبدى رأيه فى نهضة اليوم : « الأدب المصرى الحديث بخير ، ودائماً بخير ، وما هو غير حلقة فى تلك السلسلة التى يتألف منها الأدب العربى فى الأقطار العربية جمعاء . وعندى أن الأدب المصرى اليوم أشبه بالأدب العباسى يوم ازدهار الآداب فى بغداد ، وهذه العناصر الجديدة التى نفحه بها الغرب تساعده على النمو ، إذا عرف كيف يحافظ على أساوبه العربى المتين .

« وقد تقول لى : لماذا أقول الأدب المصرى ؟ وقد تسألنى : أيكون هناك أدب لبنانى وأدب سورى وأدب حجازى وأدب عراقى ؟ وجوابى : أن الأدب العربى واحد فى كل قطر من الأقطار العربية ، وكل ما هناك من فرق فيه ، ذلك الطابع المحلى ؛ فإن ابن لبنان يتغنى بلبنان وابن العراق بالعراق وابن مصر بمصر .

« والشعر — وهو موضع العناية عندى — يرتفع اليوم إلى مستوى يبعث على الرضا ، ولا يخفى على أحد أن الشعر كان بالأمس أشبه بالأنشودة تنتقل من فم إلى فم ، ومن لسان إلى لسان ، من الملك إلى سائق الأظعان ، فالجميع كانوا يحفظونه ، أما اليوم فلا يعنى به غير أصحاب الموهبة فيه ، وعندى أن هؤلاء ذوو فضل على الشعر ، فلولاهم لضاع هذا الفن الجميل .

« ومن سوء الحظ أنك لا تكاد تجد أديباً ولا شاعراً منقطعاً إلى خدمة الأدب وحده ، فالأدب لا يطعم — لسوء الحظ — خبزاً ، لذلك يضطر من يميل إليه إلى البحث عن عمل آخر يرتزق منه ! . . »

متى ينظم ؟

والأستاذ الهراوى رئيس حسابات دار الكتب المصرية ، فهو شاعر ويشتغل بالحسابات ؛ ولقد تعجبنا منه — وهو من عشاق القريض — كيف يجيد الحساب ويجمع بين الضدين ، فالشاعر وإن يكن يصرف ما لا ينصرف ، لا يحسن شيئاً مما يقال له علم الحساب .

ولكن الأستاذ الهراوى مضطر إلى العمل ، فالأدب لا يغنيه عن السعى إلى كسب الرزق ، وهذا العمل لا يمنعه من الانصراف إلى النظم فى أى ساعة أراد .

قلنا : كيف تنظم ؟ فقال : أنظم كلما بدا لى فراغ ، وكلما شعرت بميل إلى النظم ، وأنا لا أقعد للنظم ، ولا أعقد له جلسة خاصة ، ولكنها خواطر تتوارد على فأثبتها !

آثاره الأدبية :

قلنا : هل من ديوان شعر لكم ؟

قال : لدى من الشعر ما يكفى ديوانين ، على أنى لم أجمعه ، وكل ما جمعت كتب صغيرة للأطفال

تقرأ فى المعاهد، وهى تنطوى على أناشيد فى الأخلاق تقال فى البيت والشارع والمدرسة ، وتصف الأسرة والمخترعات الحديثة وأدب الطفولة ، وهى مسبوكة فى قالب عربى صميم .

رأيه فى التفاضل :

ومن رأى الأستاذ الهراوى ألا يكون هناك تفاضل فى الأدب، فالشعر هو الشعر، ولكل فيه رأيه، والشعراء فى اعتقاده يختلف بعضهم عن بعض فى اللون ، فقد يكون هذا لونه أبيض، وذلك لونه أسود ، والآخر لونه أحمر، وعلى الناس أن يختاروا اللون الذى يتفق وأذواقهم .

ومع كل مافى هذا الرأى من مجال وسيع للأخذ والرد، فإننا نثبته للأستاذ الهراوى كما أعلنه وصرح به ، على أننا ـ وهو صاحب هذا الرأى ـ وجدنا مشقة عظيمة فى استدراجه إلى الكلام على المنشئين المصريين أمثال: طه حسين وهيكل والعقاد والمازنى.

رأيه فى طه حسين:

قال يحدثنا عن طه حسين : « طه حسين رجل عظيم له أنصار ومحبون ، ولكن له آراء ربما لا أتفق وإياه فيها ، وهذا لا يمنعنى من تقدير فضله على الأدب. وأسلوبه واضح جلى ، ولكنه مطول لا يسعف القارىء المستعجل . والرجل مفكر لا يبالى أن يكون رأيه مخالفاً فى أحيان كثيرة للآراء الأخرى » .

رأيه فى الدكتور هيكل :

وقال عن الدكتور هيكل: « إنه لا يختلف عن الدكتور طه، فهو مفكر وكاتب لبق، وله أسلوب خاص وآراء قيمة ، على أن هذه الآراء لا تتفق أيضاً وآراء الكثيرين . وهذا مما لا يمنع احترامه، وقد يتفق والدكتور طه فى موضوعات كثيرة ، وقد يختلفان فى موضوعات كثيرة، وهما الآن على خلاف ! »

والعقاد ؟ .

قلنا: والأستاذ عباس محمود العقاد ؟ قال: « هو مفكر قدير، ومعتد برأيه، وديوانه الأخير « وحى الأربعين » محترم من حيث التفكير، جيد من حيث النظم ، وإذا كان هناك من لا يعجبه نظم العقاد، فإن هذا مرجعه إلى الذوق .وشعر العقاد كشعر لا يعاب ! »

والمازنى ؟

قلنا : والمازنى؟ قال : « إنه لكاتب لبق وشاعر مبين، إذا قعد للشعر، ولكنه يريد فى الشعر سمواً ربما لم يخلقه الله، وربما كان شعره لا يعجبه ! »

وسألنا الأستاذ الهراوي عن رأيه في شعراء هذه البلاد ، فوقف لا يبدي رأياً ، قائلا إنه معجب بهم جميعاً ، ولكن ذاكرته لا تحفظ الأسماء .

ونحن مع كل ما نشعر به من خيبة حين نسمع هذا الرأى ، نرى أن يقيم أدباء البلاد حفلة تكريمية للشاعر الفحل ، كي يتذكر - على الأقل - الذين يقولون كلمتهم فيه . وإن يكن نصيبنا من أدباء مصر الإهمال ، فلنبذل كل ما في وسعنا كي نثبت لهم وجودنا بما نخلقه من آثار أدبية ، وبما نظهره لهم من صداقة ومودة .

ونريد منهم أن يذكروا أن الأدباء إخوان ، وأن الأدباء المصريين ليس من مصلحتهم أن يغمضوا عيونهم عن أدباء الأقطار الأخرى ، فالأدب أسرة واحدة يجب أن يتعارف أفرادها سواء أكانوا على ضفاف النيل أو على ضفاف الفرات أو على ضفاف بردى أو في أعالي حنين .

نعود فنقول : من الواجب أن تقام الحفلة التكريمية للأستاذ الهراوي ، وعلى نقابة الصحف وجماعة الأدباء الاهتمام بإقامة هذه الحفلة ، ليدرك إخواننا المصريون أننا نقوم بواجبنا نحو الأدب والأدباء أكثر مما يقومون به هم .

نعلن هذا بكل أسف ، وبودنا لو نكون فيه مخطئين ؟

[البقية في العدد المقبل وفيها أسماء كثير من مصر شعراء وأدبائها وصورهم ونبذة عن كل منهم]

مجلة نور الاسلام

والأستاذ محمد فريد وجدى

مما يسر المسلمين عامة ، ورجال الدين بصفة خاصة ، أن نزف إليهم بشرى ذلك النبأ الجليل ، نبأ تعيين العلامة المحقق الأستاذ محمد فريد وجدى ، مديراً لإدارة مجلة « نور الإسلام » ومكتب ترجمتها ، ورئيساً لتحريرها .

وما نشك في أن هذا النبأ السار سيقابل بالفرح العميق ، والدعوة إلى توفيق الأستاذ وجدى ، في عمله الجديد ، الذى اكتسب به ورجال الأزهر خاصة ، قوة عظيمة ، وعنصراً قويا ، في الدفاع عن الدين ، والدعوة إلى طريقة الحق ، من طريق العقل والمنطق ، والعلم والفلسفة ، وتدعيمه بمستحدثات العلوم والمعارف ، ومتنوع الثقافات العالمية .

فهنيئاً للأزهر بهذا المدره العظيم ، وهنيئاً لمجلة « نور الإسلام » بهذا الذى سيبعثها بعد مواتها . ورجاؤنا أن يضيف الأستاذ إلى جهوده العلمية في المجلة جهوده الاخرى في سبيل تنظيمها وإدارة ماليتها إدارة حازمة ، ومراقبتها بدقة تقضى على كل ما يشاع ويذاع .

ونرجو ألا يحرم قراء « المعرفة » من بحوثه القيمة ، التى خصها بها منذ إنشائها .

آنى بيزانت ANNIE BESANT

ومذهب الثيوصوفية الحديثة

توفيت السيدة « آنى بيزانت » فى أواخر الشهر الماضى ؛ ولما كانت تعتبر بحق زعيمة الثيوصوفية الحديثة، وباعثة الفلسفة المشرقية فى أوربا. فقد أردنا أن نقدم بين يدى القراء مقالا عنها نلم فيه بتاريخ حياتها ، وتطورات مذهبها، راجعين إلى أوثق المصادر عنها ، ومنها مذكرات خاصة بنا ، يعلم القارىء منها كثيراً من أسرار هذه السيدة وخفايا مذهبها ؛ حصلنا عليها من مكاتبات خاصة بيننا وبين أحد أتباعها فى لندن منذ ست سنوات ، راجين أن يعلم القارىء أنا لا نوافق أصحاب هذا المذهب على مذهبهم ، لا تلميحاً ولا تصريحاً ، لأن الثيوصوفية — فى نظرنا — مذهب خاطىء ، لا يقوم على أسس علمية صحيحة ، ولا عقائد دينية سليمة ؛ وقد أدخلنا هذا المذهب ضمن المذاهب الحديثة الخاطئة ، فقلنا فى أول جزء من أجزاء « المعرفة » مايو سنة ١٩٣١ ص ٤ مانصه : « ..... وستكون « المعرفة » معولا هداما لبناء المذاهب المادية الإلحادية ، ومبضعاً دقيقاً لبتر الفاسد من مذهبى الثيوصوفية واستحضار الأرواح وغيرهما من المذاهب المنتشرة فى أوربا وأمريكا ».

وإنا لنذكر بصدد هذا أن الأستاذ الفيلسوف « René Guénon » وضع كتاباً بالفرنسية عنوانه « Le Théosophisme » فند فيه دعاوى هذا المذهب تفنيداً لا يدع لمستريب شكا، فليقرأه من شاء.

ولما كانت مهمتنا فى هذا المقال — خاصة — التأريخ البعيد عن الهوى والتعصب؛ فقد اكتفينا بسرد تاريخ حياتها الآن ، على أن نناقش مذهبها فى بحث آخر .

***

فى اليوم الأول من أكتوبر لسنة ١٨٤٧ ميلادية، ولدت الطفلة « آنى » صاحبة الترجمة، فاستقبلها أهل لندن بغير كثير اهتمام ، أو شديد عناية، كما استقبلها أبوها « وليم بيج وود » William page Wood ، ولا نقول أمها ، شأنها فى ذلك شأن كل المخلوقات التى لا يعرف أحد غير الله من أمر مستقبلها شيئاً .

وإنا لنتخيل حال هذه الصبية — بعد إذ حبت ونمت ودرجت حتى قطعت مرحلة المراهقة — فى شبه غيبوبة ويقظة معاً، واستسلام وشك معاً، وإيمان وحيرة فى آن واحد: إيمان بالله والمستقبل، وحيرة من شأن هذا العالم الذى هبطت إليه ؛ خصوصاً بعد محنتها الأولى بفقد والدها الذى أسلمها إلى أمها — وهى فى سن الخامسة من عمرها — عندما أسلم روحه فى عام ١٨٥٢ م.

والباحث فى مثل هذه الشئون لا يستطيع أن يترك هذا الدور دون أن يستقرأه ويستوحيه الكثير من أمر هذه الصبية التى خلفها والدها يتيمة إلا من أمها الأرلندية الأصل، والتى تمت إلى أسرة من أعرق الأسر حسباً ونسباً، وأقدمها تاريخاً وذكراً، وأبعدها نباهة صيت، وواسع شهرة.

نشأت الصبية فى حضن أمها - وهى على ما قدمنا من حسب ونسب - فتولتها بالتربية والتهذيب، وعنيت بأمر عقلها وجسمها أيما عناية، ثم قامت لها مقام المعلم، فأخذتها بدراسة اللغات الحديثة الحية، وأخصها الانجليزية لغتها الأصلية، فالفرنسية ثم الألمانية؛ واضعة نصب عينيها فى الوقت نفسه، تدريبها على العزف على الآلات الموسيقية، وركوب الخيل، والرياضة البدنية، غير ناسية تعليمها دروساً فى الأدب القديم والحديث، وفنوناً شتى من ألوانهما كالشعر والنثر والحكم والأمثال، وما يدخل فى هذه الضروب من قصص وسير وخلق واجتماع.

ويبدو لنا من قراءة سيرة أمها، أنها كانت شديدة التقوى، كثيرة الزهد فى الحياة وألوانها الفتانة، بعيدة عن التأثر بزخرفها الباطل وأمانيها الكاذبة، فأثرت هذه الروح فى ابنتها ذلك الأثر الذى سنراه عالقاً بحياتها فى جميع أدوارها، رغم ما تقلبت عليه فى تلك الأدوار من إيمان وإلحاد، ويقين وشك، واستسلام وجحود، وتصديق وإنكار.

***

لسنا نشك مطلقاً فى أن المترجم لها ورثت عقيدتها هذه عن أمها وراثة لا أثر للتكلف أو التعمل فيها، وإلا فبماذا نفسر عكوف أمها على تدريسها اللغات الحديثة، والفنون الجميلة من أدب وموسيقى، وعلوم حركية كالرياضة وركوب الخيل، دون أن تلقنها شيئاً من دينها وأسراره، أو تبثها فكرة من أفكارها المذهبية؟

قد يكون ذلك حدث فعلا، بل لا بد أن يحدث، لكننا ننكر أن تكون الأم وجهت عناية خاصة إلى إرشاد ابنتها إلى دينها، أو تلقينها شيئاً من أسرار مذهبها، فلم يبق لدينا إلا أن المترجم لها ورثت دينها عن أبويها وراثة، فنشأت على مانشأ عليه دون ما تفكير أو إعمال فكر ونظر.

يقول فيلسوف المعرة فى التدليل على صحة هذا الرأى القائل بالوراثة الدينية:

وينشأ ناشىء الفتيان منا على ما كان عوده أبوه
وما دان الفتى بحجا ولكن يعلمه التدين أقربوه
وطفل الفارسى له ولاة بأفعال التمجس دربوه

فإذا كان فى ظن إنسان شىء يدفعه الى استنكار ذلك الرأى أو الاسترابة فيه، فليذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يولد المرء على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه».

ندع هذا لنعود إلى سيرة المترجم لها، فنرى أن « آنى » لما أشرفت على ربيع العقد الثالث من حياتها، أو اختتمت عقدها الثانى بمعنى أدق، أى فى عام ١٨٦٧ م، تقدم إلى خطبتها القس « فرانك بيزانت Frank Besant »[1]، ولما كانت روحاهما ملتئمتين، أو لما كانت المسكينة تعتقد أن روحيهما متلائمتان بحكم ميلها إلى الحياة الدينية، بل إلى حياة الرهبنة ميلا شديداً أخذ عليها مسارب الحس، فقد أملت من هذا الزواج خيراً كثيراً، وراحت تتخيل سعادتها المقبلة فى الزيجة المستقبلة، وتحلم بأطياف المنى والآمال، منى الروح وآمال النفس، ولكن :

يقفون والفلك المحرك دائر ويقدرون فتضحك الأقدار

أجل، فقد شاء القدر العاتى — ولا شانىء لحكمه إلا الغافلون — أن يبدل نعيمها شقاء، وأحلامها آلاماً، وحظها تعاسة، وإيمانها كفراً، ويقينها شكا، واستسلامها تذمراً، فرزقها طفلا وطفلة، كانا معاً، أو كانت الثانية فى الغالب مبعث ذلك كله.

فقد مرضت الطفلة مرضاً شديداً أذهل عقل الأم، واستنفد كل ما وهبتها الطبيعة من قوة البنية، وسلامة الجسم، وشدة الشكيمة، وقوة العارضة، ففقدت أولئك جميعاً بسبب رعايتها ابنتها وقيامها بالسهر عليها طيلة مرضها كله.

بل فقدت أكثر من هذا كله، فقدت إيمانها الراسخ، وعقيدتها الثابتة، فراحت تنكر الخير والحق والجمال، وتجحد الدين والكتب المنزلة، وتزعم أن لا خير ولا شر، ولا رحمة ولا شفقة، وأن الله هو أصل الخير والشر، فكما يفعل الخير يفعل الشر، ولا دخل للشيطان فى هذا مطلقاً، ثم ذهبت إلى أبعد من هذا فى الجحود والإنكار والإرجاء والتعطيل، آخذة من مذاهب الشك الفلسفى بجانب، ومذاهب المعطلة المسلمين بجوانب.

وقد كانت فى محنتها هذه تسائل نفسها كثيراً، فتقول : ما ذنب هذه الطفلة الصغيرة وهى لما تبلغ سن الرشد؟ وماذا فعلت حتى تستحق هذا العذاب كله؟ وما معنى الخير والشر إذن؟ وأين هى رحمتك ومحبتك يا إلهى؟.

ويأبى الشيطان إلا أن يضلها، ويفتح لها مسالك الشر والوسواس، فتظل على تلك الحال فترة طويلة، حتى يقودها أخيراً إلى إنكار الأديان جميعاً، وجحد الكتب السماوية دون ما تخصيص أو استثناء.

إلا أن الله — جلت قدرته — وهو الذى يبلو خلقه ليعلم أيهم أحسن عملا، من عليها بالشفاء من مرضها، لكن ذلك لم يمنعها من السؤال تلو السؤال، والبحث والتنقيب فى أصول العقائد وموازنتها بعضها ببعض.

---

1 The Rev -Frank Besant (d.1917)- See: The Encycloqaèdia Britannica — Thirteenith Edition. New vols 1,P 366

وقد قالت فى تلك المحنة عبارة هامة يجب أن يفهمها كل والد ووالدة، وأن ينظرا إليها بيقظة وانتباه، تلك العبارة هى : « لو أن أمى علمتنى أن الله هو الذى يأتينا بالخير ، وأن الشيطان يأتينا بالشر ، لما زلت قدمى فى بئر الإلحاد ، ولا كبوت فى كبوة الشر » ؛ ومن هذا يعلم القارىء أن أمها لم تعن بتربية ابنتها تربية دينية بقدر ما عنيت بتربيتها اجتماعياً ؛ ثم فيه ما يؤيد استنتاجنا السابق .

والغريب فى أمر هذه السيدة ، أنها على إنكارها أصول الديانات ، وأسس العقائد فى تلك الفترة ، فإنها لم تنكر وجود الإله ! ! حتى كان ذلك مثار دهشة جميع من ناقشتهم من رجالات الأديان ، والتحمت بهم من علماء الفلسفة واللاهوت .

نترك الآن هذه المرأة المسكينة برهة ، لنعود إلى زوجها الذى كان يشفق عليها ويرثى لحالها ، ويخلص لها بعض الإخلاص ، ولا نقول كله . وحجتنا على هذا الرأى ما رأيناه من نكوصه على عقبيه ، ووقوفه مكتوف اليدين أمام قرار الحكومة الذى أصدرته فى سنة ١٨٧٣م قاضياً بتطليقه إياها وطردها من منزله ، فلم يلبث قليلا حتى طردها من منزله شر طردة خاوية الوفاض ، فلم تجد غير أمها تستعطفها وتسألها الرحمة والحنان .

ويظهر أن الفاقة كانت قد أخذت سبيلها إلى الأم ، فاضطرت « بيزانت » تحت تأثير العيش أن تعمل على كسب قوتها بيدها بنسخ الكتب والخدمة فى المستشفيات والقيام على تعهد الأطفال بالعناية والتربية والتمريض .

وكأن الله أراد أن يريح تلك الأم المسكينة ــ أم بيزانت ــ فتوفاها بعد حوار جدلى عنيف بينها وبين ابنتها ، كانت خاتمته التسليم لطقوس الكنيسة ، والانصياع لأوامر رجال الدين . ونذكر من هذا الحوار العلمى الفلسفى الطريف نبذاً منه ليكون القارىء فكرة عن المحيط الدينى لأوربا فى ذلك القرن .

قالت الأم وقد جاءها رسول الموت ، وأصبحت منه قاب قوسين أو أدنى :

آتى لى برجل من رجال الدين ليرنى قبل أن أسلم الروح ويلقننى الأسرار القدسية ، والمساتير الربانية ، ولا تنس نصيبك معى فى تلقى تلك الأسرار ، علها تهديك إلى صراط مستقيم .

فقالت بيزانت : إنى يا أماه براء مما تقولين ، وكم كنت أود أن أطيعك فيما ترينه ، لو لم أكن واثقة من بطلانه ، ففضلاً عن أنى لا أعتقد بتلك الأسرار ، فإنى لا أصدق أن واحداً من رجال الدين يرتضى حضورى وسماعى تلك الأسرار ، بله إشراكى معك فى تلقيها . ثم هل ترينى يا أماه جديرة بالنفاق من أجل إصرارك على اشتراكى فى تلقى هذه الأسرار ؟ إنى لا أرى غير ما أعتقد ، ولا أعتقد غير ما أرى ، وما كنت يوما لأرتضى النفاق الدينى أو يرتضينى له ، فدعى هذا يا أماه !

على أن الأم المريضة لم يؤثر فيها ذلك الحوار العنيف ، فأصرت على طلب القسيس ، ثم أصرت على إشراك ابنتها معها فى تلقى الأسرار ؛ وتحت تأثير الشفقة ؛ ثم تحت عامل الحب ، وتأثير البنوة ، رضيت « بيزانت » تحقيق رغبة الوالدة ، ومن ثم ذهبت إلى أحد كبار رجال الدين تستدعيه إلى ماذهبت إليه من أجله فرفض ، ثم ذهبت إلى ثان فرفض ، وأخيرا راحت إلى ثالث

فرفض ؛ وهنا تثور بيزانت ثورتها العنيفة على الدين من جديد ، بعد أن كانت قد هدأت قليلا فى فترة مرض أمها الأخير .

وجدير بنا أن ننبه هنا إلى أن ذلك الأثر السىء الذى يتركه رجال الدين الجامدون فى أذهان الشعب ، فى مثل تلك الحال ، يضر العقيدة ذاتها قبل أن يضرهم ، ويسىء إليهم قبل أن يسىء إلى غيرهم ؛ ثم هو آخر الأمر قاض على سلطانهم ، هادم تعصبهم ، داك بنيانهم .

ومحال على الدين ـ أيا كان نوعه ـ أن يدعو إلى التعصب والجمود المرذولين ، بل هو على العكس أوسع من باب الرحمة ، وأطلق من ساحة الغفران ، ليسع أبناءه أجمعين ، ثم هو يأخذ باللين ما لا يؤخذ بالشدة .

وها هى ذى « بيزانت » التى نراها ثائرة جاحدة منكرة ، تعود إلى الإيمان واليقين فى فترة قصيرة ، بل أقل فى من فترة ، هى برهة مسرفة فى الصغر .

ولا دهشة أو عجب من ذلك ، فإن « بيزانت » بعد أن يئست ممن قابلتهم ، خطر لها أن تذهب إلى كبيرهم ، وكان رجلا واسع الحيلة ، وقاد الذهن ، موفور العقل ، فأخذها بالحلم واللين ، وسايرها بالعقل والمنطق ، والحكمة والموعظة ، حتى استل ما فى نفسها من سخائم على الدين ، ونزع ما فى صدرها من حقد وغل على رجاله . وإنه لمن الخير أن نلخص لك تلك المحاورة التى دارت بين الاثنين لعل فيها عبرة وعظة .

بعد أن أفضت « بيزانت » إلى الرجل بجملة الأمر ، وأطلعته على ما يساورها من شك وحيرة ، وما قابلها به سابقوه من مرءوسيه ، قال لها :

إن كل ما ذكرته ليس بالأمر الذى يزعزع إيمانك ، أو ينقص من عقيدتك ؛ فما دمت تجدين فى بحث الحق ، وتطلبين المعرفة فى إخلاص ، فلا خوف ، ولا ضير . خففى من سورة نفسك يا بنيتى ، واعلمى أنك فى النهاية مؤمنة . إن الذى يبحث عن الله يجده ، ويهش له ، ويطمئن إليه . وحسبك هذا عقيدة ودينا ، وما كان الدين يوما ليقف حائلا دون أن ينظر الإنسان ويبحث ؛ ولكن لما كانت طرقه عملية بحتة ، فقد ألزمنا القيام بالواجب نحو الله والناس أجمعين ، لهذا لا نرى مانعا من إشراكك معنا فى الأسرار ، لأنك جديرة بها ، كما هى جديرة بك ؛ ولأن الحكمة منها إنما هى الوحدة والاتحاد ، لا التفرقة والتشتيت .

وما انتهى الرجل من حديثه ، حتى قامت « بيزانت » شاكرة له هذه الروح السامية ، معتذرة عما سلف منها ، مصطحبته إلى دار أمها ، حيث قام بتلقين الأسرار ، ومن ثم انتقلت الأم إلى العالم الذى لا شر فيه ولا ألم ، ولا حزن ولا كدر .

والآن فلنضرب صفحا عن قص تاريخها بعد هذه الفترة ، لكثرة ما فيها من تشعبات لا يضر إغفالها الموضوع شيئا ، ونعود إلى عام ١٨٧٥ م ، وهو العام الذى أخذ نجم « بيزانت » فى التألق فى كبد سماء الفلسفة .

وموعدنا بذلك العدد المقبل إن شاء الله .

محمـــــــد

صلى الله عليه وسلم

بقلم الأستاذ عبد العزيز البشرى

استدراك

أرجو أن تقرأ آخر كلمة فى مقال العدد الماضى هكذا . « أما الأنبياء عليهم السلام ، فقد طهرهم الله تعالى ، وكف كل رجس عنهم ، من يوم سواهم إلى يوم قبض من قبض منهم » .

***

هذا إلى أن كل رسول منهم إنما جاء بشريعة أو دعا إلى شريعة تدخل فيها عبادة الله وإقامة حدوده فيما يدور بين الناس من المعاملات ، وما ينبغى لهم من جلائل الأخلاق وكرائم الآداب . ولم يسمع قط أن نبياً أحل نفسه من شىء من هذا ، أو ترخص فيه سواء فيما بينه وبين نفسه ، أو فيما بينه وبين الناس . بل لقد أخذوا أنفسهم بغاياتها ، وبالغوا فى هذا إلى الحد الذى يعتبر إسرافا بالإضافة إلى غيرهم . بل لقد اختصهم الله بألوان من التكاليف أقال منها سائر خلقه ، لما فيها من المشقة وشدة العسر عليهم . وسيرد عليك شىء من هذا فى معرض أساليب النبى وخلاله صلى الله عليه وسلم . وبهذا يمتاز الأنبياء بما لا يتسق — فى العادة — لغيرهم من مطاوعة الفعل للاعتقاد ، ومطابقة العلم للعمل . وذلك فى أقصى الحدود وأوفى الغايات .

ولقد تعلم أن كثيراً من الدعاة من يكتمون عن الجمهرة بعض ما يعرفون أن فيه الحق والخير والنفع ، خشية تأليب الدهماء عليهم ، وإرسال التهم إليهم . وقد يقع هذا فى دعوة تتصل بالأخلاق ، أو بالسياسة ، أو بالأدب ، أو بالاقتصاد ، أو بأى شأن آخر من شئون الاجتماع .

أما الرسل ، عليهم السلام ، فأنت خبير بأنهم مبعوثون بهدم أديان أممهم ، وإزعاجهم عن معتقداتهم ، وتزييف أفهامهم ، وتسفيه أحلامهم ، ودعوتهم إلى تغيير ما رسخ من أخلاقهم ، وما استمكن من طباعهم ، فما قصروا فى شىء من هذا ، ولا فتروا من أول يوم دونه . إذ هم أفذاذ لا حول لهم ، ولا سلطان يعصمهم ، ولا مال يستدرج إليهم ويستألف النادين عنهم . وهم

إنما يبعثون فى أقوام شداد غلاظ ، لقد تحجرت قلوبهم بطول ما تمادوا فى البغى ، واسترسلوا فى الضلالة والغى . لهذا كان من شرائط الرسالة التبليغ والأمانة . على هذا يتم لرسل الله مطابقة العلم للعمل ، ومظاهرة الدعوة لهما جميعاً ، وذلك إلى غاية الغاية ، وإلى أقصى حدود النهاية.

بعثة النبى صلى الله عليه وسلم

تعلم أن بعثة كل من سلف من الرسل إنما كانت مقصورة على قوم بأعيانهم ، فهى محدودة الزمان ، محصورة المكان . وهى إذا تظاهرت كلها على عبادة الله وحده والإيمان برسوله ، فلقد اختلفت كيفياتها فيما يلى ذلك ؛ فمنها ما جاء بشريعة تبين للناس طرق عباداتهم وصدراً مما يتعلق بطروق معاملاتهم وسائر أسبابهم . ومنها ما جاء للدعوة إلى شرع من خلا من الرسل وزجر الناس عما تخلقوا به من أخلاق قبيحة ، وما ألفوا من عادات كريهة .

أما بعثة محمد، صلى الله عليه وسلم ، وشرّف وكرّم ، وبجّل وعظّم ، فلا يحدها زمان ، ولا يحصرها مكان ، ولا يجوزها سبب ، ولا يند عنها غاية . فلقد أرسل للناس كافة فى جميع أقطار الأرض ، يخاطبهم برسالته جيلاً بعد جيل ، ويدعوهم إلى شريعته قبيلاً إثر قبيل . قال تعالى : « قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً » ، وقال جل مجده : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » . وقال صلى الله عليه وسلم : « بعثت إلى الأحمر والأسود » . وذلك بأنه صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء . قال تعالى : « وخاتم النبيين » ، قال صلى الله عليه وسلم : « لا نبى بعدى » ؛ ولهذا اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون رسالته جامعة ، وأن تكون شريعته موفية على الغاية من الكمال ، سواء فى أحكام العبادات والمعاملات ، أو فى الأخلاق والآداب ، وغير ذلك مما يتصل بالأسباب الدائرة بين الناس ، وعلى هذا استوت شريعته ، صلى الله عليه وسلم ، فى أصول أربعة : الكتاب . قال تعالى : « مافرطنا فى الكتاب من شىء » ؛ والمعنى : من أمهات أصول الدين . والسنة ، وهى قول النبى وفعله . والإجماع إجماع صحابته ، وهم أدنى الخلق إليه وأعلمهم بمراميه وأخبرهم بمداخل شريعته . ثم القياس ، وهو إطلاق حكم ماورد فيه نص على مالم يرد فيه لاشتراكهما فى علة ظاهرة .

وإذ علمت أن الرسول ينبغى ، بالبداهة ، أن يكون مثلاً أعلى لكل مايبعث به إلى الناس ، فضلاً عن أن فعله حتى إشارته تعتبر أصلاً من أصول الدين ، قدرت مبلغ ماتحلى به النبى صلى الله عليه وسلم من جليل الأخلاق ، وما تجلى فيه من كريم السجايا وشريف الخلال ، ولا يذهب عنك فى هذا المقام قوله صلى الله عليه : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . وناهيك بمن يزكيه ربه فى هذا الباب بقوله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم » : وناهيك بمن يكون مربيه ومؤدبه هو الله سبحانه وتعالى . قال صلى الله عليه وسلم : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

وبعد فنحن إنما عقدنا هذا الباب للكلام فى صفات النبى صلى الله عليه وسلم ، وإذا كنا قد أطلنا فى التمهيد بين يدى هذا الغرض، فإن تلك المقدمات لاتخلو من أثر بعيد أو قريب فيما نحن بسبيله .

هذا ، وينبغى أن تعلم أن هذا المقام لايتسع ، بالضرورة ، لعرض كل شمائله ، وتجلية جميع فضائله ، واستقصاء جملة الشواهد عليها ، والآثار المثبتة لها ؛ على أن هذا جميعه مبسوط فى كتب السير ؛ فليطلبه فيها من يريد تقصيه . وإنما نجتزىء هنا بإيراد صدر من أمهات الفضائل وعرض شواهدها ، مستمدين من كتاب الله تعالى ، ومما أثر عن أوثق الرواة وأصدقهم من أهله الكرام ، وصحبه العظام ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

شمائل النبى صلى الله عليه وسلم

إن أصول الفضائل ، خلقية كانت أو مكتسبة، تدور فى : (١) وفور العقل وذكاء الجنان ـ (٢) فصاحة اللسان وبراعة المنطق ـ (٣) الشجاعة والنجدة ـ (٤) الجود والكرم ـ (٥) العدل والأمانة والعفة ـ (٦) الحلم والصبر والعفو ـ (٧) الحياء والإغضاء ـ (٨) الأدب والتواضع وحسن المعاشرة ـ (٩) الشفقة والرحمة ـ (١٠) الوفاء وصدق العهد وصلة الرحم ـ (١١) الوقار ـ (١٢) الزهد .

وفور العقل وذكاء الجنان :

أما عقله ، صلى الله عليه وسلم ، وذكاء لبه ، وصدق رأيه ، وعظيم حكمته ؛ فلقد كان من ذلك كله فى موضع لايلحقه غيره ، ولا يتعلق به سواه . قال تعالى : « وأنزلنا عليك الكتاب والحكمة » . وحسبه ، بعد هذا ، ماتظاهرات عليه الكافة من وفور عقله ، وذكاء جنانه ، وقوة حواسه ، وصدق رأيه ، وصحة تدبيره ، وحسن قيامه على سياسة الأنام ، وتقرير الشرائع ، وتأصيل أصول الأخلاق ، وتقعيد قواعد الآداب ، إلى مافى كلامه ، صلى الله عليه وسلم ، من المعانى البارعة ، والحكم الرائعة ، حتى لتتخذ كلمته فى أى سبب من الأسباب أصلاً يبنى العلماء علومهم عليه ، ويردون قضاياها إليه ، وإلى علمه بسير الأولين ، وفقهه فى شرائع الرسل الخالين ، وإحاطته بأمور الدنيا ، وإصابته علوم الحياة ، كل ذلك دون سابق تعليم ، ولا مدارسة ولا تدريب ولا شىء مما يفتق العقل ويفسح فى الملكة ، ويغرس العلم ، ويقوم الفهم ؛ بل لقد كان صلى الله عليه وسلم أمياً لا يكتب ولا يقرأ ، ولا يعرف أنه جلس إلى معلم ، أو شق له كتاب ، فاذا أردت أن تتقرى سبب هذا وتعرف علته ، فاطلبه فى قول الله تعالى : « وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً » .

فصاحة اللسان وبراعة المنطق :

أما فصاحة لفظه وبراعة منطقه ، فلقد تعلم أن العرب كانوا أصحاب فصاحة ، وأهل لطاقة وذرابة ، وقوة بديهة، وبراعة ارتجال . يتبارون فى هذا ويتكاثرون به، ويعقدون الأسواق الجامعة له طلباً للسبق ورغبة فى التبريز ، حتى إن المعجزة الجلى التى أمد الله بها محمداً صلى الله عليه وسلم وأيد بها دعوته على وجه الزمان إنما جاءت من هذه الناحية وتوجهت على هذا الوجه، وهى القرآن الكريم الذى عاجز القوم فى أساليب فصاحاتهم ، وتحداهم فى منازع بلاغاتهم «فأتوا بعشر سور مثله مفتريات». «فأتوا بسورة من مثله إن كنتم صادقين» ،فنكلوا وانخذلوا، وعى بذلك خطباؤهم ، وخرست ألسنة مقاويلهم ، حتى لقد آثروا أن يعارضوا السيف دون معارضته ، وحتى لم يبالوا فى هذا إعلان العجز والكشف عن السوأة « وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون » .

ولا يذهب عن فطنتك أن رسولاً يبعث وحجته الكبرى على صدق دعوته ومعجزته العظمى لتأييد رسالته هى الفصاحة ، لا ينبغى أن يلحقه الحصر ، أو تحتبس لسانه اللكنة ؛ فضلاً عن أن هذا إذا كان دلالة نقص معيب عند جميع الأمم فهو عند العرب أعيب ، وهو عندهم أزرى وأقبح ، وعلى هذا تعلم أن الرسول العربى ينبغى أن يكون من فصاحة اللسان وبراعة المنطق بالمكان الرفيع ، بل ينبغى أن يكون أفصح الناس جميعاً ، ولقد كان كذلك صلى الله عليه وسلم.

وهنا يجب علينا أن ننبه إلى أن كون النبى صلى الله عليه وسلم من فصاحة اللسان وبلاغة المنطق بهذا الموضع لا يقدح ولا يمكن أن يقدح فى تنزيل القرآن الكريم . فإن بلاغته مهما علت على بلاغة قومه فهى منها، وهى موصولة بها ، وهى جارية على أسلوبها ، وكل ما يبدو للناقد البصير من الفروق فى هذا الباب مثل ما يبدو له بين شاعر وشاعر ، أو بين كاتب وكاتب، أما بلاغة القرآن فشىء آخر . وحسبك أن تعرف أنه من كلام الله لا من كلام البشر ، كلام يشعر أبلغ البلغاء أنه مما يفوق طاقة الإنسان وتعجز عن محاكاته الطبيعة البشرية ؛ لهذا لم يجرءوا على هذا ولم يتكلفوه ، على شدة عنادهم وفرط إلحاحهم ، ومن تكلف ذلك منهم فقد أسف وسقط ، وأتى بالغث البارد المضحك من الكلام .

ونعود بعد هذا إلى فصاحته صلى الله عليه وسلم ، ولقد قال له أصحابه : ما رأينا الذى هو افصح منك ! فقال : « وما يمنعنى ؟ وإنما أنزل القرآن بلسانى : لسان عربى مبين » ، وقال مرة أخرى : « بيد أنى من قريش ، ونشأت فى بنى سعد» . قال بعض العلماء فى توجيه ذلك: لقد جمع له بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ، ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها .

وقالت أم معبد فى وصفها له: حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظمن.

ومن جوامع كلمه، ومأثور حكمه: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. المسلمون تتكافؤ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم. الناس كأسنان المشط، والمرء مع من أحب، ولا خير فى صحبة من لا يرى لك ما ترى له. الناس معادن. ما هلك أمرؤ عرف قدره. والمستشار مؤتمن، وهو بالخيار ما لم يتكلم. ورحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو سكت فسلم. وإن أحبكم إلى وأقربكم منى مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، الموطئون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون. اتق الله حيث كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن. خير الأمور أوساطها. أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما. الظلم ظلمات يوم القيامة. حمى الوطيس. مات حتف أنفه. لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين. السعيد من وعظ بغيره.

الشجاعة والنجدة:

كان صلى الله عليه وسلم من الشجاعة والنجدة بالمكان الذى لا يلحق، حتى لقد قالوا: إنه ما من شجاع إلا وقد أحصيت له فرة، وحفظت عنه جولة، سواه صلى الله عليه وسلم. سأل رجل البراء بن عازب رضى الله عنه: أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لكن رسول الله صلى الله عليه لم يفر. ثم قال: لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان آخذ بلجامها، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب. قيل: فما رؤى يومئذ أحد كان أشد منه. وروى مسلم عن العباس رضى الله عنه، قال: فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار. وعن على رضى الله عنه: إنا كنا إذا حمى البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً. وعن أنس بن مالك رضى الله عنه: كان النبى، صلى الله عليه وسلم، أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس: لقد فزع أهل المدينة ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً قد سبقهم إلى الصوت، واستبرأ الخبر على فرس لأبى طلحة عرى والسيف فى عنقه، وهو يقول: لن تراعوا. وعن عمران بن حصين رضى الله عنه: ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان أول من يضرب. ولما رآه أبى بن خلف يوم أحد وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا. وقد كان يقول للنبى صلى الله عليه وسلم — حين افتدى يوم

بدر — : عندي فرس أعلفها كل يوم فرقاً من ذرة أقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رآه يوم أحد شد أبي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هكذا ! أى خلوا طريقه ، وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض ، ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً ، وقيل بل كسر ضلعاً من أضلاعه ، فرجع إلى قريش يقول . قتلنى محمد ، وهم يقولون لا بأس بك . فقال . لو كان مابى بجميع الناس لقتلهم ! أليس قد قال أنا أقتلك ؟ والله لو بصق على لقتلنى . ومات بسرف فى قفول القوم إلى مكة .

الجود والكرم :

لقد بلغ النبى ، صلى الله عليه وسلم ، من هذا مالم يبلغ ، ونال منه ما لا ينال . عن ابن عباس رضى الله عنهما : كان النبى صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير ، وأجود ما كان فى شهر رمضان ، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة . وعن جابر رضى الله عنه : ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال لا . وعن أنس رضى الله عنه : أن رجلا سأله فأعطاه غنما بين جبلين ، فرجع إلى بلده وقال : أسلموا فإن محمداً يعطى عطاء من لا يخشى فاقة . وأعطى غير واحد مائة من الإبل . وأعطى صفوان مائة ، ثم مائة ، ثم مائة . ولقد رد على هوازن سباياها ، وكانوا ستة آلاف . وحمل إليه تسعون ألف درهم ، فوضعت على حصير ، ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلاً حتى فرغ منها . وجاءه رجل فسأله ، فقال . ماعندى شيء ؛ ولكن ابتع على فاذا جاءنا شيء قضيناه . وعن معوذ بن عفراء رضى الله عنه . أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب (يريد طبقاً) وأجر من زغب (يريد قثاء) ، فأعطانى ملء كفه حلياً وذهباً . وعن أنس رضى الله عنه : كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لغد .

وأخبار بره وجوده وكرمه مما لا يتسع لاستقصائها مثل هذا المقام . ومهما يكن من شيء فإن مما يزيد فى علو هذه الشيم ، ويضاعف من قدر هذا البر والكرم ، أن يقع ممن يعيش عيش أقل الناس مالاً ، وأرق المساكين حالاً . وناهيك بمن لم يشبع يومين متتاليين حتى من خبز الشعير . وسيجىء هذا فى الكلام على قناعته وزهده صلى الله عليه وسلم . م ؟

عبد العزيز البشرى

حنـــــــين

للأستاذ على الجارم

طائر يشـدو على فنن   جدد الذكرى لذى شجن
قام والأكوان صامتة   ونسيم الصبح فى وهن
هاج فى نفسى وقد هدأت   لوعة لولاه لم تكن
هزه الشوق إلى سكن   فبكى للأهل والسكن
ويك لاتجزع لنائبـة   مالطير الجو من وطن
قد يراك الصبح فى حلب   ويراك الليـل فى عدن
أنت فى خضراء ضاحـكة   من بكاء العارض الهتن
أنت فى دوح مهدلة   تارك غصناً إلى غصن
عابث بالزهر مغتبط   ناعم فى الحل والظعن
فى يديك الريح ترسلها   كيفما تهوى بلا رسـن
يا سليمان الزمان ! أفق   ليس للـذات من ثمن
وابعث الألحان مطربة   يا حياة العين والأذن
غن بالدنيا وزينتهـا   ونظام الكون والسنن
وبقيعان هبطت بهـا   وبما شاهدت من مدن
وبأزهار الصباح وقد   نهضت من غفوة الوسن
وبقلب شـفه وله   حافظ للعهد لم يخن
كل شيء فى الدنا حسن   أى شيء ليس بالحسن
خالق الأكوان كالؤها   واسع الإحسان والمنن

***

كان لى إلف فأبعده   قدر عنى وأبعدنى
أنا مـدّ الدهر أذكره   وهو مد الدهر يذكرنى
قد بنينا العش من مهج   غسلت من حوبة الدرن
من لدنه الود أخلصه   والوفا والطهر من لدنى
كانت الأطيار تحسده   جنة المأوى وتحسدنى

وظننا أن نعيش به ... عيشة المستعصم الأمن
فرمت كف الزمان به ... فكأن العيش لم يكن
طار من حولى وخلفنى ... للجوى والبث والحزن
ونأى عنى وما فتئت ... نازعات الشوق تطرقنى
ومضى والوجد يسبقه ... ودموع العين تسبقنى
إن تزر ياطير دوحته ... بين زهر ناضر وجنى
ورأيت «النهر» مضطرباً ... واثباً كالصافن الأرن
عبثت ريح الشمال به ... فطغى غيظاً على السفن
فانشد الأطيار واحدها ... فى الحلى والحسن والجدن
وتريث فى المقال له ... قد يكون الموت فى اللسن
صف له ياطير مالقيت ... مهجتى فى الحب من غبن
صف له عيناً مقرحة ... لأبى الدمع لم تصن
صف له روحاً معذبة ... ضاق عن آلامها بدنى
ياخليلى ، والهوى إحن ، ... لا رماك الله بالإحن
إن رأيت العين ناعسة ... فترقب يقظة الفتن
أو رأيت القد فى ميس ... فاتخذ ماشئت من جنن
قد نعمنا بالهوى زمناً ... وشقينا آخر الزمن

علی الجارم

طرائف لغوية

للأستاذ فؤاد حسنين على
ليسانسيه فى الأدب العربى واللغات السامية
وعضو بعثة الجامعة المصرية بألمانيا

أبلة

كلمة شائعة فى اللغة العربية المصرية وهى سامية الأصل ، وإن كنت لا أعرفها فى اللغة الفصيحة . فهذه اللفظة أكدية : بلتى bélti ،ومعناها سيدتى (الهمزة فى اللهجة الحديثة زائدة ، ومثال ذلك كثير ،فنلاحظ عوضاً عن يدى يقال ايدى ، والاستعمالين : براهيم وابراهيم . . .) ، وبليتنى belitni بمعنى سيدتنا فى اللغة الدينية، ثم انتقل هذا اللفظ إلى الآرامية : بلتى : أو : بلتينى ، ثم إلى اليونانية : بلتيس beltis ، ومنها إلى بعض اللغات الأوربية الحديثة للتعبير عن (سيدتنا) مريم ، ففى الإيطالية نجد ذلك المعنى ترجم بكلمة Madonna. وفى الفرنساوية Notre-dame وهلم جراً .

ابليس

كلمة أجنبية دخيلة فى اللغة العربية ، وهى يونانية الأصل: ديابولوس Diabolos ،ثم انتقلت إلى اللغة الآرامية، ثم ظن فيما بعد أن المقطع : دى di هو ضمير الإضافة فى الآرامية لحذف، وتبقى لفظ إبليس .

ابن آدم

تعبير سامى قديم جداً فى اللغات السامية. ويرجع إلى الأكدية،إذ ورد فيها : مار آملى، mâr amêli ،ومعنى هذه العبارة : ابن الانسان ، وخاصة الانسان الحر الشريف ، ومنها انتقل هذا التعبير–على ترجيح معظم العلماء –إلى العبرية، إذ جاء فيها : بن آدم bân-âdâm. ومنها إلى الآرامية برناشو bar--(ê)nâshû ثم إلى الحبشية: أولاد آدم ، وإلى العربية : ابن آدم .

آسي

لفظ اشتركت فيه الشومارية (لغة سكان بابل وأشور قبل نزوح الأخيرين إليها)، والمصرية

القديمة ، فهو فى الأولى : أزو azu وفى الثانية : سيه . ومعناه فى اللغتين : المخبر عن الماء .

ونلاحظ فى الصعيد،وخاصة فى أسيوط حتى اليوم،أن السقاء عند ما ينادى على الماء يقول. سيه sēh ،وقديماً كان المبشر بالماء كالمبشر بالحياة.ومن إحدى هاتين اللغتين (؟) استعار الأكديون هذا اللفظ : أسو asu بمعنى طبيب، وعنهم أخذه الآراميون . فلفظ آسيا âsyâ معناه طبيب . ومن الصيغة الاسمية اشتق الفعل : آسى âssi : ومعناه يشفى،وآسيوتا àsyûtâ بمعنى شفاء ،ومنها انتقل اللفظ إلى العبرية : آسى بمعنى طبيب ، وإلى الحبشية : آسو aswa بمعنى يشفى و : أسوت âsot شفاء .

بربر

قامت حول هذه الكلمة خصومات لغوية عنيفة،تارة بين رجال فقه اللغة اليونانية واللاتينية، وأخرى بين هؤلاء جميعاً ورجال فقه اللغات الشرقية . ذلك لأن هذه الكلمة مقتسمة بين الشرق والغرب . وحقيقة الأمر أنها شومارية الأصل.فلفظ : بَر bar معناه : أجنبى أوبرى.

وقد جاء هذا اللفظ ضمن اسم حيوان مفترس. أور ـ بار ـ رو ur-bar-ru. بمعنى الكلب الأجنبى (البرى) ويقصد على مايظن الذئب .

ثم عن الشوماريين أخذه الأكديون للدلالة على المعنى المنتشر الآن ، فلفظ . بربر barbaru بتكرار الكلمة للتأكيد،وهذا شائع منتشر فى اللغات السامية يلاحظ فى العربية : لملم : ورشرش . ومنها انتقل اللفظ إلى اليونانية ، برباروس barbaros واللاتينية أيضاً برباروس barbarus ، وإلى سائر اللغات الحديثة تقريباً الشرقية (السامية بنوع خاص) والغربية بربر barbar .

بريد

كلمة سامية الأصل بخلاف ماذهب إليه بعض العلماء من أنها دخيلة أخذت عن اللاتينية: فريدوس veredus، والعكس هو الصحيح . فقد وردت فى الأكدية : پريدو ، أو : بريدو puridu , piridu ومعناها . السريع فى مشيته ، أو : ساق (ماشى) ثم بمعنى. الرسول السريع.

ونلاحظ فى الآرامية مادة : فرد (پرد) berad بمعنى طار أو هرب .

ونلاحظ فى العبرية أيضاً. پرد qâred. بنفس المعنى وبمعنى بغل أو أى دابة من دواب الحمل .

ومن هذه الكلمة نلاحظ فى السريانية أيضاً : بردون bardûnâ ، وانتقلت الى العربية: برذون ، وليس من الصواب مطلقاً زعم بعض اللغويين أن هذا اللفظ مأخوذ عن اللاتينية : بردو ، أو ، بردس ، burdus , burdo أو من اليونانية : بوردون Bourdon .

ومن المادة السامية الكلمة العربية الفارسية بريد، ومعناها الرسول السريع أو الحصان السريع، ومن الأخيرة أخذ اللفظ اللاتيني فريدوس veredus، وفي اليوناني المتأخر بريدوس Bereidos.

بلور برليانت

كلمة سامية أخذها الغرب عن الشرق فهي في الأكدية بوررلو bureilu وهي نوع من الحجارة، ومنها انتقلت إلى اليونانية برلس Berullos، ومنها إلى اللغات الأوروبية الحديثة، مثلا في الألمانية Beryel وفي الانجليزية beryl وانتقلت إلى الألمانية: برللا Lrille أي نظارة، وكلاهما من السامية الأكدية التي انتقلت منها إلى السريانية، بلور، Iceilûrâ وبرولو Berullâ ثم إلى العربية بلور، وإلى الحبشية بلور، وبرللي Bellûr;Berelli، وفي الحبشية الحديثة: برللا Berelle بمعنى إبريق زجاجي.

ثم من هذا اللفظ أيضاً ظهر في بعض اللغات الأوربية فعل: برييه Briller بمعنى يسطع أو يلمع، ومنها بريليانت Brillant.

تلميذ

في الأكدية مادة: لمدو lamâdu بمعنى يعلم، وخاصة تعليم حرفة فنية أو علوم، وانتقل هذا اللفظ بمعناه إلى العبرية، ومنها كلمة تلمود، ثم إلى الآرامية: تلميدا talmidâ. أي تلميذ، ثم إلى العبرية المتأخرة: تلميد talmdu، وإلى العربية (تلميذ أولا بمعنى مساعد الحداد).

تهامة

في الأكدية، تيامتو: أو: تامتو tiâmtu,tâmtu، ومعناها بحر، و: تيآمة tiâmat ومعناها تقريباً: هول البحر، ويرجح أن منها الكلمة العبرية، تهوم tëhôm، وجمعها تهومات têhômât. بمعنى الماء القديم الخلقة، أو تقريباً: الطوفان، ثم إلى العربية تهامة. تطلق على الأرض الممتدة على الشاطىء الجنوبي الغربي لبلاد العرب.

ويلاحظ في العربية أيضاً. تيه، وتاه. وفي السريانية. توه toh.

ثلج

في الأكدية: اشلكو ashlaku.، ومعناها تقريباً. يبيض، أو غاسل الملابس البيضاء،

وانتقلت إلى العبرية واليهودية الآرامية، اشلج âshlag أو اشلجا، âshlêgâ:أو اشلك sôhlah بمعنى رغوة الصابون المستعملة عند الغسيل، ثم انتقلت اللفظة بعد ذلك إلى لسان العامة بمعنى آخر وهو الثلج،فأصبحت في العبرية المتأخرة. شلج sholeg ، ومنها إلى العربية ثلج .

خروب

فى الأكدية . خروبو kharùbu ، ثم انتقلت إلى الآرامية ، خَروبا ، أو خرّوبا ، (khârûbâ,kharrūba) ومنها إلى العربية . خروب ، أو خَرنوب. ومن اللغات السامية انتقلت اللفظة إلى اليونانية المتأخرة خرّوبا ، karrouha وإلى اللاتينية المتأخرة كروبيوم carrubium، ومنها إلى الايطالية كروبا carruba،والفرنساوية . كروب caroube، والانجليزية. كروب carob، والألمانية . كروب Karube أو Karobe ، والاسبانية . جروبو garrobo.

دين — مدينة

فى الأكدية . دينو denu,dinn ،ومعناها قضاء أو حق. والفعل .دينو denu بمعنى يقضى و . ديان dajjenu بمعنى قاض ، ثم انتقلت إلى العبرية والآرامية . دينْ ؛ دينَ din,dina‍ـ حكم أوقضاء ؛ والفعل منها دانَ dan أى يحكم أو يقضى؛واسم الفاعل : ديانّ : أو : ديان : , dajjan,dajjânâ ومنها مدينة ومعناها : مكان القضاء ، وانتقل ذلك إلى العربية ، دين ، والحبشية ، دَيْن ، والعربية .مدينة.

واستعمال كلمة دين فى العربية بمعناها الدينى،إما يرجع إلى اللفظة الفارسية . دين بمعنى عقيدة أو ديانة،أو للفظة الأكدية.دينو dê(i)nu .

سوسن

مصرية قديمة ، سشن sshn ،وفى القبطية شَوْشَنْ shôshen، ومن المصرية القديمة إلى الأكدية . ششانو sheshanu، ومنها إلى العبرية. شوشن shôshôn ثم إلى الآرامية. سَوسنَة Shüzantô والعربية. سوسن،ومن اللغات السامية انتقلت إلى اليونانية : سوسون souson •

شبينة

فى الأكدية ، سوسبينو، أو شوسبينو susapinu,shusopinu بمعنى دليل ،ثم انتقلت إلى الآرامية . شوشبينا shoshebinâ; أو ishaushebinô ، بمعنى دليل العروس .

شُقّة (غطاء النساء فى الصعيد)

لفظة غريبة سامية الأصل لها معنيان،أخذت اللغات الهندية الأوروبية معنى، واحتفظت اللغات السامية بالمعنى الآخر.

ففى الأكدية. شاقو shaggu بمعنى (جوال) لحفظ الحنطة أو الدقيق؛أو بمعنى ثوب يلبس للتكفير عن الخطايا أو التقشف. ثم انتقلت إلى العبرية. ساق sag، ثم إلى الآرامية القديمة فى حالة الجمع. شقون shegôn ثم بعد ذلك سقاsaggâ، ثم إلى الحبشية ؛شقshag.

ومن السامية انتقلت إلى اليونانية، ساكوس sakkos، واللاتينية : ساكوس، soccus؛ والألمانية. ساك Sack،والانجليزية أيضاً. ساك sach وهلم جرا.

شيت

فى الأكدية. شتو shatu بمعنى نسج. ومنها إلى العبرية.شاتا shâtâ ،ثم.شتى sheti، بمعنى نسيج أو (قماش)، ثم إلى الآرامية. شتا shetô أو اشتى âshti بمعنى نسج،والاسم.شتياshityâ بمعنى (قماش)،وربما كان للفظة العربية. سدى، أثر، ستى، صلة بهذا.

عدن

أخذها الأكديون عن سكان البلاد الأولين،أعنى الشوماريين،فاللفظ. ادينو معناه البرارى أو الصحارى،ومنها انتقل إلى العبريين. عدن Èden للدلالة على المنطقة التى فيها الجنة، فعدن إذن بادىء الأمر ليست الجنة، بل الجنة فى إقليم عدن؛نذكر فى القرآن الكريم : جنات عدن، ثم بعد ذلك انتقل هذا اللفظ إلى الشعب وتحور معناه قليلا وأصبح بمعنى.نعيم أو بهجة ومرور.

فتيلة

يرجح أنها مصرية قديمة بتر ptr، ومنها إلى الأكدية. بتيلتو pitiltu بمعنى حبل، وعنها أخذتها العبرية. بتيلتا petilta بمعنى فتيلة (شريط) المصباح، ثم انتقل إلى العربية — فلاحظ مادة فتل — وكذلك الحبشية.

ومن اللغات السامية استعار اليونان هذه الكلمة:فتيلين Fetilin أو. فتيلون Fatlion، بمعنى فتيلة (شريط) المصباح.

فؤاد حسنين على

إعجاز القرآن

بقلم الأستاذ السباعى السباعى بيومى
المدرس بدار العلوم العليا

تقدمنا فى العدد الماضى بكلمة عن أثر الاسلام فى العرب وفى لغة العرب، انتهينا منها على أن ذلك الأثر حساً ومعنى يرجع إلى الكتاب أولا وإلى السنة ثانياً، وقلنا فى تلك النهاية: « ومن ثم يجب أن تكون للقرآن دراسة مستفيضة تشرح ما له باللغة من علاقة ، وفى شتى نواحيها من تأثير ، ومن بعده تكون دراسة الحديث ».

لهـذا اعتزمنا أن ننشر على قراء « المعرفة » بعض ما لنا من أبحاث عن القرآن من حيث إعجازه وفصاحته وبلاغته ، بادئين منـذ اليوم بالإعجاز ، وكلنا ضراعة إلى الله أن يجعل رائدنا التوفيق .

كلمة عامة فى الإعجاز

بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم، يحمل إلى العرب ـ فى غير مواربة ـ دعوتهم إلى الخروج من دينهم والإقلاع عن كثير من عاداتهم وصفاتهم خروجاً يتجردون به عما كان يعبد أباؤهم ، ويغيرون من أجله صفات الأشياء الواقعة بين أيديهم فيحلون كثيراً كان منعاً حراماً ، ويحرمون أكثر منه كان طلقاً حلالا، ثم شاء أن تكون معجزته إليهم وفق ما كان للأنبياء عليهم السلام قبل، أى فى الباب الذى يعرفون لأنفسهم فيه نبوغاً ويدينون بأن لهم على ولوجه قوة واقتداراً، وهو باب الإعراب والبيان، فقد عرف ذلك عن العرب وهم منذ القـدم ، ولم يزالوا يذهبون به قدماً ، ويرقون فيه صعداً ، حتى جاء الاسلام وقد بلغوا فيه المبلغ الذى لا يدانى ، وعلوا فى الفصاحة والبلاغة علواً كبيراً ، حتى عقدت لذلك أسواقهم وزخرت به مجامعهم وأنديتهم .

شاء الله ذلك فأنزل كتابه إلى محمد بأسلوب راعهم ، وبيان بهرهم ، يدعوهم إن صدقوا إلى الخروج عما هو لهم مما بينا ، وإنه لعسير على النفس ـ وهى بنت الوراثة والعادة ـ أن تترك ما كان عليه الآباء والأجداد، وتخلص من عادات اختلطت فيها بالدماء واللحوم؛ فإن أبوا إلا طغياناً وكفراً وتكذيباً لمحمد فيما قال إنه من عند ربه وبهتاً كان لهم أن يقروا على ما ورثوا ، وعلى محمد أن يقبع فى داره تاركاً ما ادعى، ولكن على أن يأتوا بمثل هـذا القرآن أو شىء من مثله، إن كانوا صادقين .

تحداهم الكتاب هذا التحدي وأخذ يتنزل في المقدار الذي به يتحداهم من القرآن كله إلى عشر سور إلى سورة واحدة في عبارة قارصة وسخرية لاذعة، وهم ذوو الأنفة والحمية والغضبة الجائحة المضرية، واضعاً هذا الإتيان في كفة والإلقاء إلى محمد بالسلام في أخرى، وما كان محمد بذي العشيرة المتجمعة المتدافعة، ولا الكثرة الموالية المناصرة، فإن عشيرته الأدنين كانوا عليه لا له، صامدين ضده لا معه، وهو ذلك الرجل الذي نشأ يتيماً فقيراً لا يملك من حطام هذه الدنيا شيئاً، ولا من جاهها كثيراً ولا قليلا، سوى ما هيأه له المولى جل شأنه من استكمال صفات النبوة وتوافر ما تحتاجه هذه الدعوة، فتركوا الإتيان بشيء من مثل هذا القرآن وهم فرسان الفصاحة ورجال البيان، وفضلوا أن يبوءوا مخذولين مقهورين، تاركين حميتهم وأنفتهم ينالها ما لم يك ينالها من خزي وعار، وأنصارهم وشيعهم يتسللون إلى محمد لواذا مؤمنين، فما ذلك وعن أي شيء يكون؟ إنه للدليل الناصع والبرهان القاطع على أن أولئك القوم قد عجزوا عن التكلم بمثل هذا القرآن، ولو قدروا لتكلموا ولقارعوا محمداً الحجة بالحجة، وأفحموا حتى تسقط دعواه في يده، وتقع نبوته صرعى لا ترى لها من مقيل.

على أن محمداً لم تكد تتجمع حوله الأنصار والأتباع، ويحس شيئاً من القوة المادية والمتاع، حتى انتقل من الدعوة باللسان إلى الدعوة بالسنان، فشن عليهم الغارات تلو الغارات، ولم يزل يغاديهم بها ويراوحهم، وهو في كل ذلك يتحداهم، فلم يك منهم إزاء هذا الموقف الجديد في خشونته، الثقيل في شدة وطأته عليهم وقوته، إلا ركوبه أيضاً كما يركب المضطر صعاب الأمور ويقبل المرغم عجزاً ما تعافه النفوس، ثم لم يزل يعمل فيهم السيف لإسعادهم وهم كارهون، ويقتل منهم الصناديد وهم راغمون، ويحتل عليهم الديار وهم وادعون، طيلة من الزمن كافية لإحراج الصدور، وإخراج ما عسى أن يكون في الكنانة من سهام، فلم يجيبوا عن هذا التحدي على كثرة ما أحرجوا، ولم ينثروا من كنانتهم غير الذي نثروا، وبذا حقت عليهم كلمة الإعجاز، وكان الذين آمنوا بها أضعاف من آمنوا بالسيف والقتال، وصح لكل إنسان أن يسوق ما قدمنا دليلا على الإعجاز إلى كافة الناس دون حاجة إلى التعرض للوجوه الفنية للإعجاز، ولا إلى شرط الوقوف على العلوم البلاغية فيمن يساق إليهم هذا الدليل، ولقد حدث الجاحظ في هذا الموضوع، قال.

بعث الله محمداً، صلى الله عليه وسلم، أكثر ما كانت العرب شاعراً وخطيباً، وأحكم ما كانت لغة، وأشد ما كانت عدة، فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته، دعاهم بالحجة، فلما قطع العذر وأزال الشبهة وصار الذي يمنعهم من الإقرار الهوى والحمية دون الجهل والحيرة، حملهم على حظهم بالسيف، فنصب لهم الحرب ونصبوا له، وقتل من عليتهم وأعمامهم وبني أعمامهم

وهو فى ذلك يحتج عليهم بالقرآن ويدعوهم صباحاً ومساء إلى أن يعارضوه إن كان كاذباً بسورة واحدة أو بآيات يسيرة، فكلما ازداد تحدياً لهم بها وتقريعاً لعجزهم عنها، تكشف من نقصهم ما كان مستوراً، وظهر منه ما كان خفياً، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة، قالوا له. أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا، قال. فهاتوها مفتريات، فلم يرم ذلك خطيب، ولا طمع فيه شاعر، ولو طمع فيه لتكلفه، ولو تكلفه لظهر ذلك، ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامى عليه ويكابر فيه، ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض، فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستجابة لغتهم وسهولة ذلك عليهم وكثرة شعرائهم، وكثره من هجاه منهم وعارض شعراء أصحابه وخطباء أمته، لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض لقوله، وأفسد لأمره، وأبلغ فى تكذيبه، وأسرع فى تفريق أتباعه، من بذل النفوس والخروج من الأوطان وإنفاق الأموال، وهذا من جليل التدبير الذى لا يخفى على من هو دون قريش ؛ العرب فى الرأى والعقل بطبقات، ولهم القصيد العجيب والرجز الفاخر والخطب الطوال البليغة والقصار الموجزة، ولهم الأسجاع والمزدوج واللفظ المنثور.

ثم تحدى به أقصاهم بعد أن ظهر عجز أدناهم. فمحال أكرمك الله أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط فى الأمر الظاهر والخطأ المكشوف البين مع التقريع بالنقص والتوقيف على العجز، وهم أشد الخلق أنفة وأكثرهم مفاخرة، والكلام سيد عملهم وقد احتاجوا إليه، والحاجة تبعث على الحيلة فى الأمر الغامض، فكيف بالظاهر الجليل المنفعة؟ وكما أنه محال أن يطيقوه ثلاثاً وعشرين سنة فى الأمر الجليل المنفعة، فكذلك محال أن يتركوه وهم يعرفونه ويجدون السبيل إليه وهم يبذلون أكثر منه».

هذا ما قاله إمام المترسلين وزعيم البيانيين أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فى الإدلال على أن عجز العرب عن مجاراة الكتاب كان حقاً واقعاً، نقله التواتر الصحيح الذى لا يتطرق إليه شك ولا تأويل، ولقد رأيت إثباته هنا إدعاماً لما قدمت عن هذا العجز وتأييداً، فهو الحجة البالغة والبينة القاطعة لمن لم يرد الدخول فيما سنأتى عليه من تفاصيل الإعجاز وبيان الوجوه التى اعتورها فى شأنه العلماء، أو هو مقدمة لما سيكون إن شاء الله . م

السباعى السباعى

ثقافة مصر

هل تكون عربية أم فرعونية ؟

هـذا عنوان لمناظرة دارت بين الأستاذين عبد الله عفيفى المحرر العربى بالديوان الملكى، وحسن صبحى المحرر بجريدة البلاغ ، دعا فيها الأول إلى العربية، ودعا الثانى إلى الفرنية ؛ وقد أيد الأول كثيرون، منهم الأساتذة : زكى مبارك، والسباعى السباعى بيومى ، ومحمد الهراوى ، وعبد العزيز الاسلامبولى ؛ وانتصر للثانى آخرون من الأدباء ، يحضرنا منهم اسم الشيخ عبد الجواد رمضان .

وقد فازت فكرة العربية على الفرعونية ، ولخصت جريدة « البلاغ » الغراء أقوال الفريقين، ومنها رأى صاحب « المعرفة » ؛ وهو مانتقله هنا كما ورد بنصه فى « البلاغ » عدد ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٣٣ . وقد كنا نود كتابة بحث واف فى هذا الموضوع ،وتأييده بما كتبناه فى عددأغسطس سنة ١٩٣٣ ، قبل ذيوع هذه النعرة أخيراً ، ولكننا اكتفينا بنشر هذا الملخص ، راجين أن تقف المسألة عند هذا الحد .

***

رأى الأستاذ الاسلامبولى

لست أعدو الحق حين أقرر أن الفريقين يختصمان فى غير قضية ، ويتناظران فى غير دعوى . ولو سلمنا جدلا بوجود اختلاف فى فكرتيهما ، فإنا نراه خلافا فى العرض دون الجوهر، وتنازعا على الفروع لا على الأصول .

فأنا مثلا أسلم جدلا بأنا فراعنة ،وبعبارة أصح مصريون ، على حد التعبير الأخير الذى ارتضاه زميلى الأستاذ صبحى بعد عدوله عن التسمية الأولى .

وسواء لدى أعدلت التسمية أم لم تعدل ، فإنى أوافق زميلى على طول الخط ، لكى أجره إلى الاعتراف بأن دعواه تحمل فى ثناياها أدلة العروبة ،والعروبة الصادقة إلى أقصى حد .

وآية ذلك أن علماء الآثار (وهذا هو المنطق الذى يحاجنا به الزميل ، والسيف الذى

يرفعه فى وجوهنا) وعلى رأسهم الأستاذ برستيد عالم الآثار العالمى والمؤرخ الأمريكى المعروف، قرر أن قدماء المصريين دخلوا مصر من الصحراء الشرقية ، كما قرر أيضاً أن قبائل أخرى منهم جاءت من الصحراء اللوبية ، وأن الفريقين يمتان معا إلى السامية .

فماذا نستنتج من هذا ؟ لا شك أنا نستنتج أن الفاتحين الأولين ، أو المتوطنين الأقدمين، عرب خلص ، أو عرب لحماً ودماً إن شئتم .

وما لى أذهب بحضراتكم بعيداً، ولا أحدثكم بما سمعت من نصف عام واحد فى هذا الموضوع.

جاء مصر فى هذا العام العلامة الألمانى الكبير الأستاذ « هرمان جرابو » أستاذ الحضارة المصرية القديمة ولغاتها بجامعة برلين ، والعضو المختص بالبحوث العلمية فى مجمع بروسيا العلمى، وقد قضى خمسة وثلاثين عاماً — مع الأستاذ العالمى « أدولف إرمان » الملقب بأبى الحضارة المصرية القديمة ولغاتها — فى وضع قاموس كبير فى تلك اللغة ، بلغ خمسة مجلدات مجموع صفحاتها ٢٨٠٠ من الحجم الكبير .

جاء مصر هذا الأستاذ ومعه نسخة من قاموسه قدمها لجلالة مولانا الملك ، فانتهزت فرصة وجوده بين ظهرانينا، وقابلته فى دار جمعية الشبان المسلمين، حيث ألقى محاضرة عن ذلك القاموس. ثم تحدثت إليه فى أمور شتى ، أهمها أصل قدماء المصريين ، فصرح لى بما خلاصته أنه يرجح كثيراً أنهم من أصل عربى، وقد نشرت هذا الحديث فى مجلة « المعرفة » عدد يناير سنة ١٩٣٣ ، فليرجع إليه من شاء .

فاذا صح هذا ، وهو صحيح لا يحتمل جدلا ، ثم إذا أضفنا إلى ذلك اعتراف الزميل الأستاذ صبحى فى هذه الليلة اعترافا صريحا لا لبس فيه ولا غموض ، بمعنى ما قدمنا ، خلصنا إلى الجوهر ، وانتهينا إلى الأصل ، فاذا بالعرض يزول ، والفرع يتبع أصله ؛ وإذن فلا دعوى ولا قضية، ولا خلاف ولا تناظر .

وأخيراً لست أرانى أيها السادة فى حاجة إلى تذكير حضراتكم بأن العالم وقت أن كانت تتنازعه سلطتان مبسوطتان أو دولتان قويتان : الدولة الفارسية التى ملكت الشرق ، والدولة الرومانية الشرقية التى حكمت الغرب ، لم تستطع منذ أربعة عشر قرنا قوة ما ولا مدنية ما ولا أمة ما، التغلب على هاتين الدولتين، غير دولة العرب الناشئة، التى بلغت فى أقل من ثمانين عاماً مالم تبلغه كل من سابقتيها فى مئات السنين.

أيها السادة! لقد أوجد دين العرب أمة من أشتات متفرقة، فكانت (العرب) ولم تكن (الفرس) أو (التركستان) أو (الهند) أو (الأفغان) ، أو ما شاكل ذلك مثلا .

أ كنت ترى هذه الإمبراطورية الهائلة — وقد جمعها الدين فى قانون واحد ، ولم شعثها

[البقية على الصفحة رقم ٤٤٢]

أوروبا كما رأيتها

من حديث شائق مع الشيخ المحترم
عبد الباقي عامر بدران
عضو مجلس الشيوخ

سائح فى طليعة رحلاته ، وفى مستهل جولاته ، ولكنه مع ذلك حقيق أن يكون فى هذه الفئة القليلة التى لاتفاخر الناس بما طلعت عليه من مشاهد الدنيا فى صورها الجامدة من أبنية وتماثيل ، وإنما تفاخر الناس بأنها استوعبت الأمم فى ضوء كله دراسة ، وفى كتاب لامجون فيه ولا لهو . والذين يلتزمون الدراسة الوافية فى رحلاتهم إنما يكابدون ألواناً وصوراً هى مزيج من العسر والضيق ، والبشر والغبطة ، لأنهم يريدون التعرف إلى كل شىء ، بعيداً عن زخارفه التى تحوطه من أعمال صانعيه ، فهم مقبلون أبداً على ضروب من التساؤل ، حتى إذا ما انتهوا إلى جواب سديد بلغت بهم الغبطة أقصى غاياتها ، ومنتهى ما تصل إليه من حدود .

أتدرى بعدئذ من هو هذا « السائح » ؟ هو الشيخ المحترم الأستاذ عبد الباقى عامر بدران ، وأنت تعرفه ما فى ذلك من ريب ، تعرفه من حديثه الجامع عن « السلاح والمخدر » الذى نشر فى « المعرفة » فى عدد نوفمبر سنة ١٩٣٢ .

وأنت ملاق فى هذا الحديث الطريف أفواجاً من الآراء التى أتركها لك وحدك لتذيع فى جوانبك مقدارها وخطرها وأثرها . . . وهو حديث ابتكرته رحلة الشيخ المحترم إلى فرنسا وسويسرا وإيطاليا للمرة الأولى مع الصيف . قال الشيخ المحترم :

الشرق والغرب

ليس فى مقدور فصل واحد أن يجمع إليه أنباء هذه الرحلة أو مشاهدها جملة واحدة فى شىء من التفصيل والدراسة ، فكل ما فى أنبائها جليل يدعو إلى الإسهاب ، خطير يدعو إلى الإطناب ، ولكنى مع ذلك سأقصر الحديث معك على بضعة وجوه أستطيع القول بأنها فى صميم ما تعنى « المعرفة » ببحثه الآن ، منها ما يتصل بالتربية ، ومنها ما يتصل بالاجتماع ، ومنها ما يتصل بغير هذين الضربين من وجوه المسائل التى يستشعر القارىء الشرقى فيها شيئاً من النفع ، وشيئاً آخر من الخير .

وقبل أن أسترسل معك فى القول ، أود أن أجابهك بحقيقة واحدة ، هى أن هذه الرحلة إلى أوروبا كانت مستهل رحلاتى إلى الغرب ، وأنى كنت ألتزم فى التفكير فيها حالة هى مزيج

من الغبطة والرجاء ، الغبطة بما تتيحه لى من شهود الغربيين فى ربوعهم ، والرجاء أن يكون نتاج هذه الرحلة من ذلك النوع الذى يذيع فى المشاعر ألواناً جديدة من الحقائق ، حتى أستطيع بهذا كله أن أجيب عن ذلك السؤال الأبدى : لماذا تقدم الغرب وتأخر الشرق .. ؟

والواقع أن الغبطة التى توفرت على من وراء هذه الرحلة القصيرة الأمد ، لم تكن بالشيء المذكور إلى جانب الكسب الكثير الرائع الذى بلوته منها ، وهو فى تفصيله وجملته جواب حاسم عن ذلك السؤال ، وحجة ناهضة على أننا نستطيع - متى أردنا ذلك - أن نساير الغربيين جنباً إلى جنب . !

لقد يبدو هذا القول خيالاً واسع المدى ، ولكنه لن يكون إلا حقيقة ناصعة كالشمس ، حين نبذل قصارى الجهود فى تزويد الناشئة بضروب من التربية المألوفة فى بلاد الغرب ، وأعنى بها التربية التى لاتقوم على دعامة من الترهيب والتخويف والجهالة العمياء .. فاذا استطعنا أن ننبت الناشئة فى كنف هذه المثل ، كان علينا أن نمحو هذا السؤال الأبدى ، وأن نقول فى كثير من المباهاة : إن مصر قطعة من إوروبا ، وإنها تمشى مع الحضارة فى خطوات لاتلكأ فيها ولا التواء .. !

ولا خلاف على أن هذه الرحلة الأولى قد أتاحت لى أن أجابه ألواناً أخرى فيها مايثير دهشة المصرى الذى يرى أن مظاهر بلاده البارزة قد اختفت أمام ناظريه جملة واحدة ، وفيها مايثير إعجابه ، وما يثير حفيظته بعض الشيء ..

متناقضات

لقد ألفنا فى محيطنا الأزياء المتعددة ، بين العمامة على ألوانها ، وبين الطرابيش والقبعات ، وبين ضروب أخرى من لباس الرأس ومن دثار الجسم معاً ، ولقد عشت كما يعيش المصريون جميعهم فى ظل هذه الظاهرة ، وتلكم المشاهد ، حتى إذا مااستقبلت فى «مارسليا» - وهى أول مشاهد الغرب - إذ بهذا القلق فى الأزياء يختفى جملة واحدة .. ! فلا عمائم ولا طرابيش ولا أثواب فضفاضة ، لاشيء من هذا التنافر كله ، وإنما برزت الوحدة كاملة مهيبة على الرءوس ، فاستطعت أن أومن بأن هذه الوحدة فى الأزياء قد أتاحت للشعب كله أخوة صادقة وإجلالاً رهيباً .. وما الوحدة إلا بث روح التعاون الذى يحيى فى النفوس الإخاء والصفاء .

ولقد ألفنا فى محيطنا المشية الهادئة الخاملة ، حتى ونحن فى طريقنا إلى العمل ، وألفنا هذه التؤدة ، وأضفنا بها إلى سمات الجد والوقار .. ولكنى رأيت العجب العاجب حين انتهيت إلى « باريس» مع الصبح .. ! ! حركة دائبة ، السائرون على أقدامهم يسرعون الخطوات وكأنهم فى طريقهم إلى حفل منشود ، وتلك وجوههم لاتلتفت بمحاجرهم إلى هذا الجانب أو ذاك ، وإنما هى دائماً إلى الأمام .. ! إنهم فى طريقهم إلى أعمالهم يسيرون سراعاً ، وفى ذلك كله مايدل على أنهم قوم جادون ، وأن الوقت عندهم من ذهب . !

أما اللون الذي أحفظ صدري ، فإنه لون قاتم حقاً . . ! أتدرى من أمره شيئاً ؟ سأهمس بأمره في أذن قرائك همساً ، حتى لا يبلغ إلى آذان مواطنينا الموظفين في مصلحة الجمارك . . !

لقد احتملنا حقائبنا معنا إلى الميناء ، ميناء الأسكندرية ، ولقد كانت شخصيتنا من جانبها الرسمي - على الأقل - معروفة لموظفي الجمارك ، ولكنهم مع ذلك هيأوا لنا وقفة انتظار طويلة الأمد ،حتى يقلبوا حقائبنا رأساً على عقب ، فآمنت أننا ملاقون في فرنسا وفي جاراتها ضروباً من العنت متى انتهينا إلى موانئها ،وكان حتماً على أن أومن بذلك ،لأننا في ميناءنا المصري لم ننج من تلك الوقفة الطويلة ، فكيف بنا حين تطلق علينا كلمة «أجنبي» ، على أنه أمر غريب حقاً أن يكون موظفو الجمرك في فرنسا وفي سويسرا وفي إيطاليا - على الرغم من أعمالهم الكثيرة الشعب - أوفر نشاطاً وأجزل سهولة ، فهم لم يقلبوا الحقائب رأسا على عقب ، ولم يهيئوا لنا هذه الوقفة الطويلة التي تفضل بها علينا مواطنونا الأعزاء في الثغر السكندري . وأنت تدرى من وراء هذه المعاملة قوة الانتباه التي تسيطر على أولئك الغربيين فتدعوهم إلى تزويد الوظائف برجال تدل أعمالهم على الكفاءة والخبرة .

أليس في هذا ما يدعو إلى حفيظة الصدر ؟ إني أرجو أن أباعد عن قرائك أشباه هذه المقارنات في الأزياء ، وفي السعي وراء العيش ، وفي تزويد الوظائف بالرجال العاملين ، حتى أنتهي بك إلى جوانب أخرى ،فيها ما يفصح لك عن طائفة من الأسباب التي اتاحت للفرنسيين أن يكونوا أمة لها طابعها البارز بين الأمم جميعاً . .

الفلاح والقرية

أنت تدرى أني ألتزم الحياة الزراعية أكثر العام ، وأن القرية تساهم مع هذه الحياة بنصيبها الحافل ، وأنت تعلم من خصب التربة المصرية ما هو مضرب المثل ، كما تعلم من شأن « القرية المصرية » الشيء الكثير ، فلم يكن هنالك ما يزيحني عن التفكير في معرفة الفرنسيين من هذين الوجهين معرفة صادقة قائمة على التجارب ...وأي شيء أقول لك إني خرجت به من هذه التجربة ..؟ لن أسهب في القول ، وإنما أكتفي بأن أقول لقرائك إن الفرنسيين جديرون بمكانتهم حقاً ... إنهم ينتفعون بكل شبر من أرضهم الصخرية التي لا رخاوة فيها، وإن فلاحهم ليبدو - في حلته النظيفة وفي مظهره الأنيق البسيط - مثلا للرجل الكامل ، فهو يفلح الحقل ، ولكنه مع ذلك رجل مستنير يساير أحداث أمته خطوة خطوة ، وله فيها رأى ، وله في تدبيرها أثر ، وهو يفلح حقله ، ولكنه مع ذلك لا ينسى حق بيته ، فله الأسرة السعيدة ، والأطفال الذين يشبون بين أدوات الزراعة ، وإلى جانبها ألوان من الكتب والصحف .

أما القرية الفرنسية ، فإنها جديرة بأولئك الريفيين الأصحاء السعداء ، أنيقة مسرفة في النظافة ، تكتمل فيها أسباب الترفيه ، لن يفد عليها دون أن يعرف من رجالاتها أحداً ، ففيها المطعم والمقهى والنزل ، ولها الطابع الدال على بالغ الهدوء والدعة .

لون الحياة فى باريس

وأنتقل بك الآن إلى باريس ، وأنا أعلم ما تثيره هذه المدينة فى أذهان قرائك للوهلة الأولى ؛ إنهم حيالها على كثير من التناقض ، يرى بعضهم أن باريس جماع اللهو والخلاعة والجنون ، وأن كل ما فيها لا حياة له إلا مع اللهو ، وقليلون جداً هم أولئك الذين يعترفون لها بظاهرة من الجد ، وما أشك فى أن آمال الكثرة الغالبة ستنهار جملة واحدة ، حين أصارحهم القول بأن الباريسى لا يمضى طيلة يومه فى دعابة ولهو ، وإنما هو يساير نظاماً لا يعدوه ؛ فالأسرة قبل كل شىء ، والعمل بعد ذلك فى سبيل وطنه أول كل شىء .. ثم ينصرف بعدئذ إلى الترويح عن نفسه كما يفعل كل إنسان ، ولكنه يمتاز عنا بأنه يرفه عن نفسه وهو يفكر فى غده ، فلا يغلو فى اللهو ، ولا يسرف فى الدعابة . ومامظاهر اللهو فى باريس إلا أثر من اكتظاظها بالوافدين عليها من كل فج ،رجاء الترفيه وحده، أما الباريسيون أنفسهم فقلما يباعدون هذه الظواهر التى أجملتها لك دون تفصيل ...

إن الباريسى يحمل على وجهه من بداءة الطفولة ميسم الجد والطلاقة ، لأنه يجد إلى جواره أبا وأما يساعدانه على أن يشب وفى طويته روعة الرجولة فى طلاقة الرجل الحر .. يحببانه إلى ما يريد ،حتى لو كان ذلك الذى يريده سيراً فى غير اتجاه ، كما رأيت بعينى؛ فقد شهدت طفلاً يمسك بيد أبيه ويقول له: « هيا بنا »،وشهدت الرجل يساير صغيره دون أن يقول له : «إلى أين؟ »أو «اقعد» أو يستعيض عن هذا كله بلطمة تلزمه عرض الحائط ، ثم شهدت إلى ذلك منظراً عجباً يدلك على أنهم يخرجون أطفالهم إخراجاً روحياً حتى يتأتى لهم من الأسباب ما يعرفون به الحياة على وجهها الكامل .. كان ذلك فى « دوفيل »،وكنت أسير على الشاطىء الجميل ذى الرمال الناصعة — شاطىء المانش — صحبة صديق فرنسى ، وكانت نظراتى كلها متجهة إلى ما يحوط الشاطئ من فتنة ، إلى أن وقع نظرى على بضعة أطفال يجلسون حول تمساح وبأيديهم معاول من محار ابتكرت للعب،ولكنهم تابعوا بها أعمالا لا تتمشى مع الألاعيب... لقد كان التمساح جاثماً على الرمال وكأنه يريد أن يتحرك ، ولقد كدت أن أشفق على الأطفال الصغار من فمه أن ينفرج فيأخذهم إلى باطنه ، ولكن التمساح لم يكن إلا عمل من أعمال الأطفال أنفسهم ، ولم يكن هيكله بصورته الطبيعية إلا مأخوذاً من ألوان الرمل والحصى والقواقع،على الرغم من أنهم لا يعرفون التماسيح إلا بين طيات الكتب .

أليس فى ذلك أبلغ الدلالة على أن الفرنسيين يتجهون بأطفالهم إلى لون من التربية الاستقلالية التى تهيىء لمواهبهم أن تنمو معهم نمواً كبيراً ؟

الأسرة الفرنسية

ويطيب لى أن أنتقل بك إلى الأسرة الفرنسية ، فأقول لقرائك إن التعرف إليها ليس — كما يبدو — هيناً سهلا ، فإن الفرنسيين على الرغم من بساطتهم يتابعون الحذر فى كل شىء،

ولكنهم متى أمنوا جانب صديقهم الأجنبي أخلصوا له وبالغوا فى إكرامه، حتى لينصرف ذهنه إلى التفكير فى أنهم شعبة من العرب أو أشراف المصريين.

لقد تعرفت إلى أسرة فرنسية عريقة نامية الدوحة، شريفة سامية الشرف، لها الصيت البعيد، والجاه الواسع - وأرجو أن تعذرنى من ذكر سيدها لك، لأنى لم أستأذنه فى ذلك - وكان تعرفى إلى هذه الأسرة مثار تجربة كلها خير ونفع، فعرفت من ظواهر الكرم الشىء الكثير، وأدركت أنهم لا يكرمون الضيف لقاء أجر منشود، وإنما يكرمونه ملحين عليه ألا يكون الأجر المنشود سوى أحدوثة طيبة يعطر بها وطنهم الخالد، كلما تحدث عنهم إلى مواطنيه!

الحرية والروح القومية

هذه الدعاوة الواسعة المخلصة للوطن تدعونى إلى التأكيد لك أن كل فرنسى يشعر فى نفسه شعوراً عميقاً بأنه رجل مسئول.. يعنيه من شأن وطنه: الجليل والتافه، وهذا الشعور وحده قد ألزمهم ألا يصلحوا من شأن هذه الثغرة التى تشوه إحدى أبنيتهم الرسمية الجميلة، لأنها أثر من آثار قنابل الألمان فى الحرب العظمى، وهم يريدون لهذا الأثر أن يبقى، حتى تعلم أجيالهم كلها شأنه وما يرتبط به من حوادث، فلا يكون من همهم إلا أن تزكو فى صدورهم حرارة الإيمان بحرية وطنهم الأقدس.

وإنه لمن أبلغ الظواهر دلالة على عميق رعايتهم للحرية، أنك لا تقع بينهم على خصومة يخلفها خلاف فى الرأى، وأعنى بها الخصومة الحادة العنيفة، فلكل فرنسى أن يجاهر برأيه، وأن يتكر له الأسانيد والمحافل التى يذيعه فيها، ولكل فرنسى أن يجاهر بعقيدته، وأن يساهم بها فى غمار الأحداث التى تلتف من حوله دون أن يجد لأحد من سلطان عليه إلا سلطان القانون..!

ولقد كسب الفرنسيون من هذه الجوانب الحية، فى تربيتهم وفى حريتهم، كل مظاهر الديمقراطية والنظام، فأنت تعجب بهم لا يتكالبون على ركوب السيارة أو الترام، ولا يتزاحمون حولها بالمناكب، وإنما يلتزم كل منهم مكانه الذى تلزمه إياه ورقة صغيرة يقتطعها من سجل فى محطة (الأوتوبيس)، فلا يعدو الرقم الذى احتسب له، ولا يتذمر أو يثور.

وأنت تعجب بهم — وقد شاهدتهم أمام دار الأوبرا يوم عيد الحرية فى ١٤ يوليو — يقفون وراء بعضهم بعضاً يترقب كل واحد منهم دوره فى احتمال تذكرة من شباك المسرح تبيح له أن يشهد التمثيل ليلة العيد دون أجر. إننا هنا نتقاتل على هذا اللهو المجانى فى سرادق من سرادقات الأفراح، ولكنهم هناك لا يبالون أأصاب واحد منهم حظه فى شهود التمثيل أم أخطأه حظه فنأى به عن شهوده.

أكثر ما فى باريس إذن يدل على الديمقراطية الواضحة، ولكن خير الوجوه التى تمثلت

فيها تلك الديمقراطية والتى شاهدتها فى زيارتى لجامعة فرنسا « السوربون » أن الجامعة كانت حافلة بالكثيرين من العظماء، فلما استوضحت الخبر علمت أن الرئيس الأعلى للجمهورية مسيو « ليبران » قد وفد على الجامعة ليوزع الجوائز على المتفوقين من صغار التلاميذ فى امتحاناتهم، ولقد دلتنى مظاهر البشر الواضحة على وجوه التلاميذ، وهم يتقبلون الجوائز، أن واحداً منهم لن يعثر فى مستقبله عثرة تنسيه هذه الساعة العزيزة عليه.

مصر فى باريس

كل هذا، ولم أذكر لك شيئاً عن مصر فى « باريس »، فالآن أذكر لك أن زيارتى للسوربون قد هيأت لى أن أفكر فى مصر بشىء كثير من حماسة الوطنية وحرارتها. ولقد فكرت فى الوطن وذكرته حين علمت أن « باريس » تزدحم بالطلبة المصريين، ولكنى أسفت جد الأسف وعميقه، لأن مصر - ولها شأنها فى أذهان الفرنسيين أنفسهم، ولها علاقتها الثقافية بكل ما هو فرنسى - لم تأخذ مكانها اللائق بها بين مثيلاتها من الدول التى توفد بعوثها العلمية إلى باريس!

إن أكثر الأمم التى تربطها بباريس أواصر من العلم قد شيدت لها قصوراً يسكنها الطلاب طيلة عهدهم فى الدراسة، ولقد زرت قصر المغاربة، فألفيت الطلبة فيه — وهم أبناء وطن واحد — قد جمعوا شملهم واتخذوا لهم فى حياتهم طابعهم الوطنى المألوف، ثم تلفت طويلا على أمل أعثر على قصر الطلبة المصريين، ولكنى لم أجد له ظلا! أليس هذا بالأمر الغريب؟

إنه غريب حقاً، لأن وجود الطلبة المصريين فى بيت واحد، يهىء لهم أن يكونوا شعبة لا تنافر بينها ولا فراق، ثم إنه يتيح لهم أن يتنافسوا فى الدراسة والتحصيل، ثم هو إلى ذلك كله يزيد فى أواصر التعاون بينهم، فلا يكونوا حين عودتهم إلى مصر إلا قوة موحدة الطبائع والميول!

ثم أليس محزناً حقاً أن أعلم - وأنا فى « باريس » - أن طالباً مصرياً أقعده المرض فلم ينهض أحد إليه فى كبوته إلا واحد أو اثنان، لأن إخوانه لا يعلمون أين يقيم؟ ثم أليس محزناً حقاً أن يعيش الطلبة تحت رحمة القلق الذى يساور النقد « العملة »، فترتفع أجور المساكن عليهم حيناً حتى تستغرق الجانب الأكبر من رواتبهم على حين أنهم فى حاجة إلى التفكير فى التحصيل العلمى وحده؟

إننى أضع هذه الصور المحزنة كلها حيال الحكومة حتى يكون لها من شهودها ما يحفزها على أن تعجل بتشييد القصر المصرى فى باريس، لأنه إلى جانب ما يؤديه للطلبة من خير إنما يؤدى لمصر حقاً من حقوق الدعاوة المحتومة عليها فى كل حين.

السفارة المصرية فى باريس

ومادام الحديث قد استاقنا إلى البحث فى فضائل الدعاوة لمصر، فدعنى أذكر لقرائك بالخير ذلكم الرجل العظيم « محمود فخرى باشا » سفيرنا فى باريس.

إنه لمن أبعث دوافع الأسف إلى نفسى أنى لم ألتق به فى فرنسا، لأن برنامج رحلتى فيها لم يهيىء لى شرف التعرف إليه فى تلك الفرصة السعيدة التى أتاحها لزملائى حين دعاهم إلى الغداء

على مائدته فى قصر السفارة المصرية ، ولكن الحديث الطيب الذى سمعته من أولئك الزملاء ، ومن كل مصرى، لقيته فى فرنسا كلها، قد أتاح لى أن أعلم كثيراً من الفضائل الطيبة التى يمتاز بها هذا السفير العظيم، وما من شك فى أن سعادته يمثل مصر فى بلاد الفرنسيين تمثيلا ليس أصدق على نبالته وجلالته من ذلك العطف الجزيل الذى يسبغه عليه مولانا المليك ؛ ومن هذه الأحدوثة الطيبة التى يترطب بها لسان كل مصرى فى الخارج .

بنك مصر — فرنسا

وإلى جانب الدعاوة المنتجة التى يقوم بها سعادة فخرى باشا ، تقوم مؤسسة « بنك مصر — فرنسا » فى باريس، وأولئك المصريون الذين استوعبوا تلك الخدمات الجليلة التى يؤديها لهم موظفو البنك المصري فى عاصمة فرنسا ، ليعتقدون كثير الاعتقاد أنهم مدينون بالشىء الكثير من راحتهم إلى هذه الأيادى الطيبة التى يسديها إليهم أولئك الموظفون ، فلتكن إذن هذه الخدمات مثار حدب منا على هذه المؤسسة المصرية فى بلاد السين ، حتى تنتهى إلى أوج النجاح، وما أعتقد إلا أنها ماضية إلى النجاح حقاً ، أليست هى أثارة من تفكير ذلكم الرجل الخصب الفكر « محمد طلعت حرب باشا» ؟ ثم أليس الموظفون فيها مصريين يحق لنا أن نضيفهم إلى جيش الدعاة المتحمسين لمصريتنا فى باريس ... ؟ دعنى أحمد إليهم جميل صنائعهم ، وأشكر لهم جزيل أياديهم ، فإن فى ذلك اعترافاً صريحاً ما أحسبنى إلا مديناً به لهم أبد الدهر.

الدعاوة لمصر

وإنه لمن بواعث الأسف حقاً — وأنا أتحدث إليك عن فضائل الدعاوة لمصر فى الخارج — أن أذكر لك بأنى التقيت فى « سويسرا » بواحد من أهلها ، فلما تطرق بنا الحديث إلى ذكر مصر ، إذ به يجهلها وكأنها مفقودة من خريطة العالم.

عبقرية المليك

ولكنه أمر يدعو إلى وفور البشر وبالغ الغبطة أن مولانا صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول حفظه الله، قد أدرك بسامى حكمته وثاقب رأيه، أن الدعاوة لمصر خير وأجدى من ذلك الصمت الذى تلتف به ، وإذا كان جلالته قد أسبغ آلاءه على مرافقنا العامة، ما يتصل منها بالتعليم فى الأزهر وفى غيره من المعاهد والجمعيات العلمية ، وما يتصل منها بالصناعة والزراعة وما إليها من أخلاف الشئون الداعية إلى رقى شعبه السعيد بحكمه وقيادته الموفقة السديدة ... إذا كان جلالته قد أسبغ هذه الآلاء الجليلة على شعبه ، فما من شك فى أن عنايته السامية بالدعاوة لمصر فى الخارج قد هدته إلى انتهاز فرصة انعقاد مؤتمر السياحة القادم، فأذاع بين الفنانين مسابقة للدعاوة عن السياحة بمصر أتاح للفائز الأول فيها كأساً ذهبية يحتفظ بها لعام كامل .

إن هذه الفكرة السامية تخلق لمصر أحدوثة طيبة ، وليس ابتكارها بالأمر المسير على عبقرية جلالة المليك ، تلك العبقرية التى تمثل ثروة الأمة العقلية ، ما فى ذلك ريب .

سويسرا

وأجمل ما يطيب لى ذكره عن « سويسرا » أنها دون جدال « فندق العالم »، وأن مناخها

وطبيعتها الساحرة قد وفرت عليهـا أسباب التفرد بمشاهد لاضريب لها بين ما رأيت من مشاهد الطبيعة. أما نظافتها فيكفي للإشادة بها أن أحدثك بأني حين تركت القطار بعد سفرة طويلة من باريس، كان دخان القاهرة قد زود وجهي خلالها بشيء من أخلافه، فحين طلبت إلى خادم الفندق أن يتقدمني إلى بيت الماء حتى أمحو به هذا الغبار، أجابني إلى ما طلبت وهو يقول: «إنك ياسيدي قادم من فرنسا، أليس كذلك؟»، ثم استوضحته السبب لأني رأيته أكبر من بديهته، فقال: أجل إنك ياسيدي قادم من فرنسا، لأن بلادنا لايوجد فيها هذا الغبار!!

عبير الوطن

أما إيطاليا، فليس أدعى على الإمتاع فيها من مشاهد «فينيسيا»، ومن مرائي «البندقية» ذات المسالك المائية الرائعة الفتانة، ومن مباهج «ميلانو» المتأنقة بعمائرها الرفيعة ذات الوجوه الرخامية الباعثة على أعمق معاني الغبطة والبشر.

إن جو إيطاليا قد هدانا إلى عبير الوطن، ولقد كانت الباخرة «أوزونيا» تتلهف معنا إلى الوادي، وكان كل شيء يهتف بنا أن الوطن خير وأبقى ..

ثقافة مصر

[بقية المنشور على الصفحة رقم ٤٣٤]

تحت راية واحدة، وآخى بين أجناس أبنائها في سمط واحد — تدين لغير العرب، وتنطق بغير العروبة، وتنادي بسوى العربية؟ كلا ثم كلا.

لقد رأينا العرب — وقد قوضوا ممالك كسرى وقيصر، ونشروا سلطانهم من حدود الهند حتى شواطىء المحيط الأتلانتيكي — وهم في كل ذلك عرب لم يشب جنسيتهم شعوبية ولا نعرة قومية، فكانت العصبية سر نجاحهم، كما كان العامل اللغوي سبب ترابط مملكتهم المترامية الأطراف.

فالمدنية التي استطاعت أن تتغلب على مدنيتي الرومان والفرس، وأن تتغلغل في أوربا سبعة قرون، فتفرض سلطانها على مدنيتها العلمية فرضاً، مثل هذه المدنية محال أن تؤثر فيها نعرة كنعرة اليوم، أو تقوض من بنيانها لبنة واحدة فكرة لما تختمر بعد، أو تنال من عزتها المنيعة الجانب عاطفة لم تستقر على وحي من العقل، ولا إلهام من التفكير والمنطق.

فاطمئنوا أيها السادة على العروبة، واذكروا دائماً أننا عرب، سواء أشاء خصومنا أم لم يشاءوا، واذكروا إلى جانب ذلك أننا لا نهدم عزتنا المصرية، ولا نقلل من شأن تاريخنا المصري، أو ننسى روحنا المصرية، وقوميتنا المصرية، وتقاليدنا المصرية، ولكننا ننسى شيئاً واحداً فقط، في سبيل زعامتنا المصرية التي انتشر ظلها في أرجاء الشرق وبلاد العربية جمعاء، ذلك الشيء الذي نود نسيانه في هذا المجال هو الشعوبية التي تقوض الأمم وتبيد الشعوب، وقديماً قرر دين العرب أن لا شعوبية فيه والسلام؟

اللغة والشعر والنثر

فى جزيرة العرب

[من كتاب تحت الطبع بعنوان: قلب جزيرة العرب]

بقلم فؤاد بك حمزة وكيل خارجية الحجاز

اللغة

إذا استثنينا العدد القليل من مهاجرة العالم الاسلامى المجاورين فى الحرمين الشريفين ، فإننا نستطيع القول: إن اللغة الوحيدة فى البلاد هى اللغة العربية ، وبالرغم من وجود العناصر الأجنبية عن العربية فى الحرمين الشريفين وما صاقبهما ، فإن لغة التخاطب بين هؤلاء الأغراب أيضا إنما هى العربية . وبالنظر إلى كثرة الوافدين فى موسم الحج على بيت الله الحرام من أنحاء العالم الاسلامى وضرورة القيام على تعهدهم والعناية بشئونهم ، فإن كثيرين من أهل الحرمين يتقنون عدة لغات أجنبية يستطيعون بواسطتها أن يتفاهموا معهم .

وقد اعتور اللغة العربية فى المدن الحجازية وسواحل الخليج الفارسى شىء كثير من الوهن والضعف ، وخالطها كثير من الألفاظ والتعابير الأجنبية ، حتى إن الملاحظ ليدهش من كثرة الألفاظ المعربة والدخيلة مما دخل فى قاموس القوم ، وبالأخص العوام منهم ، ويحزن من ضعف شأن اللغة وقلة العناية بدراستها .

ولسنا هنا فى معرض الدخول فى تفاصيل هذه الكلمات الدخيلة أو العبارات الأعجمية ، ولكننا أوردنا قليلا من كثير مما هو شاهد على خفض حال اللغة العربية فى مدن الحجاز واختلاطها بكثير من اللغات الأعجمية وإهمال أهلها لها .

واللغة الفصيحة واحدة بالطبع فى جميع الأنحاء ، إلا أن اللهجات المحلية تختلف اختلافا بيناً ؛ فلغة أهل الأمصار الحجازية — كما ذكرنا — لغة عامية تشوبها كلمات وتعابير أجنبية عديدة ، وللكلمات مقاطع ونبرات ونغمات مختلفة قد بعدت عن أصلها العربى ؛ حتى إن الألفاظ الفصيحة — هى بالرغم من بقائها صحيحة التركيب — قد تطرق إلى تلفظها شىء حادث لا يشاهد عند سائر أبناء العرب .

وأما حاضرة نجد فإنها أقرب إلى اللهجة الفصيحة من حاضرة الحجاز ، وما سبب ذلك إلا بُعد أولئك عن مخالطة الأعاجم وقلة الدخيل فى لهجاتهم الأصلية ، ومع ذلك فإن اختلاف اللهجات بين البلدان المختلفة واقع ومشاهد .

وأما البادية فإن إطلاق تعريف شامل على لهجاتها غير ممكن أيضاً ، فهنالك بداة ماتزال لغتهم أقرب اللهجات منها إلى اللغة الفصيحة،على حين أن هنالك آخرين ليسوا من الفصاحة على شيء . وأهل نجد أصرح لغة من أهل الحجاز ، لقرب هؤلاء من الحرمين واختلاطهم بالأجانب،وبعد أولئك عن كل تلك العوامل ؛ ولكن أفصح اللهجات وأقربها إلى الفصيحة، فيما نعتقد ، هي اللهجات اليمانية الواقعة مابين جنوبى الحجاز وشمالى اليمن . وكثيراً ماسمعنا هل هذه البلاد يلفظون الكلمات من مخارجها الصحيحة ،ويتكلمون بما هو أقرب إلى الفصيح من سواه . وبعض البداة من أهل هذه المنطقة يخرجون جملا يظن منها الإنسان أنهم تمرنوا فى المدارس على إخراجها على ذلك النحو ، فى حين أن الحقيقة هى بخلاف ذلك ، لأنهم يتكلمون بالسليقة وعلى البديهة ، فيجىء كلامهم فصيحاً معرباً لا غبار عليه ؛ ويستعملون ألفاظاً نظنها فى الأقطار العربية المتمدينة مهملةمتروكة ، ولكنهم هم يستعملونهاعلى البداهة .

وبالرغم من وجود قبائل تتكلم بأقرب اللهجات إلى الفصيحة ،فإن هنالك كثيراً منهم يخرجون الحروف والألفاظ من الحلق على خلاف ما وضعت له ، كما أن هنالك حروفا تنقلب إلى أشكال وصور أخرى لاتخطر على البال، و تُنسى الشنشنة والتمتمة والكأكأة وغيرهابجانبها.

وإننا نورد هنا على سبيل المثال بعض الحروف والأشكال التى يخرجها أهلها بها، ليكوّن القارىء لنفسه رأياً فيما ذهبنا إليه :

الحرف	طريقة لفظه	مثال	القبيلة التى تنطق به
حرف الجيم	ى	الجيم فى مسجد تلفظ ياء	أهل اليمن والنمور فى وادى محرم
القاف والكاف	تس	حكى تلفظ حتسى	أهل نجد
» »	تش	بكى تلفظ بتشى	»
» »	ك مفخمة	قال تلفظ كال	»
» »	س	عبيكى تلفظ عبيسى	»
» »	ج	العقير تلفظ العجير	»
الضاد والظاء	ل	الظهر تلفظ اللهر	بنو سفيان
» »	»	الضيف تلفظ الليف	»
حرف الياء	بين الألف والياء	مطير تلفظ امطاير	»
أل (آداة التعريف)	م	البيت تلفظ أم بيت	أهل اليمن

وعربان شمر وسائر أهل الجبل يلفظون التاء المربوطة كالتاء الممدودة ، فيقولون للفهدة الفهدت ، والساعة الساعت ، كما أن بعضهم يقلب التاء المربوطة ياء ، فيقول فى الحويطات الحويطاى ، والشرارات الشرارى .

الشعر

الذين ينظمون الشعر الموزون فى البادية على البديهة قليلون جداً ، ولكن كثيرين فى البادية،فضلا عن الحاضرة،يقرضون نوعاً من النظم هو دون الشعر الصحيح ،فلا يراعون فيه ما يراعى فى الشعر الموزون ، ويسمون ما يقرضونه شعراً نبطياً . وهو من حيث أداء المعنى وإفادة السامع يقوم مقام الشعر الصحيح ، وفيه كثير من التوريات والكنايات والمجازات ، ولكنه على كل حال لا يتقيد بضوابط الصرف والنحو والمعانى والبيان . وقد أوردنا فيمايلى بعض الأمثلة على هذا النوع من الشعر النبطى اخترناها من منظوم قبائل مختلفة:

نبط حجازى

من نظم« خضر بن عويد النمرى»ألقاها بين يدى سمو الأمير «فيصل بن عبد العزيز » فى الدار البيضاء :

انتبه للخط خليه بثبات   لا تعيّن فى علوم مقفيات
كم صبى فارق الدنيا ومات   راح مثل العيد ومن العايدين
اسمع اقوالى وجود فى الكتاب   شابت اللحية وشوف الراس شاب
ما يبى يقعد على الدنيا شباب   كل منا للمحاسب رايحين
وانتبه للضيف يا صقر الصقور   لا فلا والله تخبر فالنفور
كثر الترحاب وعجل بالفطور   وقول هذا يسرنا يا محسنين
انتبه للهجرة اللى تستدير   فى البلد حاكم ومن تحته وزير
ضن قلبى غيرهم ما يستخير   حكمهم طيب على اللى طيبين
قرروها بالعساكر والسيوف   راح أبو فيصل نوى يصلى ويطوف
لازم الكرسى وله عسكر صفوف   من عيال الشرق معهم صادقين
روع العاصى ورده عن هواه   إلى أن قال الموت أخير من الحياه
ناشر البيرق مكانه ما طواه   يرقب اللى بالخيانة عاثرين
وأمن الخايف إذا راح الدروب   بالذهب يمشى إلى ديرة حروب
بعد كانت تأخذ الطرقى غصوب   شامهم فيصل وقالوا تائبين

نبط عتيبى

قال أحد العتبان مخاطباً عمه :

ياعم واوجدى على وساق (١) حرة (٢) ... بعيدة المرماح (٣) لو درت أنا الورك (٤)
نشرب حطافيل القلس يوم أفره ... والجيش من فوق الجواعد (٥) لهن عرك
تجفل إليا (٦) سمعت مع الحزم (٧) فره ... فرة قطاة حركت بيضها حرك

فأجابه عمه :

أبوك ياللى طلبتك بس حرة ... بينى وبينك سامك العرش يقهرك
ما قلت بزود (٨) قمة خشم حرة ... وبيت كبير وضامر البطن ينهرك
عسلوجة (٩) تلعب بعود الجرة ... تنهب قلوب أهل الهوى وأنت تسحرك
إن كان ربك ناوى لك مسرة ... احدر (١٠) حيال الأسباب واظهرك
وإن كان ربك ناوى لك مضره ... لو انت بروس الشواهق أحدرك

نبط شمرى

من شعر عبيد بن رشيد :

هيه ياللى لك مع الناس وداد ... ماترحمون الحال ياعزوتى (١١) ليه
ماترحمون اللى غدا دمعه أبداد ... طول الزمان وحرق الدمع خديه
من شوفتى للغر ومزبور الأنهاد ... متمشلح يطا على قدام رجليه
الشوك ماله عن مواطيه رداد ... أيضاً ولا سبت (١٢) قوى يوفيه
إليا عاد مانصل ونضرب بالحداد ... هبيت ياسيف طوى الهم راعيه

نبط عنزى

قال أحد موالى العمارات فى امرأة عشقها منهم، وأخرج من ديرتهم بسببها، فلما رحلوا عن المنزل عاد إليه يذكر المرأة ويبكيها :

أبكى هلى (١٣) ياناس مالى بعليوم (١٤) ... والظن من يبكى هله ما يلام
جيت المراح وصار بالقلب ملعون ... منازل الخلان هم والعمام
هذا مشب النار والحجر مثلوم ... مركا دلال متعبات الشوام
وهذى مرابط خيلهم دائم دوم ... عقب العيون مروبعات الهوامى
اقفوا (١٥) كما طير قلب رأسه الهموم ... بفج عميق ولا يندرى وين (١٦) هامى
أدنى منازلهم جثاثا وملوم (١٧) ... وأقصى منازلهم مداخى النعام
اليالفيت لديرة الأصحاب من قوم ... إفرح ترى حمد الرجال العلوم

١) مصادرة أو نهب (٢) ناقة (٣) الخطى (٤) يقصد حينما يركبها ويضع رجله حول عمود الشداد ، (٥) الجلود (٦) حينما (٧) الجبل (٨) أكثر (٩) من صفات الناقة الجيدة (١٠) انزل (١١) جماعتى (١٢) نعل (١٣) أهلى (١٤) ملوم (١٥) سافروا (١٦) اين (١٧) منازل

نبط عنزى من أهل الشمال

عينى جزت عن نومها بان الإصباح ... وعينى جزت عن نومها واسهرتنى
جيت لمنازل ربعنا وجيت المراح ... ولقيت مركا (١) دلالهم ذكرتنى
يادار لاتبكى أمر مضى وراح ... دور السنة يادار أرجيه ما يثنى
فارقتنى يادار كالبدر وإن لاح ... يوم أرحلت يادار ما شاورتنى

النثر

ضعفت كتابة النثر بضعف اللغة إجمالا ، واندثرت الكتابة الأنيقة الصحيحة من أكثر بقاع المملكة . أما فى البادية فقل أن يوجد من يكتب اللغة الصحيحة ، وأما فى الحجاز وحاضرة نجد فإنه توجد طبقة من المتعلمين والفقهاء وطلبة العلم يجيدون الكتابة ، إلا أنهم أقلية ضئيلة. وقد تناولت النهضة الحديثة شبان الحجاز فشرعوا فى اقتفاء أثر من سبقهم من إخوانهم وأبناء عشيرتهم فى الأقطار العربية الأخرى ، ولكن البلاد مازالت محتاجة إلى زمن كاف لكى تخطو المرحلة التى خطتها أخواتها . وهانحن ننشر فيما يلى أنموذجاً من الكتابة المستعملة فى البادية ليعلم منه ضعف التركيب وركاكة العبارة وعدم التقيد بالقواعد الصرفية والنحوية:

كتاب كبار عتيبة إلى جلالة الملك عبد العزيز

إلى جناب الإمام المكرم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل سلمه الله تعالى أبقاه آمين .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . بعد ذلك سلمك الله سمعنا بجهاد إخواننا الحروب واستأذناك فى القدوم إليك لأنه مابقى لدينا صبر ولا قرار إلا نشوفك ونتعرض لأمر الله ثم أمرك، ووصلنا هنا ومضى علينا عشرون يوماً مانبيتنا (٢) فى شىء وسمعنا فى قعودنا هذه ماكدر خواطرنا نسير (٣) على العيال وعلى إخواننا أهل العارض ونسمع عندهم فى هالجرايد بين قادح ومادح وحنا حاربنا الترك وابن رشيد والشريف ماصارت فوايهم (٤) مثل فوايه ابن رفادة فارة منطلقة من جحرها . وفهمنا أن هذا دسايس يسوونها أهل الشر مع مابلغنا من أفعال ها (. . . (٥)) عبد الله ومراسيله للعربان الشماليين وغير ذلك من الأمور الذى ماتخفى عليك بقى بالحاضر ياعبد العزيز كما قيل آية السيف تمحو آية القلم .

إن كنت ياوالى (٦) أمرنا شايف منا تقصير فأخبرنا به ونستغفر الله ونتوب إليه، إن كان إنك خابر إذا جانا أمرك توانينا عنه فهذه حجة لك علينا إن كان حنا إخوانك وخدامك

١ الموضع الذى توضع عليه الدلال لصنع القهوة (٢) أنبأتنا (٣) نزور (٤) من فائحة أى رائحة (٥) هنا ألفاظ لم تنشر (٦) ولى أمرنا .

المطيعين ذبحنا عدوك وذبحنا بنى عمنا دون ديننا وولايتنا وأنت تعرف ذلك منا ، نرجو من الله ثم منك أنك ترحمنا الله يرحمك وتفكنا من هذه العلة التى بكبودنا (١) حطت أعدائنا الحبة قبة والفارة أسد وحنا ممددين رجلينا أحد يزرع واحد يركب لابن سعود وتعرف الخذلان كله باتباع أذناب البقر ، اليوم حنا طالبين الله ثم طالبينك يوم الله جمعنا فى هالمحل أن ترخص لنا نتبع إخواننا والله يوم جرا هذا الكون من إخواننا وسمعنا برقيتهم لك وحنا لا عاد أكلنا ولا شربنا ولا عاد نمنا الليل وحنا مدخلينك على الله ثم مدخلينك على الله إنك لا تحدنا ولا تثبطنا من أمر فيه عز لديننا ودنيانا . العدو ماينقلب صديق والشر دائم فى أهله وحنا بغينا لا نجيك كلنا مرة واحدة ؛ ولكن نعرفك ماتحب التشويش وأخذنا الأمر بالآداب وقدمنا هذا المكتوب ورجانا من الله أن يمدنا بعنايته ثم ترخص لنا فان حصل المطلوب فنعم فان ما حصل فلا تلومنا إن جينا عند بابك وصحنا ونبرأ إلى الله أن يكون الأمر تجروا على أمرك أو لنا فيه حظ من حظوظ الدنيا إنما هو حفظ لديننا ومحاماة لوطننا ونحن منتظرين الأمر من الله ثم منكم والله يحفظك والسلام . م؟

إخوانك وخدامك

عتيبة

كافة كبار الروقة وكبار برقة

فى الطايف

---

١) أكبادنا

نظرات

كم ذا يعاشرنى خلّ فأحسبه … من صنعة الودّ أنقى من فلم الزَّهرِ

ونفسه فى مديد الغدر سابحةٌ … كأنها شررٌ يُلْقَى على شررِ

يريد بى ما تريد النارُ من حطبٍ … لولا التزوُّدُ من حامى ومن حذرى

مرسى شاكر الطنطاوى

تاريخ العقيدة الاسلامية قبل المعتزلة

بقلم الأستاذ على حسن عبد القادر
مدرس علم الأخلاق بكلية أصول الدين

قد بينا فى المقال السابق (المنشور فى « المعرفة » عدد يناير ١٩٣٣ ص ١٠٨٣) أهمية المعتزلة فى الاسلام ، وما لهم من تجديد فى علومه الدينية والفلسفية ، وكيف أنهم سلكوا بالثقافة الاسلامية طريق التفكير الصحيح حتى سموا « بالمفكرين الأحرار » (١) و«أهل العقل والنظر » (٢) .

ولما كانت عناية المعتزلة موجهة نحو مسائل الاعتقاد وأصول الدين ، ومدار أبحاثهم حول الكلام على العقيدة ، وما من شأنه أن يؤثر فى إيمان المرء أو عدم إيمانه ، فإنا نجد من الخير أن نلم أولا بالعقيدة الاسلامية فى بساطتها الأولى قبل أن تتعقد مسائلها وتتشعب طرقها ، بما أثارته الحوادث الداخلية من بحث وتفكير حول ذلك ، وبما كان للمعتزلة من أثر فى تحديد هذه المسائل وتنظيم هذه الطرق تنظيما أدى إلى ظهور علم الكلام . وقد يساعدنا هذا كله على تفهم العوامل التى ساعدت على نشأة هذه الطائفة وعملت على وجودها :

كانت أمور الدين ومسائل الايمان واضحة عند المسلمين فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، لتبيينه لهم كل ما يحتاجون إليه ، وتقريره لهم ما يصنعونه إذا اشتبه عليهم أمر من الأمور ، وإنذاره إياهم عاقبة الاختلاف إذا ظهر منهم ذلك . روى أنه عليه السلام خرج على قوم يتراجعون فى القرآن : فقال لهم مغضباً : «أى قوم ! بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتاب بعضه ببعض ، إن هذا القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض ، ولكنه يصدق بعضه بعضاً ، فما عرفتم منه فاعملوا به ، وما تشابه عليكم فآمنوا به » (٣) .

وقد جاء القرآن الكريم مقرراً لهذا . قال الله تعالى : « منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم ، يقولون آمنا به كل من عند ربنا » (٤) . وهكذا تحددت بكلام الله وهدى رسوله الكريم عقيدة الايمان سهلة بسيطة « إيمان بكل ما جاء من عند الله تعالى ، والعمل بما

---

1) Die Frei denker'un JSlam (see Steiner, Mu'tazeliten)
2) Les Bitionâlistes des L'J lam (see Galland, Essai sur les Motazelites
٣) ابن سعد ج ٤ قسم أول ص ١٤١
٤) آل عمران : ٧

استبان منه، وتفويض الأمر إلى الله فيما اشتبه»[١]، وفى هذا الطريق الواضح سار السلف الصالح رضوان الله عليهم فى حياة النبي وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم.

بيد أن هذه الحال لم تستمر زمناً طويلا، فقد بدأ يدب النزاع بين المسلمين فى شئونهم الداخلية، ثم كان الانقلاب الأموى الذى أوقع المسلمين فى اختلافات شتى، وأثار أسئلة دينية مختلفة عن شرعية النظام الجديد، وعن صاحب الحق الشرعى فى الخلافة؛ كما دعت حال الخلفاء الأمويين إلى ظهور آراء مختلفة فى أعمالهم وسلوكهم الدينى؛ فظهرت مسائل اعتقادية جديدة لم تكن معروفة قبل ذلك، وذهب الناس فيها مذاهب مختلفة؛ وهنا نقف قليلا عند نقد الخلقية الأموية لنرى كيف كان ذلك.

فمن المعروف أن الأمويين - منذ تبوءوا عرش الخلافة بعد هذه الفتن الطاحنة - بدت منهم روح أخرى مخالفة لتلك الروح التى كانت لسلفهم؛ فإن هذا السلف كان صالحاً تقياً متعبداً، يسير سيرة مطابقة لقانون الورع والزهد الذى حددته أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله، ولكن هؤلاء الخلفاء لم يبالوا ذلك كثيراً، ولم يستمرئوا عيشة البساطة والزهد، بل كانت حياتهم فى قصورهم حياة ترف وبذخ، وعيشتهم عيشة رقيقة لينة، وما ظهر من بعضهم من نسك، فإن ذلك لم يكن إلا فى فترات قصيرة، ولا يعد شيئاً بجانب حياة أبى بكر وعمر بالمدينة، والتى هى المثل الأعلى للحياة الاسلامية.

كما أنه كانت لهم بالنسبة للاسلام مقاصد أخرى غير مقاصد الخلفاء الذين كانوا قبلهم، وأرادوا أن يسيروا به فى طريق أخرى غير طريقهم؛ ويكاد يعبر لنا عن هذا أحد أنصارهم الحجاج بن يوسف الثقفى، لما زار ابن عمر فى مرضه الذى مات فيه، فلم يلتفت إليه ابن عمر فغضب وقال: «إن هذا يزعم أنه يريد أن نأخذ بالعهد الأول»، الأمر الذى يدل على أن خطة هذه الدولة كانت تخالف خطة العهد الذى قبلها؛ وعلى كل حال فإنهم كانوا يريدون أن يجعلوا من العرب المتحدة إمبراطورية عربية كبيرة شاسعة الأطراف، وأن ينشر لواء المملكة شرقا وغربا،

ومما لاشك فيه أن توسيع دائرة الاسلام وامتداد نفوذه كان مقصداً شريفاً نبيلا؛ وقد مكنتهم هذه السياسة من البقاء فى الحكم مدة أطول مما كان ينتظر، واستعانوا فى تأييد ملكهم وسلطانهم بالدين، فإذا ثار عليهم ثائر، أو خرج خارج، قاوموه مقاومة دينية، وأقنعوا الناس بأنه خارج على الاسلام، وأنهم إنما يحاربونه لمصلحته وثباته، حتى لو ذهبوا لغزو المدينة أو راموا الكعبة، فإنهم يزعمون أن مصلحة الاسلام فى تأديب ذلك العدو! وقد حاربوا العلويين بالرغم من انتسابهم للبيت النبوى.

---

١) قال ابن خلدون: « وهذا معنى قول الكثير منهم: اقرءوها كما جاءت، أى آمنوا بأنها من عند الله ولا تتعرضوا لتأويلها وتفسيرها لجواز أن تكون ابتلاء فيجب الوقف والاذعان له » مقدمة ص ٣٨٧

على أنه مع كل مامدحهم به الشعراء من أنهم حماة الاسلام، وما عملوه من توسيع دائرة الدولة الاسلامية،فقد بقيت حكومتهم مكروهة عند الناس مذمومة ثقيلة الوطأة [١] يتمنون زوالها، ويرجون أن يبدل الله هـذه الحال؛ وقد بقى هذا الرجاء ساكناً هادئاً،فلم يقوموا إزاءهم بعمل من أعمال الثورة، بل قابلوهم بالسكون والصبر والاستسلام، جرياً وراء مبدئهم من أن مصلحة الاسلام فى طرح الفتن واجتناب القلاقل،واكتفوا بهذا البغض الخفى الكامن، الذى كثيراً ماكان يظهر فى تلك الكلمات والدعوات التى صبت على هؤلاء الخلفاء. قال ابن عمر: « ما أجدنى آسى على شىء من أمر الدنيا إلا أنى لم أقاتل الفئة الباغية » [٢]،وكان ابن المسيب يقول: « ما أصلى صلاة إلا دعوت الله عليهم » [٣].

وكان من الواجبات الدينية الظاهرة للخليفة أو الأمير،أن يؤم الناس فى صلاتهم ويخطبهم، وكانت أعمال الأمويين غير مستقيمة مع الاسـلام فى كثير من الأحيان، فانظر مدى تبرم الناس من أن يقتدوا بإمام يعلمون مخالفته وعـدم استقامته. لاريب أنها كانت حال مؤلمة شديدة، ولـكن خشية الفتنة كان مبدؤهم الصبر، وأنه من مصلحة الجماعة أن يصلى الناس وراء الصالح والفاسق. هذا فى الواقع تصوير شعور الناس فى ذلك الوقت، وليس من شك فى أنه كان من غير الممكن أن تبقى هذه الحال،وأن يمكث الناس ساكنين كل هذا السكون إزاء هذا السلوك المعقد وتلك الحال الملتوية، فبدأ الناس يتساءلون عن « الإيمان والعمل»،وهل يكون إيمان بغير عمل؟ وما مكان العمل من الايمان؟ثم ماذا عسى أن نسمى هذا المسلم الذى لايعمل أعمال الاسلام؟

ويظهر أن هذا السؤال البعيد المدى عن الإيمان والعمل، كان أول سؤال اعتقادى نشـأ فى الاسلام دعت إليـه حال هؤلاء الخلفاء، ثم مالبث أن أصبح مجالا لاختلاف المسلمين وافتراقهم.

فأما السلف فكان جوابهم عنه مطابقاً لمبدئهم من الصبر والمسالمة لهؤلاء الخلفاء؛ وأن هؤلاء الذين لايعملون أعمال الإسلام،أو بعبارة أخرى: هؤلاء العاصين مؤمنون ولـكنهم فاسقون، فلم ينزعوا عنهم لقب الإيمان وإن كان إيماناً غير كامل، على حين كان الخوارج خصوم الدولة يكفرونهم،ويقولون إن اقتراف الآثام والمعاصى تخرج المرء من حظيرة الاسلام.

---

١) الفخرى ص ١٢٨

٢) ابن سعد ج ٤ ص ١٣٧

٣) ابن سعد ، ج ٥ ص ٩٥

وهناك حزب أجاب عن هذا السؤال بما هو أقرب تسامحاً مع هؤلاء الخلفاء، فقال إن الإيمان هو معرفة الله فحسب ، وليست الأعمال داخلة فيه ، وإن أهل المعاصي مؤمنون كاملون ؛ وكما أنه لاتنفع مع الكفر طاعة، لاتضر مع الإيمان معصية [١]. وهذا الحزب المتسامح هو حزب المرجئة ، من الرجاء لأنهم يرجون لأهل المعاصي الثواب وعدم العقاب، أو من الإرجاء وهو التأخير، لأنهم يؤخرون الحكم عليهم إلى الآخرة .

على أنه مما يؤسف له أن ليس لدينا عن هذه الطائفة إلا أخبار ضئيلة ؛ فقد اختفت جميع الأصول العربية عن عهد الأمويين ، وهو العهد الذى سيطرت فيه آراء هذه الفرقة وقويت شوكتهم بما لاقوه من تعضيد الخلفاء الأمويين لهم، لنصرتهم ودفاعهم عنهم؛ والكتب القديمة التى كتبت عن هذا العهد إنما كتبت أيام العباسيين ، ولذا فإن الأخبار التى وصلتنا عن المرجئة الذين سقطوا بسقوط الدولة الأموية ، إنما هى شذرات وجدت عند الكتاب فى العهد الأخير؛ وهناك قصيدة لأحد شعراء المرجئة وولاة بنى أمية فى عهد عبد الملك بن مروان ، هو « ثابت قطنه » وضحت بعض تعاليمهم، قال :

يا هند ! فاستمعى لى: إن سيرتنا ... أن نعبد الله لا نشرك به أحدا
نرجى الأمور إذا كانت مشبهة ... ونصدق القول فيمن جار أو عدلا
المسلمون على الإيمان كلهم ... والمشركون استووا فى دينهم قددا
ولا أرى أن ذنباً بالغ أحداً ... م الناس شركاً إذا ما وحد الصمدا
لانسفك الدم إلا أن يراد بنا ... سفك الدماء طريقاً واحداً جددا
من يتق الله فى الدنيا فإن له ... أجر التقى إذا وفى الحساب غدا
وما قضى الله من أمر فليس له ... رد وما يقض من شىء يكن رشدا
كل الخوارج مخط فى مقالته ... ولو تعبد فيما قال واجتهدا
أما على وعثمان فإنهما ... عبدان لم يشركا بالله مذ عبدا
وكان بينهما شغب وقد شهدا ... شق العصا وبعين الله ما شهدا
يجزى علياً وعثماناً بسعيهما ... ولست أدرى بحق أية وردا
الله يعلم ماذا يحضران به ... وكل عبد سيلقى الله منفردا [٢]

---

١) تعطى المرجئة للعصاة اسم الايمان على الكمال بخلاف السلف الذين يقولون انه مؤمن غير كامل الايمان — ابن حجر - ج ١ ص ٩٠ - ٩٣

٢) الاغانى ج ٨ ص ٩٢ راجع عن ثابت قطنة : ابن خلدون ج ٣ ص ٥٢ — ٥٦ ، والبلازري ص ٢٩ ؛

وتكاد تصور لنا هذه القصيدة، مع ما كتبه المؤرخون كالشهرستانى، جملة أفكار هذه الفرقة التى تتلخص فى هذا التسامح المطلق، وصدق القول فى كل الناس، وهذه الروح المطمئنة البعيدة عن الخوف والفزع، ثم هذه الميزة التى امتازت بها هذه الفرق، وهى إهمال العمل وعدم النظر إليه نظرة إلى أمر محتم. ذكر المقدسى قوماً من الرى فقال: «وهم قوم مرجئة لا يغتسلون من جنابة، ولا رأيت فى قراهم مساجد، وناظرتهم فقلت: ألا يغزوكم المسلمون وأنتم تعتقدون هذا المذهب؟ قالوا: ألسنا موحدين؟ قلت: كيف وقد أنكرتم فرائض ربكم وعطلتم الشريعة؟ قالوا: إنا ندفع إلى السلطان فى كل سنة أموال الجمة».(1) وهكذا قد اكتفوا من الإسلام بالتوحيد وطاعة أولى الأمر، وأهملوا الأعمال الإسلامية، بل قد تطرف بعضهم فلم يقنع بإهمال العمل فزعم أنه ليس من الكفر السجود للشمس، لأنه علامة كفر وليس بكفر (2).

وقد كانت نواة الإرجاء موجودة فى الصدر الأول من الإسلام، وكانت تمثل فكرة الحياد إزاء الأحزاب كالشيعة والخوارج. جاء فى الطبقات الكبرى أن بريدة الأسلمى الصحابى حينما عرض عليه رجل أمر على وعثمان وطلحة والزبير، قال: «اللهم اغفر لهم، قوم سبقت لهم مع الله سوابق، فإن يشأ يغفر لهم بما سبق فعل، وإن يشأ يعذبهم فعل، حسابهم على الله»(3)، وجاء فيه أن محارب بن دثار كان من المرجئة الأولى الذين يرجون علياً وعثمان ولا يشهدون بإيمان ولا بكفر(4). وذكر المؤرخون(5) عدداً من أجلاء السلف الذين عرفوا بالإرجاء، منهم: سعيد بن جبير، وطلق ابن حبيب، ومقاتل بن سليمان، وغيرهم من الأئمة مثل أبى حنيفة، وأبى يوسف: فقد كان يقال عن أبى حنيفة وأصحابه إنه كان مرجئاً وأكثر أصحابه معتزلة، وإن كان المشهور عن أبى حنيفة ترك الخوض فى الكلام، وكل ما فى الأمر - على ما وجه ذلك بعضهم أن أصحابه تعاطوا الكلام، وأن المتكلمين تفقهوا بمذهبه (6). ولعل الذى يلاحظ أن مذهب أبى حنيفة يستند فى روحه إلى أساس من التسامح الهادىء الذى هو ميزة المرجئة، فالحنيفية من بين المذاهب الأخرى متسامحون، وهذا اليسر والتسامح هو سبب انتشار هذا المذهب وذيوع آراء هذه المدرسة من بين المذاهب الأخرى.

وهذا الذى ذكرناه من رجوع فكرة الإرجاء - أو بعبارة أصح الاعتدال - إلى أصل إسلامى

---

1) أحسن التقاسيم: ص ٣٩٨

2) مقالات الاسلاميين - ج ١ ص ١٤١ - ١٤٢.

3) ابن سعد: ج ٤ قسم ١ ص ١٧٩

4) ابن سعد ج ٦ ص ٢١٤

5) الملل للشهرستاني ج ١ ص ١٩٤.

6) أحسن التقاسيم: ص ٤٢

بحث ،هو ماهدانا إليه بحث المصادر العربية،ويعزو (فون كريمر) فى كلامه عن الفرق الإسلامية أفكار المرجئة إلى تأثير الفلسفة اليونانية التى أثرت فى الإسلام فى وقت مبكر ، بواسطة المسيحية فى دمشق ؛ فمن المعروف أن الكنيسة الشرقية قد تنازعت مع الكنيسة الغربية فى مسألة المعاصى والخلود فى النار،وتمسكت الكنيسة الشرقية أخيراً بنهاية العذاب وعدم الخلود، ومن هنا نشأت اقتناعات المرجئة اللطيفة السهلة ، من أمثال يحيى الدمشقى الذى كان يشغل فى دمشق هذه الأثناء مركزاً سامياً، فقد كان مستشاراً فى البلاط الأموى (١) .

وعلى كل حال فقد أصبحت مسألة الإيمان والعمل موضوعاً للمحاورة فى المجتمعات العلمية والمجالس الدينية ، وعقدت به براهين اعتقادية ؛ وسيأتى لنا : كيف أنه كان النقطة المبدئة للاعتزال ، وكيف أظهر « واصل بن عطاء » قوله بالمنزلة بين الإيمان والكفر .

وقد جالت فى الأبحاث الدينية مسألة أخرى تتعلق بهذه المسألة شرحتها كذلك أفكار المرجئة،وهى « زيادة الإيمان ونقصانه » ، وبالطبع كانت الزيادة والنقصان غير ممكنة عند المرجئة الذين يلاحظون أن العمل الذى يزيد وينقص،غير داخل فى الإيمان ، وحينئذ لا يتبعض الإيمان ولا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل فيه ، وقد جاء القرآن الكريم مصرحاً بزيادة الإيمان والهداية،وأن كثير العمل وقليله يتبعه زيادة الإيمان ونقصانه ، ولذا فقد تمسك السلف على طريقتهم فى عدم التأويل.وقالوا : «إن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص » (٢) .

هذا بيان قصير عن العقيدة الإسلامية والأبحاث التى أثيرت حولها،ومن ذلك كله نستطيع أن ندرك مقدار الحذق والمهارة التى كانت تدور عليها رحى المحاورات فى هذا العصر الذى نشأت فيه المعتزلة ،وقد آن لنا أن نتكلم على ذلك ، وهو ماسنعالجه فى المقال المقبل إن شاء الله تعالى . ؟

على حسن عبد القادر

---

١) uon Kremer ,ztsreif züge S^J

٢) مقدمة ابن خلدون ص ٣٨٦ البدء والتاريخ ٥ ص ١٤٨ :

المعرفة فى الحجاز

مدام ماريا منتسورى

[من كتاب تحت الطبع]

بقلم المربية الفاضلة

الآنسة زينب الحكيم

فذلكة تاريخية

مدام ماريا منتسورى مربية إيطالية الجنس . ولدت بإحدى مدن إيطاليا ، ونالت نصيبها من التعليم كسائر فتيات عصرها ، حيث دخلت المدارس الابتدائية فالثانوية ، ثم رغبت فى أن تكون طبيبة ، فدخلت مدرسة الطب ، وساعدها دأبها ومهارتها على النجاح الباهر ، ولما أتمت دراستها أخذت تتمرن فى المستشفيات المختلفة ، وكانت فى خلال تلك المدة مثالا حسناً للجد والاجتهاد .

بعد انتهاء مدة التمرين اشتغلت بملجأ للأطفال البلهاء المصابين بالعاهات العقلية ، والذين فقدوا القدرة على استعمال بعض حواسهم كالابصار أو السمع الخ . فدأبت على الاشتغال بإخلاص فى إيجاد أنجع الوسائل لتحسين حال هؤلاء المساكين ، فأعدت لهم بعض الوسائل لتدريب عقولهم وحواسهم .

وفى تلك الأثناء دلتها الخبرة والتجربة ، على أن أحسن طريق لتمرين وتقوية الإدراك فى الأطفال ، هو إيصال المدركات إلى أذهانهم بواسطة الحواس ، ووجدت أنه لا يتم ذلك إلا عمليا وباشتراك حاسة مع الأخرى فى ذلك ، حتى إذا فشلت واحدة نجحت الأخرى ، فاتبعت هذه الطريقة فلاقت نجاحا شجعها على زيادة البحث فى هذا المشروع الانسانى .

ولما أدهشها ما رأته من التقدم المحسوس فى معالجة الأطفال البلهاء على هذه الطريقة ، جعلت تفكر فى نفع الأطفال عموما ، بإعداد الوسائل التى تقوى جميع حواسهم ، لأنها أيقنت أن الإدراك لا يتم إلا إذا كانت جميع أعضاء الحس صحيحة ونامية نموا كاملا .

ثم إن ماريا تزوجت ، وكانت تتردد على زيارة المدارس وتتباحث مع معلميها ومعلماتها ونظارها ، ولما أن توفى زوجها أسرعت إلى تنفيذ فكرتها ، فاشتغلت بتعليم صغار الأطفال على هذه الطريقة الحسية العملية ، ووضعت نصب عينيها صحة تربية الحواس ، حتى تكون عونا للطفل على التعليم الصحيح .

وقد ذاع صيتها وانتشرت طريقتها بفضل ما نشرته من مقالات فى شهرى مايو وديسمبر عام ١٩١١ ؛ كذلك ظهر لها مقال فى يناير سنة ١٩١٢ فى مجلة مكاير Mc-clure معلناً شيئاً عن

عملها . على أنه بعد ظهور أول مقال لها ، اهتم كثيرات من الانجليزيات والامريكيات ، بفحص عملها وطريقتها التى وجدتها جديدة ومهمة ، مهمة على الأقل باعتبارها أول عمل من نوعه ابتكارى فى برنامجه وفى تطبيقه العملى ، قامت به سيدة أعملت فيه فكرها ويدها .

كما أنه مشروع خصته بجزء كبير من عطفها النسوى ، وضمنته أوسع حالات المجتمع وطرق التعليم الصحيح ، والمثابرة على تلقى وفحص أبواب المعارف ، مما جعله مشروعا اعتبره قادة التربية والتعليم فى العالم . ولقد انقطعت لعملها وتفرغت له بكل إخلاص كما فعل بستالوتزى وفروبل من قبلها وترتيبها عملها مما تلفت ظر .

ولقدد عارض البعض مدام منتسورى فى أنها أوجدت هذه الفكرة، وأثبتوا أنها لم تأت شيئاً جديد فى التربية، حيث سبقها بستالتسى وفروبل وابن خلدون وغيرهم إلى إثبات ضرورة تربية الحواس .

ونحن إذا نظرنا إلى محتويات كتابها المعروف « بطريقة منتسورى وشرحها » ، وتأملنا ماهيأت فيه من طرق ووسائل تستعمل مع النشء ، ولاحظنا كيف بنت الوسائل (جهازها المعروف باسمها) على حرية معقولة للتلميذ ، وما يحتوى على تمرين مباشر فردى للحواس والمشاعر والقوى العقلية ، وكيف يرشد إلى سرعة وسهولة التغلب على القراءة والكتابة والحساب .. لو تأملنا فى أى نقطة من تلك النقط لما وجدنا واحدة منها جديدة ، أو لم تذكر فى أساليب التربية ، بل إن بعضها قد استعمل عملياً وبدقة .

فمثلا كثير من وسائل (دكتور لتر فرنلد) رئيس مدرسة ناقصى العقول ، يضارع وسائل منتسورى ، وكثيراً ما أشار ولتر إلى إمكان استعمالها بنجاح مع الأطفال الأصحاء . وربما يهم الباحث معرفة أن (صجين sèguin) الذى جعلت مدام منتسورى عمله أساساً لعملها ، كان فى زمن ما رئيساً لمدرسة ناقصى العقول التى كان بها ولتر .

وكثيراً ما أشار أساتذة علماء النفس إلى أهمية التمرين المباشر للنقص النفسى الحسى .

ولكن المهم والذى يجب أن نذكره إنصافا لمدام منتسورى ، هو أنه لم يتمكن أحد قبل منتسورى من إظهار خطة تتضمن ارتباط جميع النقط المتقدمة ؛ لأنها فهمتها وبالغت فيها من حيث التمرين وعممتها فى المدارس . ومما لا ريب فيه أن كل هذا نتيجة عملها ومساعديها . أما وضع ملخص تجاربها فى برنامج التربية للأطفال الأصحاء فعملها منفردة .

والنقط التى اقتبستها من عمل المربين ـ قدماء ومحدثين ـ إنما اقتبستها لأنها توافق مبادئها .
على أن عملها ليس ابتكاريا بنسبة عمل فروبل مثلا ، بل بنسبة أنه عمل جديد أجهدت نفسها فيه امرأة .

ونرى من اللازم على كل مربية أن تعرف برنامجها وأجهزتها ، بغض النظر عن أن معظم هذا لم يسهل جميع المسائل التى تتعلق بتربية النشء ، وبالرغم من أن هناك بعض الخطط غير الصحيحة . ولو أن الأمور تجرى على غير ذلك فى شتى التجارب لخدت جميعها فى التعليم وغيره ؟

زينب الحليم

الحياة وكيف تتكون

بقلم الأستاذ محمد على الحوماني [لبنان]

الحياة حياتان: أولاها حيوانية، وهي السر الكامن في الجسم الحي الحساس ينبعث عنه الفعل أو ينفعل هو بما يعرضه في الحياة ، يشترك فيها الحيوان والإنسان، ويعبر عنها بالحياة الأولى. وثانيتهما إنسانية محضة ، وهي جماع ما في الانسان من جوهر، أي أنها نواة العلم والفن فيه.

فالإنسان إذن يحيا حياتين :حياة جنسية وهي التي يشارك بها الحيوان في الحس والحركة، وحياة نوعية وهي التي تسعى به إلى المثل الأعلى .

وإذا كان العلم والفن من مظاهر هذه، كان مبعثها العقل والفكر ثم العاطفة ، ومن هنا تمتاز الإنسان عن الحيوان ،على أنا لا نستطيع أن نحرم الحيوان من هذه الثلاث ، فهو ذو عقل وفكر وعاطفة، ولكنها فيه أضعف منها في الطفل ،ولم تكن لتنمو معه نموها في الإنسان.

والإنسان يريد بطبعه (أي مع الحياة الأولى) أن يحيا مستقلا عن غيره- كفرد - لا يهمه إلا أمر نفسه، كما نجد ذلك في الحيوانات، وحشية وأليفة. ويريد بعقله (أي مع الحياة الثانية) أن يحيا مدنياً ، كأمة ، مفتقراً إلى أخيه الإنسان. والعقل أدرك ضرورة هذه الحياة الاجتماعية منذ الأزل فقررها في النفوس حتى استحالت غريزة ، فكان من الحكمة أن قيل : « الإنسان مدني بالطبع » .

أدرك العقل أن هذا النوع من الحيوانات يجب أن يسود العوالم بفضله هو (1) لما امتاز الإنسان به عنها ، فكان من الحق له أن يعتبر ما سواه مخلوقاً له إذ هو الأشرف .أدرك ذلك فتمشى إلى سن القوانين الاجتماعية لحفظ هذه الحياة ، وكان فاتحة هذه النظم نظام الخلق وترسيخه في النفس حتى يحول غريزة .

من الحق أن نكبر مجهود العقل الأول في خلق الإنسان مدنياً بعد أن كان وحشياً، ومن الحق ألا نجور في الحكم عليه فننسبه إلى الضعف إذا قسناه على عقل الإنسان اليوم ، ومن الحق فوق كل ذلك ألا نقيس به العقل الحديث، وهو يخلق ويبتدع، إذ هو في خلقه وإبداعه إنما يبنى على أنقاض بناء العقل الأول .

العقل الأول قطع ألوف الأعوام جاهداً في إخراج البشرية من ظلمة التوحش إلى نور المدنية، ومن دور الهمجية إلى دور الرقي ، وأكبر عقل في هذا الجهاد عقل كشف عن آثار المبدع الأول في الكون، ليصل به إلى تثبيت دعائم الأخلاق في تمدين الانسان عن طريق الدين.

---

(1) أي العقل نفسه .

فقد خلق هذا العقل فكرة الأخلاق، وهى الروابط الاجتماعية، وأراد تقريرها فى النفوس ليحيلها جزءاً منها تتمشى معها فى جميع أدوار الحياة، فرأى من الشاق الذى يكاد يستحيل عليه أن ينسبها إليه وهو إنسان، ولقد يكون مطاعاً فى الخاصة، وهى تدرك ضرورة هذه الروابط بين الانسان والانسان لو شاء خلق هذه الصلات فى نفوس الخاصة، وهى أشباح تكاد تتضاءل فى سواد العامة.

رأى فى البدء ضرورة كون الانسان مدنياً فخلق فكرة الأخلاق ليكون آمناً إلى جنب خيه الانسان، ورأى أن الخوف والطمع أقوى الغرائز فى النفس وأشدها تأثيراً فى الانسان، فخلق فكرة الجزاء ثواباً وعقاباً، ورأى أن فكرة جزاء القوى للضعيف إنما تتمشى فى الجهر من قطع هذه الصلات (الأخلاق)، وأما السر فيستمر حائلاً بينها وبين رسوخها فى النفس، فخلق إذ ذاك فكرة الدين.

نقول إن العقل قد خلق فكرة الدين، ولانحاذر شغب من ينتمى إلى الدين من شيوخنا السذج، بعد أن أثبتنا أن العقل فى الانسان يشير إلى المثل الأعلى فى الكون وهو مبدعه، فما يأتيه فإنما هو أثر من آثار القوة العليا مناط هذا الخلق الخاضع لها قسراً.

نقول ذلك ولعلنا أشد نقمة على شبابنا المتنطع فى شهواته، والذى يرمى بأقواله وأعماله إلى الإلحاد، غير مبال ما يجره وراءه من ضرر على نفسه وغيره، ولقد كان خليقاً أن يحمل على عذر لو كان إلحاده نتيجة علم أعمل فكره فيه من وراء البحث والتدقيق، ولكنه كان فيه كالببغاء يحكى من دعاه إلى هذه الدعوى، عوج فى خلقه وشهوات إطغاء هواه بالاسترسال فيها. رأى الدين أمنع هذه الحواجز بينه وبينها فراح يحمل عليه حملات الأحمق بعقلاعه الواهى على أمنع الحصون وأشدها قوة وبأساً ....

الأخلاق وتأثيرها فى تطور الحياة:

أما وقد عرفت الحياة التى يتمشى إليها الانسان فى طريقه إلى المدنية، فاعرف أيضاً أن مناط هذه الحياة تلك الروابط الاجتماعية والصلات المعبر عنها بالأخلاق، والعلم الضرورى من لوازمها، أما البلوغ فى العلم فهو من كمالاتها، وإذا توفرت فى الأمة علومها إلى جنب هذه القواعد (الأخلاق) كانت سيدة الأمم ذات السيطرة والنفوذ، فليس لأمة فقدت الأخلاق حياة تنهض بها مهما بلغت من الرقى العلمى، فهى وإن كانت حية الأفراد بالعلم ميتة الجماعات لما يعوزها من خلق يربط الفرد بالفرد لتكون جماعة فتكون أمة ..

فحياة الأمة بالأخلاق مع الجهل كاملة، ولكنها مع العلم أكمل. أما هى بالعلم دون الأخلاق فناقصة، ولكنها بالجهل دونها أنقص. فالاسلام نشأ تحضنه الأخلاق، وشب عليها مع العلم وشاب وهى تضمحل فيه.

وإذا كان الوفاء والعطف والمحبة والسخاء والغيرة والحمية ونحوها من دعائم الأخلاق، لزمنا اعتبار التضامن الانسانى رأس هذه الروابط، لأنه جزء مقوم فى حياة الأمة ويتألف من هذه الصلات كلها أو بعضها .

وقد نرى الأمة يعوزها شىء من الأخلاق، على حين نجدها تزاحم الكواكب برقيها، ذلك أنا إنما نعنى بالأخلاق معظمها فى الأمة، لا أن رقى الأمة متوقف على مفهوم الأخلاق كليًا بحيث لا يشذ عنه جزئى واحد . ففى الغرب شعوب كثيرة نجدها فقيرة من هذه الصلات من حيث الطبع، ولكن القانون يحجر عليها خرقها، ففى نظمها السياسية ما يغنى عن النواميس الطبيعية فيها، على أنا قد نجد أن للأخلاق الغربيــة قبل النهضة أثراً فى مدنيتها بعدها ، فإن المجد الذى شاده الإسلام فى بدئه بفضل الأخلاق، ما زال يخدم المسلمين بضعة قرون لاسيما وقد دعمه العلم.

على أنى لم أجد فى الغربى ما أنقمه عليه من حيث الأخلاق: فقد رأيت فيه الصدق والأمانة والسخاء والعطف الانسانى والغيرة على وطنه والحمية لقومه، وإذا بدا لنا عدم ذلك فى السياسة الخرقاء التى تمثل لنا الغربى: فإن للسياسة أوضاعاً قد لا تتفق وآراء الشعوب المسيطرة عليها بها، ولقد شهدت بنفسى بلاد الغرب وتغلغلت فى صميمها وامتزجت بشعوبها وأشرفت على نفسيات الخاصة فيهم والعامة من معظمهم، فرأيت أن السياسة الخارجية للسكسونى واللاتينى تكاد تتباين وسياستها داخلياً، وما يفعل البريطانى أو الإفرنسى خارج بلاديهما قد يخفيه فى الداخل: ولنا أن نحمل الشعب القومى على عذر فيما إذا رأى أن حكومته على حق فى استعباد الشعوب الضعيفة، وهو مشبع الروح اعتقاداً بأن سيطرة أمته على غـيرها من الأمم حق، لما تسبغه على العالم من خير فى إخراجه من ظلمات التوحش إلى نور المدنية .

وقد نرى بعض الأخلاق فيهم تتحول من جهة نافعة إلى جهة أنفع، فالكرم الخاص الذى نعرفه ونكاد نقصره على بذل الطعام والصدقات اليومية، قد نجده تحول فى الغرب إلى البذل فى سبيل العلم والرأفة بالانسانية، فإذا ترى أحدهم عمد إلى مستشفى يبنيه أو معهد يخلده بدافع الرحمة والعطف الانسانى ، وإذا نقصهم ما تزداد تمسكا به من غيرة على العرض فى معرض الشهوات فقد ينقصنا ما يزدادون به تمسكا من غيرة على البلاد فى معرض التنافس الاجتماعى: وحسبى أن التضامن والاتحاد والصدق والأمانة وحب الوطن ونحوها من الروابط الاجتماعية التى فقدناها هى أشد رسوخا فى نفوسهم من حب المادة التى جبلوا عليها وتهالكوا فيها ؟

[البنطية . لبنان] محمد على الحومانى

فى الادب الانجليزى

أثر النهضة الاوربية

فى الأدب بانجلترا

بقلم الأستاذ رشدى ميخائيل السيسى

فى أواخر القرون الوسطى أخذ يغمر أوربا بالتدريج تجديد شامل فى الأدب والاجتماع والسياسة والدين لعدة عوامل مستحدثة ، فكان أن خرجت أقاليم هذه القارة من غمرة العصور المظلمة التى لم يك بها أى أثر للحرية الفكرية إلى عصر آخر منير انطلق معه الفكر الأوربى من إسار الجهل وعقال التضييق ، ولقد تعارف المؤرخون على أن يسموا فترة التجديد هذه من تاريخ أوربا بعصر النهضة الأوربية «Renaissance» .

وليس يعنينا أن نحدد مبدأ هذه النهضة أو نعرف هل هو فى القرن الثالث عشر أم الذى يليه ، ولا أن نحصر العوامل التى أنتجت هذه النهضة ، إنما الذى يعنينا ويهمنا أن نثق بأن هذه النهضة قد درجت فى سبيل التقدم فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وعاشت نامية فتية حتى أدركت القرن السادس عشر ، فانكشفت منها مآرب عدة اختلفت صورها باختلاف أمم أوربا ، فانتحت بإيطاليا وفرنسا ناحية الآداب والفنون ، وبألمانيا ناحية الدين ، وبأسبانيا والبرتقال ناحية الاستكشافات الجغرافية ، أما بانجلترا فقد تشعبت إلى معظم هذه النواحى ، ولذلك تأخرت هذه الأمة فى تكريس عنايتها الحقة بالأدب حتى عصر اليصابات فى أواخر القرن السادس عشر لأسباب محلية محضة . ولا بد أن نعترف بما كان لتأخر ظهور النهضة فى انجلترا من الأثر الكبير فى تسهيل نجاحها ، فقد كان انتفاع كتاب الانجليز بما لديهم من آداب اللغات الأوربية الحديثة من أكبر العوامل التى نهضت بلغتهم بسرعة تكاد تعدم مثيلا لها ، وكان أن تميزت النهضة الانجليزية بعنايتها فى نشر كتب الأقدمين بلغة البلاد ، فترجمت إلياذة هومير وخطب شيشرون ومصنفات فيرجيل وأوفيد وغيرهما إلى الإنجليزية ، ولا يخفى ما فى ذلك من المساعدة على بث روح النهضة الأدبية بين طبقات الأمة .

وفى الحق أن النهضة الأوربية بشتى عواملها قد أثرت فى الأدب الإنجليزى أيما تأثير ، حتى بلغت به فى هذا العصر الأليصاباتى حداً من الروعة والازدهار يسوغ له أن يتحدى عصر بركليس الذهبى فى الآداب اليونانية بوفرة إنتاجه وخصوبته وبتعدد الشخصيات الأدبية العالمية

التى ظهرت آنئذ، أمثال: شكسبير وابن جنسون BenZ onson فى الشعر التمثيلى، وملتون وسبنسر فى الشعر غير التمثيلى، وباكون وهوبز فى الفلسفة، وهوكار وتايلور فى اللاهوت، ولورد كلارندن فى التاريخ، وهم فحول أُدباء الطبقة الأولى .

ونحن إذا عدنا القهقرى إلى ما قبل هذا التاريخ بقرنين، أعنى فى أواخر القرن الرابع عشر، نجد أن « شوسار » الشاعر الانجليزى الكبير قد تأثر فى كتاباته بالأديب الإيطالى الكبير « بوكشيو » الذى اشترك فى تحطيم خرافات القرون الوسطى، وعمل على إقامة صرح النهضة الشاهق على أنقاض هذه الخرافات ، ومن شوسار انتقل ذلك الأثر إلى من بعده من كتاب الانجليز ، وإذن فها أنت ترى أنه كان فى المقدور أن يتأثر الأدب الانجليزى مبكراً بالنهضة الأوربية لولا بضع عوامل محلية يمكن تلخيصها فيما يأتى : —

١ — انعزال انجلترا عن بقية ممالك أوربا، وخاصة عن إيتاليا مهد النهضة ومنبعها .

٢— تبديد نشاط رجال الأدب وتشتيت جهودهم لانشغالهم مع الأهلين بحرب الوردتين الأهلية.

٣ — وفرة الملوك والملكات الذين حكموا البلاد فى هذه الأثناء واختلاف نزعاتهم ومشاربهم، الأمر الذى كان يدفع البعض منهم إلى الإمعان فى إساءة الحركة الفكرية بالبلاد لمعارضة السالفين فحسب .

٤ — انصراف الأدباء عن الإنتاج إلى حين، لاشتراكهم فى حركة الإصلاح الدينى .

٥ — تورط العرش فى تقييد الحرية الفكرية فى بعض الأحيان، كما حدث من الملكة مارى تيودور التى اشتطت فى محاربة معارضى سياستها ومخالفى مذهبها الكاثوليكى .

وقد كان من نتائج هذه العوامل أن رزئت انجلترا بجفاف فكرى وبعقم بئيس فى شخصياتها الأدبية الكبيرة وأن قل فيها الانتاج الأدبى ، وكان من المقدر أن تطول فترة هذا العقم الأدبى لولم يسخر الله للأدب الانجليزى آنئذ معظم عوامل النهضة الأوربية فأمدته بمناعة ضد الانحطاط المنتظر ولقحته بما أنبت شجرة الأدب الأليصباتى المتشابكة الأغصان . نعم، فلولا اختراع الطباعة وفتح القسطنطينية وما ترتب على هذا الفتح من الإقبال على ترجمة المؤلفات الأدبية القديمة فى نهم وظمأ ، ومن انتشار العلماء المعلمين بمعظم بقاع أوربا ، لاختلفت حال انجلترا الأدبية فى هذه الحال عما وصلت إليه.

وليس ثمة مايمنعنا من أن ننبه بأن نهضة إحياء العلوم « وهى إحدى نتائج فتح القسطنطينية » قد اتجهت بانجلترا اتجاهات خاصة لم يكن الأدب أحدها ، أو كان على الأقل بعيداً عنها فى مبدأ الأمر ، ولذلك تشكلت أو تقمصت فى هياكل السياسة والدين والاجتماع، بيد أن هذا لم يظل إلا لما بعيد الاصلاح الدينى فحسب ، وبعد هذا شملت الأدب أيضا .

أثر فتح القسطنطينية:

ويذهب شيخنا الأسكندري في كتابه « تاريخ أوربا الحديثة » إلى تقرير بضع عوامل لظهور نهضة إحياء العلوم «Reuiual of Learning» في ذيلها جميعاً « فتح القسطنطينية » . وأنا أريد أن أخالف شيخنا الفاضل فيما ذهب إليه، إنما بقسط ، ذلك لأني أعتقد اعتقاداً جازماً أن فتح القسطنطينية لم يكن السبب الأول والوحيد في ظهور نهضة إحياء العلوم هذه فحسب ، بل من أقوى الدعامات التي قامت عليها النهضة الأوربية ذاتها .

أجل ، فقد كان من نتائج هذا الفتح في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، أن انتقلت أوربا إلى عصرها العلمي الحديث ، فإذ كانت القسطنطينية في ذلك العهد هي محط الفلاسفة والعلماء الأعلام، خشي هؤلاء جميعاً – بعد هذا الفتح – أن تصادر حرياتهم وأن تنتزع منهم كنوزهم من المؤلفات العلمية وأن يرغموا على القيام بأمور تأباها كرامة العلم ، فهجروها حاملين معهم هذه الكنوز الأدبية إلى حيث حطوا رحالهم بإيطاليا، ومنها انتشروا إلى بقية ممالك أوربا . وإذ كانت فلورنسا بإيطاليا هي أول مكان حط به هؤلاء العلماء المشردون رحالهم ، فقد سبق هذا الإقليم بقية بقاع أوربا في هذه النهضة العلمية الحديثة . وقد سارعت أسراب الشبان من جميع أنحاء أوربا إلى فلورنسا كيما يشبعوا نهمهم من ذخيرة العلوم والآداب التي تكدست فيها ، ولم يكن نصيب الانجليز من هذه العلوم بأقل من غيرهم، فقد هاجروا إليها حيث تعلموا اللغات الحية وتشبعوا بالآراء الحديثة في الاجتماع والأدب، ثم عادوا إلى بلادهم وهم مثقلون بأسلابهم الثمينة، فلم يضنوا بها على مواطنيهم إنما وزعوها في إخلاص وفي غيرة صادقة فذاعت هذه الآراء وهذه العلوم بانجلترا أيما ذيوع .

وفي الفترة التي أعقبت هذا الفتح قام نزاع ديني عنيف بين الكنيسة الكاثوليكية ومعارضيها من راغبي الإصلاح الانجليز ومن المتطرفين ، فأثر هذا النزاع – إلى أكبر حد – في مدى انتشار الثقافة الحديثة ، إذ حاربها رجال الدين وشنوا عليها الغارة ، لاعتقادهم أنها السبب المباشر في تحرير الأذهان وتمردها وخروجها على طاعة الكنيسة ، كذا أثر في الثقافة أن اضطر الشعب كله إلى الاشتراك في هذا النزاع وانصرافه عنها ولو إلى حين .

أثر اختراع الطباعة:

وفي منتصف القرن الخامس عشر وقع حادث هام في تاريخ الأدبيات كلها ، أجل ، فقد اخترعت الطباعة إذ ذاك بالطريقة المستعملة حديثاً، وبهذا الاختراع حفظ الأدب القديم من الضياع، بل انتشر هو والمستحدث في كل مكان وذاع أكبر ذيوع ، وكان « وليم كاكستون » أول انجليزي اشتغل بالطباعة وإن كان قد سبقه في هذا الفن « يوحنا جوتنبرج » الألماني.

نشر كاكستون عدة كتب قيمة استنفدت منه مجهوداً كبيراً لصعوبة الطباعة آنئذ ، وأهم هذه الكتب على الإطلاق كتاب « لعبة الشطرنج » و « حكم الفلاسفة » و« تاريخ ترواده » .. « والخرافة الذهبية » ، وبهذا المجهود الرائع وغيره من جهوده الجبارة تيسر لكاكستون أن يحافظ على مستوى الانجليزية من الانحطاط ، ذلك المستوى الذى وصل إليه شوسار الشاعر الانجليزى الكبير ، وفى الحق أن عمل كاكستون ، وإن كان آليا محضاً ، ولكن فضله على الأدب لا يمكن إغفاله لحاجة البلاد اللازمة إذ ذاك إلى المؤلفات القديمة القيمة ، هذا عدا حسن اختياره للمؤلفات التى قام بطبعها ، الأمر الذى ساعد على تهذيب اللغة إلى حد كبير .

أثر الترجمة :

وقد استهل الانجليز استغلالهم للحركة العلمية بترجمة المؤلفات القيمة لكبار الفلاسفة الأقدمين من الإغريق والرومان أمثال فيرجيل وأوفيد وشيشرون وديموتينس ، وفى الحق أن نهضة الأدب الانجليزى وازدهاره تعود فى أساسها إلى فضل هذه الفترة بالذات ، وإن ترآى لغير الراسخين أنه قد ابتدع ابتداعا ، نعم ، فإن الدراسات المتواصلة لهذه المؤلفات قد خلقت فى الانجليز ذوقا أدبياً على غرارها وعلى نمطها ، أجلى مايستبينه الأديب فى مؤلفات (ملتون) الرائعة وغيره من كتاب وشعراء العصر الأليصاباتى المشهورين ، وكان أن تأثرت هذه الأدبيات بالروح اليونانية واللاتينية إلى أبعد حد ، وباتت مؤلفات كبار شعراء الانجليز الأوائل كشوسار لاتعامل كمثل أعلى يجب أن يحتذيه الأديب الانجليزى ، بل اقتصرت أهميتها على مجرد ماتتركه من أثر فى نفوس دارسيها الذين لم ينقذوها من نقدهم بعد تحررهم من قيود التقاليد .

أثر التحرر الدينى :

كذا تأثرت أدبيات هذا العصر بروح حرة جريئة ، هى ثمرة الإصلاحات الدينية التى حررت العقول إلى حد ما ، وخففت عنها أعباء العادات والتقاليد ، فكان أن تيسر ذيوع الأدب بين كافة طبقات الشعب دون تحرج من قوانين الكنيسة الكاثوليكية التى كانت تقيده فى كثير من الأحيان وتحرم بعضه ، وكان أن ظهر من بين رجال الدين أدباء بارعون عالجوا الكتابة فى سهولة وفى إبانة وتشويق ، وأجلى مايستبين القارىء هذا الأسلوب فى كتاب « الشهداء » لمؤلفه فوكس .

أثر الرقى الاجتماعى :

وقد اتسع الأفق أمام الأدب باتساع مرافق الحياة ، وبما اكتسبه البلاط الانجليزى من

لأبهة والرواء إذ بلغت الحال الاجتماعية والمادية من الرقى مدى بعيد،ونتيجة طبيعية لهذا أن اسعى بعض الكتاب كيما يوفقوا بين أسلوب الكتابة آنئذ وبين الحال الجديدة حتى يتيسر له تصويرها فى دقة وفى جمال ، وإذا أضفنا إلى هذا ما كانت تقيمه الحكومة والأهالى من الزينات الباهرة والحفلات الكبيرة كلما جد نصر من الانتصارات الحربية ، وما كانت تحتاجه هذه الحفلات من الروايات التمثيلية التى تتفق فى مغزاها مع ما اجتمع له المحتفلون،أدركنا بسهولة مقدار حاجة العصر إلى أدباء روائيين يقدمون الغذاء الصالح من هذه الروايات ، وإذ لم يكن من الميسور تأليف هذه الروايات بالوفرة التى احتاجها العصر،فقد استعان الأدباء بالنقل عن الأدب القديم والمتوسط ،وعن أدب المعاصرين أيضاً من التليانيين والأسبانيين وغيرهم،وبذلك ارتقت الرواية التمثيلية إلى حد بعيد . وأنا أشايع من يذهبون فى القول بأن الاستكشافات الجغرافية التى تمت إذ ذاك على يد الانجليز أمثال فروبيشار ورالى ودريك، قد ساعدت كثيراً على اتساع مدى الخيال أمام الأدباء ،وهذا الخيال — على حد ما أعلم — هو المادة الأساسية التى كانت القصة تتكون منها حتى عهد قريب .

خاتمة :

مما تقدم يصح لنا أن نستنتج — دون تعسف فى التأويل أو إغراق فى الاستقراء والاستطراد — أنه كان للنهضة الأوربية على الأدب الانجليزى أثر بعيد المدى حتى ذاع وانتشر وتكرست له جهود عدة، حتى انتفى عن المشتغلين به كل أثر للتحقير والاستخفاف ، إذ كان نشر الكتابات الأدبية وإذاعتها يحط من كرامة الكاتب ويقلل من مركزه الأدبى،وخاصة إذا كان هذا الكاتب من طبقة الأشراف ، بيد أن معظم كتاب هذه الطبقة أمثال فيليب سدنى وسبنسر تمردوا على هذا الجمود الفكرى ولم يأبهوا به وأخذوا الأدب صناعة لهم وسلماً إلى الشهرة والظهور ، وإذ ذاك هطلت المؤلفات القيمة كأنها الغيث ، وأقبل الشعب على الأدب كتابة ودراسة إيما إقبال .؟

رشدى ميخائيل السيسى
ليسانسيه فى الأدب الانجليزى

المعرفة فى تونس

تطلب « المعرفة » فى تونس من حضرتى وكيلينا السيد محمد الامين والسيد طاهر صاحبى المكتبة العلمية رقم ١٢ نهج الكتبية .

أو من حضرة السيد محمد بن الحاج صالح التميمى صاحب مكتبة الاستقامة رقم ٣٤ نهج سيدى ابن عروس .

ابن سـينا

وفلسفته

بقلم الأستاذ محمد ثابت الفندى : ماجستير فى الفلسفة

حياة مضطربة

لما عظمت فليس مصر واسعى　　لما غلا ثمنى عدمت المشترى

قال ناقد حصيف عن حياة (كانط) شيخ فلاسفة الألمان: إنها كانت منتظمة جد الانتظام مثل الفعل الذى لا يشذ فى تصريف ما من تصاريفه ؛ ولو وفق ذلك الناقد لدراسة حياة ابن سينا بعد خروجه من بخارى، لقال إنها مضطربة أيما اضطراب كذلك الفعل الشاذ الذى لا يعرف له نظام . وليس شيء أدل على حياة ابن سينا المضطربة من هذا البيت الذى قاله فيلسوفنا فى قصيدة له بجرجان، وتمثل به فى معرض حديثه إلى تلميذه الجوزجانى عن حياته المضطربة ونفسه السائمة الملولة التى لا تكاد تستقر به فى مصر من الأمصار حتى تخيل إليه أنه باعظم قدراً من أن يسعه ذلك المصر، وأنه أغلى ثمناً من كل من فيه .

بهذه الفكرة نظر ابن سينا إلى العالم ، فعاش بقية حياته متنقلاً بين أمصار فارس وأمرائها، فلم يسعه مصر منها ، ولا احتواه عن رضاً منه قصر أمير من أمرائها .

ويظهر أن هذا الأسلوب من العيش كان شائعاً بين علماء عصره : فهذا أبو منصور الثعالبى النيسابورى شيخ أدباء ذلك العصر، قضى حياته متنقلاً بين القصور فقدم « لطائف المعارف » للصاحب ابن عباد وزير آل بويه ، وقدم « التمثل والمحاضرة » إلى قابوس بن وشمكير ، وقدم غير ذلك إلى مأمون بن مأمون أمير خوارزم. ويقال مثل هذا فى أبى الريحان البيرونى وهو أزهر نجوم عصره فى الفلك والرياضة والتاريخ ، فقد صرف شطراً من حياته الأولى فى كنف أمراء خوارزم، وقدم إليهم بعض مؤلفاته ، ثم اتصل بالأمير شمس المعالى قابوس ابن وشمكير الزيارى فأهدى إليه ــ حوالى عام ١٠٠٠م ــ مؤلفه الخالد « تاريخ الأمم » ، ثم عاد مرة أخرى إلى خوارزم، ثم التحق بخدمة السلطان محمود بن سبكتكين وصحبه فى غزواته ألهند حيث ألف أخلد كتبه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرزولة » ، الذى يعده المستشرق الدكتور (ساشو) أول كتاب فى الدراسات الشرقية فى العالم .

ويظهر أن حياة التنقل التى كان يحياهـا أولئك العلماء ترجع إلى أسباب سـياسية محضة ؛ فقد كانت فارس كما قدمنا فى المقال السابق منقسمة إلى إمارات كثيرة ، وكان كل أمير يحاول أن يجتذب إلى عاصمته أكبر عدد من العلماء حتى يبز منافسيه ، وبذلك أصبحت تلك العواصم السياسية عواصم علمية يؤمها العلمـاء والأدباء من كل حدب وصوب، يصيبون فى كل واحدة منها النجاح والتوفيق حيناً ، ثم يخلونها ليمثلوا أدواراً أخرى فى غيرها من العواصم . ولعل السياسة كانت بذلك أهم عامل فى إنهاض العلوم والعلماء حتى جعلت من القرنين الرابع والخامس أزهى عصور العلم فى الإسلام .(١)

حياته فى كركانج

افتتح ابن سينا حياة التنقل بمدينة كركانج عاصمة خوارزم ، وتاريخ انتقاله إليهـا غير معروف ولا مذكور، وإذا صح أن ذلك كان بعد اضطراب أحوال الدولة السامانية وسقوطها، فيكون انتقاله إلى كركانج إنما كان حوالى سنة ٣٩١ هـ . وكل ما يحـدثنا به فيلسوفنا عن فترة حياته بتلك المدينة ـ وهى بلا شك فترة طويلة كما سنرى ـ أنه نزل بكركانج عندما كان أميرها على بن مأمون ، وكان وزيره أبو الحسين السهلى المحب للفلسفة ، وكان هو على زى الفقهاء إذ ذاك بطيلسان وتحت الحنك (٢)، وقد أثبتا له مشاهرة دارة تقوم بكفايته .

وهذا الأمير الذى يحدثنا عنه ابن سينا هو ثانى أمراء أسرة امتد حكمها من سنة ٣٨٥ هـ إلى سنة ٤٠٨ هـ ،وكان أول أمرائها مأمون بن محمد بن على الذى قتل سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م)، وخلفه ابنـه على بن مأمون الذى يذكره الفيلسوف والذى توفى عام ٣٩٩ هـ على ما يظن ، ثم ملك بعـده أخوه أبو العباس مأمون حتى ٤٠٧ هـ ،وسقطت تلك الأسرة عام ٤٠٨ هـ تحت ضغط غزوات السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى .

أما وزير على بن مأمون المحب للفلسفة فهو أبو الحسين أحمـد بن سهل بن محمد السهلى ، ويرجح ميرزا محمد(٣) أنه السهيلى ، كان وزيراً لعلى بن مأمون ثم لأخيه أبى العباس مأمون ، وفر فى عهد هذا الأمير الأخير إلى بغداد سنة ٤٠٤ هـ (١٠١٣ م)،وتوفى فى (سر من رأى) عام ٤١٨ هـ (١٠٢٧ م)،وقد قدم ابن سينا بعض كتبه إليه، منها قصـيدته المزدوجة فى المنطق التى نشرها (شمويلدرز)عام ١٨٣٦ م ، ثم أعيد نشرها بمصر،وتعـد فى المنطق كألفية ابن مالك فى النحو .

فحياة ابن سينا فى كركانج ـ على طولها ـ يحيط بها الغموض ، اللهم إلا ما ذكره نظامى عروضى السمرقندى فى القصة السادسة والثلاثين فى كتابه « المقـالات الأربع » عن أخريات أيام

---

(١) الدكتور طه حسين : الأدب الجاهلى .

(٢) نوع من ألبسة الرأس .

(٣) راجع الترجمة الانجليزية لكتاب المقالات الأربع ص ٨٥ ، تعليقة ٣

ابن سينا ببلاط الأمير الخوارزمى أبى العباس مأمون ، فقد قال إنه كان ببلاط ذلك الأمير طائفة من العلماء قلما يجتمع مثلهم فى بلد واحد ، منهم وزيره أبو الحسين السهلى ، وأبو الريحان البيرونى ، وأبو سهل المسيحى ـ وقد تقدم ذكرهم ـ وأبو نصر العراق الذى يصفه صاحب « المقالات الأربع » بأنه الثانى بعد بطليموس فى العلوم الرياضية ، وأبو الخير بن الخمار أو خمارو كما يقول البيهقى (١) ، وأخيراً أبو على بن سينا .

وبينما كان أولئك العلماء يرتعون فى بحبوحة من العيش فى كنف خوارزمشاه أبى العباس مأمون إذ وفد على هذا الأمير رسول من قبل السلطان محمود بن سبكتكين هو حسين بن على ابن ميكائيل يطلب إلى الأمير الخوارزمى أن يبعث أولئك العلماء إلى بلاطه بمدينة غزنة عاصمة أفغانستان .

والسلطان محمود بن سبكتكين آنئذ أعظم سلاطين آسيا الوسطى ، يهابه الأمراء جميعاً وينحنون أمام إرادته ، فما أن بدت هذه الرغبة من جانبه حتى أسرع الأمير أبو العباس مأمون إلى تلبيتها ، فجمع العلماء وأطلعهم على أمر الرسول ، وقال لهم : إن محموداً قوى عزيز الجانب ، ولست بمستطيع أن أرد أمره فما ترون ؟

فارتأى ثلاثة منهم الذهاب إلى غزنة لما سمعوه عن بأس سلطانها وكرمه وحسن وفادته ، وهم أبو النصر العراق ، وأبو الخير بن الخمار ، وأبو ريحان البيرونى ؛ أما أبو سهل المسيحى وابن سينا فقد أصرا على الرفض ، فساعدهما الأمير أبو العباس على الفرار ، وهيأ لهما سبيله فأمدهما بدليل يقودهما فى الصحراء بين كركانج وجرجان التى كانت هدفهما .

يحدثنا السمرقندى فى القصة نفسها أن السلطان محموداً لم يكن غرضه من رسالته إلى الأمير أبى العباس مأمون غير استقدام ابن سينا الفيلسوف ، فلما لم يجده بين من وفد عليه من العلماء الذين وجههم خوارزمشاه إلى غزنة غضب كثيراً وكلف أحدهم وهو أبو نصر العراق ـ وكان

---

(١) يقول البيهقى فى تصحيح اسم هذا العالم : « وقد أفرد السلطان محمود (بن سبكتكين) للحكيم أبى الخير ناحية يقال لها ناحية خمارو ، ونسب أبو الخير إلى تلك الناحية ، فقيل له أبو الخير خمارو تمييزاً بينه وبين أبى الخير صاحب البريد ؛ وقد سها من قال هو أبو الخير الخمار » (تاريخ حكماء الاسلام : ص ٩)

ويقول عن حياته : « إن السلطان محمود بن سبكتكين حمله إلى غزنة وعرض عليه الاسلام فأبى ، فمر يوماً بمكتب فيه معلم حسن الصوت يقرأ سورة فوقف وبكى ساعة ورأى فى ليلته تلك النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فى منامه يقول له : يا أبا الخير ! مثلك مع كمال عقلك يقبح أن ينكر نبوتى ، فأسلم » .

بارعاً فى صناعة الرسم واستخراج الصور - أن يضنع صورة للفيلسوف الفار، ففعل واستخرج من تلك الصورة أربعين نسخة أذاعها السلطان محمود فى كل أقاليم فارس منقباً عن الفيلسوف.

أما سبب اهتمام سلطان غزنة بابن سينا فمعروف، لأنه كان آنئذ أغلى درة يزدان بها قصر من قصور الأمراء: طبيباً لا غنى عنه، وفيلسوفاً جليل القدر. أما فرار ابن سينا من وجه السلطان محمود فأمر يمكن أن نتلمس أسبابه فى أخلاق السلطان نفسه: فقد كان سريع الرضا، سريع الغضب، قال لوزيره ذات مرة: إن الملوك كالأطفال يسرون ويغضبون لأقل الأشياء وأتفهها [١]. والظاهر أنه كان ملكاً بهذا المعنى، فكانت صحبته غير هينة ولا محببة، وكان سنياً متعصباً لمذاهب أهل السنة، حتى إن ابن الأثير صوره فى تاريخه «الكامل» بصورة الرجل الجامد الذى لا يرى فى العلوم العقلية إلا سبباً من أسباب الكفر والزيغ فى العقيدة. قال فى أخبار سنة عشرين وأربعمائة عند امتلاك السلطان محمود للرى عاصمة مجد الدولة: «وصلب من الباطنية خلقاً كثيراً، ونفى المعتزلة إلى خراسان، وأحرق كتب الفلسفة ومذاهب الاعتزال والنجوم»[٢]، فرجل هذا خلقه وهذا موقفه حيال النظر العقلى الذى لا يعتمد على نصوص الدين، لا يمكن فيلسوفاً يؤمن بفلسفته أشد الإيمان كابن سينا أن يستظل بعرشه، أو أن يسيغ الحياة بقربه، «فإن الفلسفة - كما يقول سبينوزا - لا تجعلنا أثرياء ولكنها تجعلنا أحراراً».

والواقع أن ابن سينا سيظل معرضاً عن السلطان محمود، وزهو بلاطه ورفيع ملكه، متجنباً لقاءه أو الوقوع بين يديه حتى يحتويه القبر ويرقد رقوده الأخير، لا بل سيشترك بالفعل فى بعض المكائد السياسية ضد سلطان غزنة عندما يكون ببلاط علاء الدولة بأصفهان ويناصبه العداء كما سنرى، وما ذلك إلا لأنه كان يحترم حريته الفكرية.

ويصف السمرقندى فرار ابن سينا وأبى سهل المسيحى مع دليلهما فى جوف الصحراء فيقول: إنهم قطعوا فى أول ليلة خمسة عشر فرسخاً، ولما أصبح الصباح حسب ابن سينا طالعهم فى رحلتهم فرأى أنهم سيضلون الطريق وسيلاقون من عنت الطبيعة مر العذاب، وكذلك فعل أبو سهل المسيحى فرأى أنه لابد أنه سيموت فى الطريق قبل الوصول إلى جرجان.

بهذه الأفكار العابثة التى قد تكون من خيال القصاص واصل الفارون رحلتهم، وفى اليوم الرابع هبت عاصفة هوجاء أثارت النقع والرمال، وأبدلت السماء حلكة وظلمة، وغيرت معالم الطريق فضلوه كما شاء القصاص أن يتنبأ ابن سينا، ويشاء الله إلا أن يحقق نبوءة أبى سهل المزعومة فيموت من نفاد الماء وشدة حرارة الشمس. أما الرئيس ودليله فقد وصلا إلى (باورد) بعد أن

---

(١) راجع القصة الرابعة عشر من «المقالات الأربع».

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٩. أخبار سنة ٤٢٠ (طبعة أوروبا)

قاسيا مر العذاب ، وقفل الدليل عائداً، على حين قد واصل الرئيس رحلته قاصداً جرجان عاصمة الأمير قابوس بن وشمكير الزيارى .

حياته فى جرجان

يذكر ابن سينا أنه فى طريقه إلى جرجان مر بطوس وشقان وسمنقان وجاجرم رأس حد خراسان، ثم وصل أخيراً إلى جرجان ، ويذكر السمرقندى أنه مر بنيسابور قبل وصوله إلى جرجان فوجد بها بعض أعين السلطان محمود تبحث عنه فاختبأ فى مكان أمين بضعة أيام ، ثم يمم وجهه شطر جرجان [١] ، فاذا صحت رواية السمرقندى فيما يختص بمروره بنيسابور، فإن قصة لقاء فيلسوفنا بأبى سعيد بن أبى الخير الصوفى الكبير التى يذكرها فريد الدين بن العطار فى كتابه «تاريخ الأولياء» تكون محتملة الوقوع، لأن تلك القصة تذهب إلى أنهما التقيا فى خلوة بظاهر نيسابور .

وذلك المتصوف العظيم ولد - كما يقول ادورد براون - عام ٩٦٧ م (٣٥٧ هـ)، وتوفى عام ١٠٤٩ م (٤٣٨ هـ) [٢] ، وقد ذكره حاجى خليفه وقال إنه توفى عام ٤٤٠ هـ؛ [٣] ونحن لا نعرف الآن شيئاً عنه اللهم إلا مجموعة من الرباعيات التى جمعها ونشرها وعلق عليها الدكتور H. E he عام ١٨٧٥ [٤] . وتتلخص قصته مع ابن سينا فى أنهما لما التقيا تحدثا مليا فى تصوير كل من الفلسفة والتصوف للكون، فأعجب كل بالآخر كل الاعجاب، حتى لقد قال الصوفى عن الفيلسوف بعد فراقه له : « كل ما أراه يعرفه [ابن سينا] »، وقال الفيلسوف: « كل ما أعرفه يراه »، وفى رواية أخرى ذكرها الدكتور Ethe فى بحثه المشار إليه: أن الفيلسوف قال: « كل ما أعرفه يراه [هو] »، على حين قال أبو سعيد: « كل ما لا أراه يعرفه » [٥] ، وفرق بين هذه الرواية الأخيرة والرواية السابقة . وسيظل أبداً الفرق بين الفلسفة والتصوف هو هذا الفرق الذى يتجلى فى عبارتهما الوجيزة ، فإن الفلاسفة - كما يقول فولتير - يقولون أشياء كثيرة فى عبارة وجيزة .

ويظهر أن العلاقة كانت متصلة بعد ذلك بين أبى سعيد بن أبى الخير وأبى على بن سينا، فلقد أصيب المتصوف ذات مرة بلوثة من الشك والتذبذب فى مذهبه، «والتذبذب - كما يقول -

---

(١) راجع القصة ٣٦ من كتاب « المقالات الأربع »

(٢) ادورد براون LitH ist. of Persia ج ٢ ص ٢٧٦ .

(٣) حاجى خليفه : كشف الظنون : ج ٣ ص ٤٠٨ .

sity—Ber- D- Kanëgl Bager .Acc,D-Wisseuch :1875q145 168(4

(٥) gPu Hsit, git, ج ٤ · ص ٢٦٢

بداية حال الترهب ، ومن ترهب ترأب (١) » ، فكتب إلى الفيلسوف يستنصحه ويسترشده ، فكتب إليه أبو علي رسالة من أروع مايقرأ فى الأدب الخالص وفى الأخلاق، بين فيها الفيلسوف دستوره فى الحياة كيف ينبغى أن يكون ، وهذا بعض ماجاء فيها :

« ليكن الله أول فكره وآخره ، وباطن اعتباره وظاهره ، ولتكن عين نفسه مكحولة بالنظر إليه، وقدمها موقوفة على المثول بين يديه، مسافراً بعقله فى الملكوت الأعلى، وما فيه من آيات ربه الكبرى ، فإذا انحط إلى قراره، فلير الله فى آثاره، فإنه باطن ظاهر تجلى لكل شىء بكل شىء :

ففى كل شىء له آية تدل على أنه الواحد (٢) »

ويؤخذ من بيتين لأبى سعيد بن أبى الخير أنه كان يقرأ كتاب الشفاء ، ولربما كان ذلك عند ماأصيب بتلك اللوثة فى فكره وعقيدته ، لأننا نراه بعد وفاة ابن سينا يعلن أن هذا الكتاب إنما يزيغ بالفكر عن سنة المصطفى وأنه بسبب ذلك قطع الأخوة بينه وبين مؤلفه الذى مات على مذهب أرسطو ، وهذان البيتان هما :

قطعنا الأخوة من معشر بهم مرض من كتاب الشفا

فماتوا على دين رسطالس وعشنا على سنة المصطفى (٣)

لايحدثنا ابن سينا ولا تلميذه الجوزجانى بشىء من هذا كله، بل هما لايذكران قصته مع هذا المتصوف الخطير ، ولعل هذا هو ماجعل المستشرق (نيكولسن) يشك فى أمر التقائهما بنيسابور .

ولقد كان غرض ابن سينا من رحلته إلى جرجان الاحتماء بعرش أميرها قابوس بن وشمكير الزيارى ، فهو يقول : « وكان قصدى فيها الأمير قابوس ، فاتفق فى أثناء هذا أخذ قابوس وحبسه فى بعض القلاع وموته هناك » (٤) ،ويذكر ابن الأثير أن وفاة ذلك الأمير كانت

---

(١) ترهب صيغة مأخوذة من الراهب. وفى تعريفات الجرجانى : الراهب هو العالم بالدين المسيحى من الرياضة والانقطاع عن الخلق والتوجه إلى الحق » ، الطبعة الحميدية بمصر ١٣٢٢ هـ ص ٧٥ .

(٢) خطاب أبى سعيد بن أبى الخير ورد ابن سينا عليه . نشرا بالقاهرة بأول كتاب النجاة المطبوع سنة ١٣٣١ هـ

(٣) ذكر هذين البيتين المستشرق يحيى بن ميكائيل المهرنى فى مقدمته التى صدر بها الرسائل التى نشرها بليدن عام ١٨٩٤ لفيلسوفنا ابن سينا.

(٤) القفطى : تاريخ الحكماء ، ص ٣١٧

سنة ٤٠٣ هـ ، وعلى هذا يكون هذا العام أول عهده بجرجان كما يكون آخر عهده بكركانج التى نظن أنه عاش فيها من سنة ٣٩١ هـ إلى ٤٠٣ هـ .

وبينما يصرح ابن سينا بأنه لم يتصل فى جرجان بأميرها قابوس بن وشمكير بسبب وفاة الأمير قبيل وصوله إليها ، إذ بنا نجد نظامى عروضى السمرقندى يقص علينا من القصص ما لا يجعل أقل ريب فى اتصال الفيلسوف بالأمير ، ويجعل الطب هنا — كما كان فى بلاط السامنيين ببخارى — أساس الصلة بينه وبين الأمير ، فيقول إن أبا على عند ماهبط جرجان التحق بنزل للقوافل يسكن فيه مختبئاً عن أعين السلطان محمود ، وكان يشتغل بالطب فعالج كثيراً من المرضى وطار صيته فى أنحاء المدينة حتى بلغ مسامع أميرها قابوس بن وشمكير ، فاستدعاه الأمير لمعالجة فتى من أقاربه عجز الأطباء عن علاجه .

وهنا نرى ابن سينا يقوم بمهمة الطبيب النفسى eztaikcgzq الذى يحلل الأمراض النفسية ، لأن المريض كان مصابا بداء العشق ؛ فوفق الطبيب لمعرفة الداء ووفق لمعرفة اسم المحبوبة التى كان يحبها ذلك المريض واسم عائلتها وبلدتها . فأعجب به الأمير كثيراً واستدعاه للقائه ؛ ولما أن وقعت عيناه على الطبيب عرف فى الحال أنه الرجل الذائع الصيت أبو على بن سينا ، وذلك لمشابهته للصورة التى بعثها إليه السلطان محمود غزنة باحثاً منقباً عليه . فنزل الأمير عن عرشه وتقدم إليه واحتضنه وأجلسه بجواره احتراما وإجلالا لقدره (١) .

والتحليل النفسى الذى يصفه السمرقندى فى هذه القصة يذكره ابن سينا فى كتاب « القانون فى الطب » (٢) ، ويظهر أنه طبقه وجربه ، ولكنه لم يشر قط إلى هذه الواقعة المعينة التى ينسبها إليه السمرقندى ببلاط قابوس بن وشمكير . ولا شك عندى فى بطلان هذه الواقعة المعينة مادامت متعلقة بذلك الأمير ، لأن ابن سينا يذكر صراحة أنه لم يتصل به ، وليس السمرقندى بأعلم منه بمن لاقاه أو لم يلقه .

لما لم يجد ابن سينا قابوس بجرجان رحل عنها فى حينه إلى دهستان ، ولكنه سرعان ما عاد ثانية إليها ؛ فلقى فيها رجلا من أفاضل أعيانها ، ميالا إلى الحكمة هو أبو محمد الشيرازى الذى استأجر داراً لنزول الفيلسوف بها وعنى بأمر عيشه . وفى هذه الدار كان يتردد على الفيلسوف أول تلاميذه وألصقهم به ، ألا وهو أبو عبيد الله عبد الواحد محمود الجوزجانى (٣) الذى صحب

---

(١) السمرقندى « المقالات الأربع » ، الترجمة الإنجليزية ، القصة ٣٦ .

(٢) ابن سينا « القانون فى الطب » ، ج ٢ ص ٧١ — ٧٣ طبعة بولاق .

(٣) الجوزجانى هكذا ضبطها السمعانى فى كتاب الأنساب ، ولعلها نسبة إلى جوزجان ، قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان فى مادة جوزجان : « جوزجانان وجوزجان هما واحد ، بعد الزاى جيم وفى الأولى نونان ، وهو اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان » .

أستاذه منذ ذلك ولازمه ملازمة الظل حتى شيعه إلى القبر . ومدة ذلك ـ كما يقول التلميذ فى ترجمته لأستاذه ـ خمس وعشرون سنة، ويقول البيهقى إنها ثلاثون [١]، ولاشك فى صحة الرأى الأول، لأن ابن سينا يذكر أنه لاقاه بجرجان فإذا علمنا أنه بدأ حياته بجرجان عام ٤٠٣ هـ ، وأنه توفى بأصفهان عام ٤٢٨ هـ كانت مدة صحبة تلميذه له خمساً وعشرين سنة كاملة ، وكانت رواية البيهقى تبعاً لذلك باطلة .

ولسنا نعرف شيئاً ذا قيمة عن حياة فيلسوفنا بجرجان اللهم إلا أنه اشتغل بالتدريس ، فقد قرأ تلميذه عليه كتاب « المجسطى »، واستملاه المنطق فأملى عليه « المختصر الأوسط فى المنطق » ، ولعل هذا المختصر عين الكتاب الذى يذكره ابن أبى أصيبعة وحاجى خليفة باسم « الأوسط الجرجانى فى المنطق » ، ويقولان إن ابن سينا صنفه لأبى محمد الشيرازى .

ومن تصانيفه بجرجان « المختصر الأصغر فى المنطق »، وهو المنطق الذى ألحق بكتاب « النجاة »، و« مختصر المجسطى »، ورسالة فى « الزاوية »، وأخرى فى « الأرصاد الكلية » ، وثالثة فى « المبدأ والمعاد »، وهاتان الأخيرتان ـ كما يقول القفطى وحاجى خليفة ـ صنفهما أيضا للشيرازى ، ويخالفهما فى الأخيرة ابن أبى أصيبعة الذى يضيفها إلى الشيخ أبى أحمد بن ابراهيم الفارسى . إلا أن أهم ما بدأ بكتابته بجرجان كتابه الخالد فى الطب المسمى « القانون » ، قال عنه ابن أبى أصيبعة : « صنف بعضه بجرجان وبالرى، وتممه بهمذان، وعول على أن يعمل له شرحاً وتجارب [٢] » .

[للبحث بقية] محمد ثابت الفندى

(١) البيهقى « تاريخ حكماء الاسلام » ص ٣٥ .

(٢) ابن أبى أصيبعة « طبقات الأطباء » ج ٢ ص ١٨ .

المعرفة فى السودان

تطلب مجلة « المعرفة » فى السودان من المكتبات الآتية :

١ ـ مكتبة البازار السودانى بالخرطوم
٢ ـ « زكى افندى جرجس بطليموس بالخرطوم
٣ ـ « النهضة العربية بأم درمان
٤ ـ « البازار السودانى « «
٥ ـ « المرغنية بكسلا
٦ ـ « البازار السودانى بعطبره
٧ ـ « كمال افندى ميخائيل غالى بواد مدنى
٨ ـ « الخواجا عبد المسيح خليل بعطبره

٢ - مهديو بنى العباس*

بقلم الأستاذ مصطفى جواد (بغداد)

ثم إن العباسيين قطعوا أمل العلويين بتلقيبهم عبد الله بن محمد بن على السفاح بالقائم والمرتضى، قال الخطيب « أخبرنى الحسين بن عمر القصاب . . . عمره الأعمش؛ وأخبرنا عبد العزيز بن على الوراق . . . عن الأعمش عن عطية عن أبى سعيد الخدرى عن النبى — ص — قال: يخرج منا رجل فى انقطاع الزمن وظهور من الفتن يسمى السفاح يكون عطاؤه المال حسياً [1] »، ونقل رواية بنى العباس عن رسول الله — ص — أنه قال: « والله لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لأدال الله من بنى أميـة وليـكونن منا السفاح والمنصور والمهدى» [2] ؛ فلذلك تلقب أبو جعفر بالمنصور ، وكان أعداء بنى العباس يضعون إزاء هذه الأحاديث أحاديث تكذبها وتشير إلى أنهم الجبابرة الذين سيحاربهم المهدى العلوى، ولما حصرت صدور بنى على عليه السلام، واستأثر بنو العباس بالسلطان والملك وطاردوهم فى البـلاد وشردوا بمن يطالبهم بحقه ثار مهدى الحسنيين « محمد بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن عـلى بن أبى طالب — ع — على المنصور بالمدينة، وتلقب بالمهدى ، قال ابن عتبة « وإنما لقب المهدى للحديث المشهور عن رسول الله — ص — أن المهدى من ولدى اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى ، وتطلعت إليه نفوس بنى هاشم وعظموه، وكان جم الفضائل كثير المناقب، وحكى الشيخ أبو الفرج الأصفهانى أن الصادق أخذ بركابه ذات يوم حتى ركب، فقيل له فى ذلك فقال: ويحك هذا مهدينا أهل البيت ، وكان المنصور قد بايع له ولأخيه إبراهيم مع جماعة من بنى هاشم، فلما بويع لبنى العباس اختفى محمد وإبراهيم مدة خلافة السفاح ، فلما ملك المنصور وعلم أنهما عزما، على الخروج جد فى طلبهما وقبض على أبيهما وجماعة من أهلهما ... [3] ».

قال مصطفى جواد: ولما قتله المنصور أى سنة خمس وأربعين ومائة للهجرة ، أراد أن يضعف هوى الناس فى مهدى بنى على — ع — الذى سيتولى المهدية بعد النفس الزكية محمد بن عبد الله المذكور ، فلقب ابنه محمداً بالمهدى، وسلك المهدى شتى السبل لتوثيق ذلك ، ومن ذلك ما دبره مع البطريق الرومى صاحب الأرحاء التى كانت فى الجانب الغربى من دار السلام فى صدر الدولة العباسية،

---

*ـ بقية المنشور في الجزء الرابع : أغسطس سنة ١٩٣٣

١ـ كذا ما فى تاريخ الخطيب المطبوع ولعل الاصل « حساباً » أي كفاية .

٢ـ الخطيب « ١٠ : ٤٨ »

٣ـ عمدة الطالب في انساب آل أبى طالب ص ٨١

قال الخطيب : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع . . . قال أنبئت أن يعقوب ابن المهدى سأل الفضل بن الربيع عن أرحاء البطريق فقال: أخبرنى إسحاق بن محمد بن إسحاق قال له: من هذا البطريق الذى نسبت إليه هذه الأرحاء ؟ فقال الفضل : إن أباك — رضى — لما أفضيت إليه الخلافة قدم عليه وافد من الروم فاستدناه ثم كلمه بترجمان عنه ، فقال الرومى: إنى لم أقدم على أمير المؤمنين لمال ولا غرض وإنما قدمت شوقا إليه وإلى النظر إلى وجهه، لأنا نجد فى كتبنا أن الثالث من أهل بيت نبى هذه الأمة يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً ، فقال المهدى : قد سرنى ما قلت ولك عندنا كل ما تحب ، ثم أمر الربيع بإنزاله وإكرامه ، ثم خرج يتنزه فمر بموضع الأرحاء فنظر إليه ، فقال للربيع : أقرضنى خمسمائة ألف درهم أبن بها مستغلا يؤدى فى السنة خمسمائة ألف درهم فقال : أفعل ، ثم أخبر المهدى بما ذكر فقال : أعطه خمسمائة ألف درهم وخمسمائة ألف درهم وما أغلت فادفعه إليه ، فاذا خرج إلى بلاده فابعث به إليه فى كل سنة ، قال : ففعل ، فبنى الأرحاء ثم خرج إلى بلاده فكانوا يبعثون بغلتها إليه حتى مات الرومى فأمر المهدى أن يضم إلى مستغله ».(١)

ولم يقصر بنو العباس هذا التوليد على أنفسهم لئلا ترتاب بهم الأحلام وتستكذبهم الأفهام، فقد زعم الرواة فى عهدهم أن رجلا من أهل الكتاب وفد على معاوية بن أبى سفيان وكان موصوفاً — على ما قالوا — بقراءة الكتب، فقال له معاوية : أتجد نعتى فى شىء من كتب الله ؟ قال : إى والله لو كنت فى أمة لوضعت يدى عليك من بينهم ، قال : فكيف تجدنى ؟ قال : أجدك أول من يحول الخلافة ملكا والخشنة لينا، ثم إن ربك من بعدها لغفور رحيم، قال معاوية : فسرى عنى ، ثم قال الكتابى : لا تقبل هذا منى ، ولكن من نفسك ، فاختبر هذا الخبر ، قال معاوية : ثم يكون ماذا ؟ قال : ثم يكون منك رجل شراب للخمر سفاك للدماء، يحتجز الأموال ويصطنع الرجال ويجنب الخيول ويبيح حرمة الرسول ، قال: ثم ماذا ؟ قال: ثم تكون فتنة تتشعب بأقوام حتى يفضى الأمر بها إلى رجل أعرف نعته، يبيع الآخرة الدائمة بحظ من الدنيا مخسوس ،فيجتمع عليه من آلك ، وليس منك،لا يزال لعدوه قاهراً وعلى من ناوأه ظاهراً، ويكون له قرين مبير (٢) لعين ، قال : أفتعرفه إن رأيته ؟ قال : شدما ، فأراه من بالشام من بنى أمية، فقال : ما أراه ههنا ، فوجه إلى المدينة مع ثقات من رسله ، فاذا عبد الملك يسعى مؤتزراً فى يده طائر،فقال للرسل : ها هو ذا » .

فالأمور التى تضمنها هذا الخبر – وإن كنا لا يعنينا صحتها ولا كذبها – ظاهرة الوضع عليلة العلة ، ويزيدك إيقاناً بتوليدها خبر ثان رواه المبرد قال: «وحدثنى ابن عائشة عن حماد بن سلمة فى إسناد ذكره: أن عبد الملك كان له صديق وكان من أهل الكتاب يقال له يوسف فأسلم ، فقال له عبد الملك يوما وهو فى عنفوان نسكه وقد مضت جيوش يزيد بن معاوية مع مسلم بن عقبة المرى من مرة غطفان يريد المدينة : « ألا ترى خيل عدو الله قاصدة لحرم رسول الله

١ – الخطيب « ١ : ٩٢ » ، قال مصطفى جواد : وأنا أعجب للمهدى كيف قبل هذا القول وارتضاه لنفسه ؟ فإن كانت الارض ملئت جوراً قبله،فإن ذلك عهد عمه وعهد أبيه المنصور وفكأنه بنى قصره بنقص أساسه
٢ – ذكروا أن المبير هو الحجاج

— ص — ؟ » ،فقال له يوسف: « جيشك والله إلى حرم الله أعظم من جيشه » ،فنفض عبد الملك ثوبه [١] ، ثم قال: معاذ الله ، قال له يوسف : ما قلت شاكا ولا مرتاباً وإني لأجدك بجميع أوصافك . قال عبد الملك : ثم ماذا ؟ قال : يتداولها رهطك ، قال : إلى متى ؟ قال : الى أن تخرج الرايات السود من خراسان [٢] » ،فوجود الرايات السود يدل على وضع بني العباس لهذا الخبر ، وقد قدمنا من الأسباب ما يكفي صاحب الحق نصب التحري ويطرد عن نفسه الشك .

وبقي بنو العباس يحتكرون المهدية ويستبدون بها،وإن كانت حججهم مبنية على اختلاق لا يمكن أن نحسبه شبهة فكيف نعتده وثيقة بينة ؟ أما الخبر بل الحديث الذي رواه الخطيب في أن المهدي من بني العباس -وقد ذكرناه - فقد رواه هو مرة ثانية وصورته « عن أبي سعيد، قال :سمعت رسول الله — ص — يقول: منا القائم ومنا المنصور ومنا السفاح ومنا المهدي، فأما القائم فتأتيه الخلافة لم يهرق فيها محجمة من دم،وأما المنصور فلا ترد له راية،وأما السفاح فهو يسفح المال والدم،وأما المهدي فيملأ الأرض عدلا كما ملئت ظلماً » ذكره الخطيب بهذه الصورة الجديدة في ترجمة عبد الله بن أحمد الخليفة العباسي الملقب بالقائم بأمر الله ، ليبرهن أنه هو القائم الموعود ، وكان قد بويع بالخلافة سنة « ٤٢٢ » ه ،وكان أبوه القادر بالله جعله ولي عهده ولقبه ذلك اللقب ، ولعمري لم ينفع القائم هذا الحديث الذي جاد به الخطيب عليه ونال به في عهده رياسة المحدثين ، لأنه كان قد قاسى ذل الدولة البويهية في آخر أيامها بالعراق وكابد سلطة بني سلجوق في عنوان دولتهم بالعراق، فكان خليفة مخضرم دولتين ومصدم عصرين وملتقى قهرين .

فالآن قد تبين لنا كيف أثرت المهدية في تاريخ الاسلام وبدلت كثيراً من مجاريه ، وكانت نتائجها بحسب الاجتهاد الذي يراه مهدي زمانه وقائم أوانه ، ولكن كثر مع ذلك الفساد وتخوفت أطراف البلاد وكثرت الفتن والحروب وضعفت الدولة الاسلامية، ولا سيما في العهد العباسي ، واشتبه المهديون والمضلون، وارتكبت محارم الدين باسمه وثلمت دعائمه بشبهة دعوى حكمه ، وكانت مضار هذه النحلة أكبر من منافعها،لأن الشعوبية والقومية الفارسية المجوسية لاذنابها واطمأنتا في كنفها ؛ حتى دس أصحابها أن المذكور يأتي بكتاب جديد وبسنة جديدة في يوم على العرب شديد [١] . فانظر إلى مصاير الأمور وألاعيب الدهور !!

[بغداد] مصطفى جواد

---

١) هذه العادة الدالة على البراءة لا تزال معتادة في العراق ولكنهم ينفضون الجيوب أي الازياق

٢) الكامل « ٣ : ١٣٨ — ٩ » طبعة المطبعة الازهرية

٣) بشارة الاسلام ١١٩ و ١٢٤ و ١٤٣ و ١٥٨ و ٢٩٢ و ٣٠٢ و ٣٠٥ و ٣٠٩ و ٣١٥

٢ - محاكم التفتيش

وكيف بدأ ديوان التفتيش

للدكتور علي مظهر

١ - سجون التفتيش في فرنسا

اجتمع رجال الكنيسة الكاثوليكية في مدينة طلوشة (تولوز) سنة ١٣٢٩ م - ٧٢٩ هـ - لأول مرة أيام البابا جريجوريوس التاسع اجتماعاً تمهيدياً لتقرير إنشاء محكمة يقدم إليها كل من اتهم في دينه الكاثوليكي، وكل من كان على دين أو معتقد غير ما يعتقد جماعة الكاثوليك أمثال اليهود والبروتستانت وجماعة المفكرين والأحرار والمسلمين الذين كانوا بأوروبا أيامئذ، أيام كانوا بأسبانيا والبرتقال، وكل من يتهم بالإلحاد والزندقة في مسيحيته الكاثوليكية.

ولكن البابا المذكور لم يقرر إنشاء الديوان بطريقة رسمية والعمل بما رآه المجتمعون إلا في سنة ١٣٣٣ م ٧٣٣-٧٣٤ هـ - فصدرت الأوامر إلى كل الكنائس الكاثوليكية بتعيين كاهن خاص بالبحث عمن أشرنا إليهم آنفاً وتقديمهم لمحكمة باباوية خاصة. وخول لكاهن التفتيش الخاص أن يستعين بمن يراه لازماً لمعونته من الجواسيس، وكان يطلق على تلك المحكمة الخاصة الباباوية «الديوان المقدس» أو «التفتيش المقدس». ولم يكن يعرف أولئك الجواسيس، بل أخفيت أسماؤهم عن الناس ووعدوا بغفران خطاياهم، وأحل لهم ارتكاب الجرائم مهما يكن نوعها ومهما تعقب من عظائم الأمور. فكان المتهم الذي يحضر أمام المحكمة يسأل ويقر بما يعتقده صراحة عن الكنيسة وعن الدين المسيحي، فإذا أبى الإذعان دفع به إلى معذبين يسومونه العذاب الأليم.

وظل ديوان التفتيش يعمل بفرنسا، تارة جهراً وتارة في طي الخفاء، تبعاً لآراء الملوك الذين عضدوه، حتى كانت الثورة الفرنسية فتقرر إلغاؤه، وانتقم الشعب من رجاله وهرب بعضهم إلى أسبانيا والبرتقال لينضموا إلى رصفائهم هناك.

ومع أن ذلك الديوان وتلك المحاكم كانت معروفة في فرنسا وإيطاليا وفي بلاد أخرى من أوروبا، إلا أنها لم تعمل بها مثل ما عملت بأسبانيا والبرتقال، ولم تمارس من الفظائع والأعمال البربرية الوحشية مثل ما مارست بجزيرة إيبريا؛ حتى قدر بعضهم عدد ضحايا التفتيش بما لا يقل عن تسعة آلاف ألف من الناس أثناء المدة المحصورة بين سنة ١٣٣٣ وسنة ١٨٣٥ م، حيث ألغى

من أسبانيا بعد أن لطخت كل أرجائها بالدم المسفوك فى سبيل نصرة الكثلكة والقضاء على مخالفيها .

٢ — سجون التفتيش فى أسبانيا

يذكر بعض عارفى أسبانيا ، أنه يوجد إلى يومنا هذا فى عدة مدن بأسبانيا أبنية قديمة غريبة فى هندستها وشكلها ، تباين ما حولها كل المباينة ، كأنها مجموعة من قصور وأديرة وسجون معاً ؛ فجدرانها ضخمة ونوافذها قد اعترضها حديد ضخم غليظ قد تصدأ .

وإذا ولجت إحدى هذه الأبنية من الخلف رأيتها مؤلفة من عدة غرف صغيرة يوصل إليها بممر ضيق . ويصل النور أليها من (منور) صغير فى سقف كل غرفة ، وقد أحكم سد المنور بثلاثة أدوار من غليظ الحديد عليها .

ويرى الزائر فى أرض الممر فتحات صغيرة كل فتحة تبعد عن الأخرى نحو متر ونصف متر ، وقد أحكم سدها بالحديد الغليظ . وقد خصصت هذه الفتحات للمسجونين فى الغرف السفلى تحت الممر ، أى الغرف التى بالدور الأسفل ، ومن تحته طبقات أخرى عديدة تحت الأرض ، وهى سجون سرية لا يهتدى إليها إلا رجال المحكمة والسجانون فحسب .

ومهما يكن النهار رائعاً والشمس طالعة مشرقة ، فإن الزائر لا يبصر شيئاً فى تلك الممرات والغرف لظلمة المكان ؛ بل يجب أن يصطحب نوراً يضىء له الطريق . أما الغرف فكانت تطلى بالشحم ، ويظهر أن ذلك كان لمنع السجين من تسلق الجدران والهرب أو عمل أى أثر فى الحائط للنجاة . ثم يرى بعض آلات التعذيب فى كل مكان مثل أسواط بها قطع من الحديد الشائك لجلد المسجونين وإهراء لحومهم من عظامهم ذى (كلاليب) لانتزاع اللحم من العظم ، وقدور من الحديد لعلها كانت لصهر الرصاص [illegible] لصبه على المعذبين أو لغلى الماء أو الزيت لمثل ذلك الغرض ، ويوجد إلى جانب ذلك مستودع للفحم لا يزال كثير منه إلى الآن بقربها .

ومع أن تلك السجون كانت رطبة ، فقد كان الماء يصب فيها على الدوام لكى لا تتشرب الأرض الدماء السائلة من أبدان المعذبين وتبقى مشبعة بها .

ذلك مثال من أبنية التعذيب التى كانت تدعى بدور (الديوان المقدس) يتولى الرعب والخوف كل من يمر أمامها لمجرد تصوره أنه سيدخلها يوماً ما ، فكان يتلفت يميناً وشمالا وإلى خلف وهو لا يصدق أنه سيجوزها ويتخلص من منظرها المخيف المرعب .

٣ — سجون التفتيش فى البرتقال

كانت محكمة ديوان التفتيش العامة بالبرتقال ، بمدينة لاشبونة ، فى مكان الملعب الوطنى اليوم ، وقد شغلت أبنيتها كل الحى ، حتى إن أبوابها الخلفية كانت تصل إلى الطريق المؤدى لدير القديس أنطونيو .

وقد بنيت هذه الدار بطريقة تؤدى الغرض من إنشائها ، فكانت ذات غرف عديدة وممرات مظلمة تحت الأرض ، وفى وسطها أربع قاعات كبيرة فسيحة ، كل منها أربعون متراً مربعاً ، ويحيط بكل قاعة ثلاثة أروقة ، مؤلفة من ثلاثة أدوار ، وفى جدران تلك الأروقة أبواب صغيرة ، الواحد جوار الآخر كانت أبواب السجون المعدة للمتهمين والمعذبين.

وفى الممر الأسفل الذى يحيط بكل قاعة ، سجون صغيرة وضيقة ، حالكة ومظلمة جداً ، أعدت لمن كانوا أشد كفراً وضلالا من غيرهم .

وكانت الأروقة الثلاثة وما بها من سجون تحيط بكل قاعة من قاعات العذاب ، عبارة عن ثلاث درجات للتعذيب ، تبعاً لذنب المتهم ، وما يحكم به عليه من أنواع العقاب .

فمن كانت ذنوبهم خفيفة سجنوا بالسجون العليا وهؤلاء يصلهم فيها قليل من النور ، وكان جلهم ممن قبض عليهم للبحث عن شئونهم والتثبت من أمورهم . لأن الديوان ما كان ليثق كثيراً بأى تهمة تصله مالم تكن عن أفراده وعيونه الذين عينهم ، أما من وشى بهم من غير الجواسيس فكانوا يزجون فى تلك السجون العليا . وكان الديوان يسعى للقبض على أعدائه الذين يرغب فى التخلص منهم دفعة واحدة ليقتلهم . وأمثال أولئك المسجونين سجناً احتياطياً كانوا قلائل نادرين جداً . وقل من قبضت عليه محكمة ديوان التفتيش وأدخلته سجونها وخرج حياً منه ؛ لأن أولئك المفتشين كانوا يقضون على كل مخالف لدينهم وكنيستهم بالموت ، أما من كان معهم فله أن يفعل ما يشاء دون عقاب عليه .

وخصصت الطبقة الوسطى من تلك السجون للنساء اللواتى كان رجال ديوان التفتيش يترددون عليهن من حين لآخر . وكثيراً ما كان يتم ذلك للعبث بعفافهن فى تلك الدار الموحشة.

وكان لأبواب تلك السجون الفردية عوارض غليظة من الحديد ؛ يظل بها السجين بعيداً عن الباب بطريقة أعدت لذلك ، لئلا يحاول الكسر أو الفض . ومع فرض كل المستحيلات ، وتمكن سجين من أن يفتح الباب ، فإنه يرى أمامه سوراً عالياً طوله خمسة وعشرون متراً يفصله عن السجن خندق عميق عرضه يتراوح بين الأربعة أمتار والخمسة ، يطوف به الحراس ليل نهار .

ولا يرى السجين شيئاً ما مما فى الخارج ولا يدرى مابه وتدخل إليه أشعة من نور ضئيل وقليل من الهواء لئلا يختنق من فتحة صغيرة فى أعلى الباب . وكل غرفة لاتزيد على مترين طولا ومثلها عرضاً ، ولا يمكن أن يتصور الانسان مابها من ظلام خصوصاً سجون الطابق الأسفل ، ولاسما إذا لاحظت أن الممرات التى يستمد منها السجين النور مظلمة ظلاما يحتاج السائر فيها إلى مصباح إذا كانت الشمس فى رابعة النهار .

وكان ذكر تلك السجون يلقى الرعب فى قلوب أشجع الشجعان . وكان يرى المتأمل الى جانب تلك السجون والمطابق المتصلة بقاعات ديوان التفتيش الفسيحة أبهية فيها رفاهية ونعيم

مقيم، فيها أفخر الرياش يتقلب عليها رجال المحكمة المقدسة فى الدمقس وعلى الحرير، وبها المقاعد الوثيرة المريحة، يأكلون مالذ وطاب ويحتسون الخمور والأنبذة، وإلى جوارهم أنين وعذاب أليم .

٤ — السجين فى مطبقه

لم يكن عند السجين سوى قطعة من الخشب طولها متران وعرضها متر ونصف المتر تكون سريره على الأرض، ويعطى له غطاءان من الخيش يفترش واحداً ويغطيه الآخر، وتعطى له قرميدة أو قطعة من البلاط تكون وسادة له ويترك له، إناءان يحوى أحدهما ماءً للشراب ويحفظ بالثانى بوله وبرازه، ويترك له إناء آخر للزيت يضع منه فى المصباح الذى يلزم باضاءته ليل نهار . وكان ذلك الأثاث لمن كانوا فى الحبس الاحتياطى وذنبهم قليلا ؛ أما من عداهم فلا .

وسبب إلزامه باضاءة المصباح ليل نهار، لكى لا يميز الليل من النهار . وكان يستعاض فى سجون أسبانيا عن المصابيح الزيتية بشموع ، ليذكر السجين بأنه أصبح فى عداد الأموات الذين توقد لهم فى غرفهم الشموع ، لشدة النكاية بهم وهم أحياء ، ولازدياد الرهبة فى قلوبهم فيلتزم الهدوء والسكون . ولم يكن يسمح للسجين برفع صوته حتى لو كان يصلى ، بل يجب أن يلتزم الصمت العام ؛ والويل كل الويل لمن خالف ذلك أقل مخالفة البتة . وكان يفرض لكل سجين منهم قرش واحد فى اليوم ، فاذا ما انتهى الشهر طاف بالسجناء السجان يجمع منهم تلكم النقود ، ويسأل كل واحد منهم ماذا يرغب أن يفعل بها فى شهره القادم وما يريده من مأكل مثلا ؛ وإليك إجابته على قبيل المثال :

(١) تسعة قروش ليقدم له كل يوم صحن مرق لحم ساخن (٢) ثمانية قروش ثمن خبز (٣) أربعة قروش ثمن جبن (٤) قرشان ثمن فاكهة (٥) أربعة قروش ثمن نبيذ .

والباقى وقدره ثلاثة قروش لغسل ثيابه، وكان يصحب السجان كاتب يدون مطالب السجناء كل على حدة، فيقدم للسجين كل ما أملاه على الكاتب وما أبداه من رغبات مع تقديمها تماما فى مواعيد مضبوطة . أما إذا جاء أمر من الديوان بإلغاء شىء منها أو بإلغائها كلها، فلا يعطى شىء ما ؛ وإذا ماقرر المجلس شيئاً للسجين من الأطعمة فيجب على الكاتب والسجان أن ينفذوا ذلك بكل دقة، وإلا نالهما من العقاب الصارم مايجعله عبرة لغيره، لأنه لم ينفذ أوامر المحكمة المقدسة، وكان رجالها يعدون أنفسهم نواب الله فى أرضه .

أما من كان يستزيد فى المقرر من طعام وخمر، وكان جلهم من الغرباء، فكان يجب عليهم أن يتقدموا لرجال الديوان ويشافهوهم بطلباتهم وحاجاتهم فيستمع لهم رجال الديوان وينصتون وتجاب الطلبات غالباً مالم يكن منها مايضر بالصحة ، وكانوا يقصدون بذلك أن يطيلوا آجالهم لتنفذ فيهم مشيئة المحكمة المقدسة، ولا يدعونهم يموتون من مرض تسبب عن طعام أو شراب .

وكان محظوراً على السجين أن يكلم أحداً أو أن يرفع صوته سواء أكان من الآلام أم للصلاة

أو لاستغفار الله أو للترتيل أو للغناء أو لأى سبب آخر، فكأنما قد انقطعت صلته بالعالم بأسره انقطاعاً تاماً ، ومن خالف تلك الأوامر عرض نفسه للعذاب وللقصاص الأليم، وكان حراس السجون ورجال النظام فى تلك السجون المظلمة ينقلون لرجال الديوان المقدس كل مايحدث فلا تخفى عليهم خافية . وكانت الممرات التى بها أبواب السجون ملأى بالسجانين يستمعون لمعاشر البائسين فى المطابق ويأمرونهم ألا يرتكبوا مايحرمه رجال التفتيش عليهم مرة ، فاذا عاد وارتكب مخالفة (على حد تعبيرهم) صدر الأمر بإرسال السجين إلى حضرة رجال المحكمة، ويخرج المسكين أمام بقية المسجونين، وإذا مثل أمام المحكمة أصدرت حكمها بسرعة بتأديبه وتعذيبه، فيرسل إلى قاعة التعذيب فيصيح من شدة الآلام التى يقاسيها حينئذ ويصرخ فاذا ماسمعه رفقاؤه فى السن ملئوا رعباً واشتد بهم الحزن والغم .

وكان محظوراً على السجين الإتيان بحركة أو الكلام وهو فى سجنه منعاً باتاً، حتى إن أحد المسجونين أصيب بالسل بعد أن قضى زمنا طويلا فى عذابه وسجنه الرطب الموحش المظلم، فأخذ يسعل رغم أنفه، فأنذروه بألا يعود إلى السعال بعد، فأجاب وهو خاشع ذليل أن هذا رغم إرادته، وأنه لا يمكنه الانقطاع عن السعال. واشتد عليه المرض فأكثر من السعال فاقتيد إلى المحاكمة فقضت فيه بحكمها العسوف ، وكان يقضى بضربه بالعصى فضرب حتى سقط بين أيدى معذبيه القساة واستراح من تعاسته وحياة السجون والعذاب . والذى روى هذا شاهد عيان اتهم بأنه من أحرار البنائين (الماسون)، وسجن عام ١٧٤٣ – م سنة ١١٥٦ هـ .

٥ — ديوان التفتيش فى بلاد البرتقال

بدأت محاكم التفتيش تباشر فظائعها ببلاد البرتقال حوالى سنة ١٥٤٧ م (سنة ٩٥٤ هـ) أيام الملك جوان الثالث، أعنى عند مابدأت الأسرة المالكة هناك فى الانحطاط، على أنا نرجو ألا يفهم من هذا أنه لم يكن هناك اضطهادات دينية عديدة وقعت على الناس فى بلاد البرتقال وبلاد أسبانيا قبل ذلك التاريخ ، فكل من درس تاريخ تلك العصور المظلمة يعلم شدة غلو الملك فرديناند فى تعصبه للمذهب الكاثوليكى والذى كان يقول كلمته الشهيرة وهى :

« يجب أن تكون أسبانيا إما كاثوليكية أو إسلامية »، ويعنى بذلك أنه يجب أن تدين البلاد بدين واحد وهو الكاثوليكى طبعاً ، ويجب ألا تدين بدين آخر .

أما فى بلاد البرتقال فقد أدخل الملك جوان الثالث ذلك الديوان الخاص المعروف بقسوته وعتوه فى محاربة من خالفه ، ونعنى بذلك الديوان ديوان التفتيش أو محكمة التفتيش ، وكان ذلك الملك يأتى إلى ساحة المدينة التى كان يحرق بها من حكمت عليهم محاكم التفتيش بالحرق والعذاب ، وكان يصحب الملك الملكة والوزراء ورجال الدولة وكبار رجال الدين فيتبوءون مجالسهم فى مكان مرتفع مزين أحسن زينة ليمتعوا النفس بمناظر التعذيب وحرق الجثث البشرية الحية .

على مظهر

حضرموت

وعهدها بالنحلة الاباضية

بقلم السيد عبد الله حسن بلفقيه العلوى [تريم]

لمعة عن مسمى حضرموت

حضرموت فى أصلها مملكة أو ولاية تقع فى جنوب شبه جزيرة العرب، وهى وإن كانت مضافة إلى اليمن وتحسب فى اعتبار البعض مخلافا من مخاليفه، فهى معدودة أيضاً كأحد الأقاليم الشهيرة التى يتألف منها شبه جزيرة العرب . وقد أشار إلى ذلك المؤرخ الكبير ابن خلدون فى تاريخه الشهير .

ويذكر ابن خلدون فى تحديده لإقليم حضرموت ـ كما يستخلص من مواضع متفرقة من كلامه فى تاريخه ـ أن حد إقليم حضرموت من الشرق إقليم عمان ، ومن الغرب ناحية عدن أبيرة ومخلاف بيحان ، ومن الجنوب البحر الهندى ، ومن الشمال أرض وبار وبلاد كنده . (١)

وينقل ابن خلدون عن ابن حوقل تقسيم إقليم حضرموت إلى قسمين ، فيقول : إنهما يكونان معاً لملك واحد ، فيسمى أحدهما بحضرموت وهو قسم الداخل، ويسمى الآخر ـ وهو القسم الساحلى ـ بالشحر وبلاد مهره وببسايط حضرموت . وتحديده لهذا القسم الساحلى بأن من غربيه ساحل البحر الهندى الذى عليه عدن (٢)، وفى شرقيه بلاد عمان ، وفى جنوبيه بحر الهند مستطيل عليه ، وفى شماله حضرموت كأنها ساحل له .

أما بعض المتأخرين من علماء حضرموت فلهم أقوال أخرى ينقلونها عن تحديد حضرموت؛ وأشهرها أن حدها بجهة الغرب الجنوبى عين بامعبد الواقعة غربى بير على ، وفى الشرق الجنوبى المكان المسمى بديموت الكائن غربى سيحوت ، وفى الغرب الشمالى حدود ريدة الصيعر، وفى الشرق الشمالى نهاية حدود مهره فى الشمال. فيحمل هذا التحديد شرقاً على المشقاص وما حاذاها من التخوم الفاصلة بين أرض الظنى ومهره ، ويحمل غربا على جردان وما والاها .

---

(١) ص ٩٢ و ٢٢٥ و ٢٢٦ ج ٤ : ابن خلدون .

(٢) عدن المذكورة هنا هى عدن أبيره . انظر ص ٢٢٢ ج ٤ : ابن خلدون .

أقدم عهد لاتصال الخوارج بحضرموت

أول ما كان من اتصال الخوارج بحضرموت مايذكره المؤرخون كابن خلدون من انتياب الخوارج النجدية، أى أشياع نجدة بن عامر الحنفى، لحضرموت وبعثهم لها فى سنة ٦٦ من الهجرة بافديك لقبض الصدقة باسم الفرقة النجدية.

بدء عهد الإباضية

ثم كان عهد الإباضية (١) أتباع عبد الله بن إباض الصريمى الحارثى، وهم إحدى فرق الخوارج. ويجتمعون مع بقية الفرق الخارجية فى القول بإكفار عثمان وعلى ومعاوية وأصحابه والحكمين ومن رضى بالتحكيم. وفى القول أيضاً بإكفار الزانى والسارق، وفى القول بوجوب الخروج على السلطان الجائر. ويبتدىء عهد الإباضية بحضرموت بدخول أبى حمزة الخارجى البصرى إلى حضرموت سنة ١٢٩ هجرية بعد افتتان عبد الله بن يحي الكندى به وبدعوته الإباضية حينما لقيه بمكة سنة ١٢٨ هـ.

محاولة إنكار العهد الاباضي بحضرموت

كتب صاحب جريدة (الهدى) السينقافورية حضرة عبد الواحد الجيلانى مقالا اطلعنا عليه بمجلة (المعرفة) عدد نوفمبر ١٩٣٢ عنوانه (مجلة المعرفة وما ينشر فيها). وفى هذا المقال أبدى صاحب جريدة الهدى محاولة إنكار وجود عهد النحلة الإباضية بحضرموت، وما كان من إبادتها عقب دخول الإمام المهاجر أحمد بن عيسى إلى حضرموت وتوطن السادة العلوية بها مما ذكره مؤرخو حضرموت.

وإلى القراء بعض ما قاله فى هذه المحاولة:

« وقد ظن بعض القراء أن السيد طه أراد بمقالته تلك إثبات وجود النحلة الأباظية (كذا جاء بالظاء المعجمة وبفتح الهمزة) بحضرموت وإبادتها على يد أحمد بن عيسى المهاجر الذى هاجر إلى حضرموت من العراق كما يقول السيد طه وغيره من الكتاب الباعلويين (٢) مما لم يذكره مؤرخ ثقة، ولكننا لا نعتقد ذلك، فالسيد طه لا ناقة له ولا جمل فى علم التاريخ، ولا نظن أنه اطلع على أى تاريخ معتبر »، هذا ما قاله حضرة ع. و. الجيلانى:

---

(١) بكسر الهمزة كما ضبطه شارح الكامل: سيد بن على المرصفى.

(٢) نرى حضرة ع. و. الجيلانى يكرر دائماً — لمناسبة ولغير مناسبة — كلمة «الباعلويين» التى لم تسمع قط قبله، ولم يقلها أحد من النسابين؛ والذى يظهر أنه إنما يفعل ذلك لحسبانه أن هذا هو من الكياد للسادة آل أبى علوى العلويين الذين أخذ على نفسه الوقيعة فيهم طاقته. ونحن نجله عن أن يغفل عن أنه بتشبثه بهذه الكلمة الركيكة إنما يظهر للملأ إما جهله وإما

الأسباب التى أوجبت تأجيل البحث إلى اليوم

كنت كل هذه المدة الماضية أتطلع إلى ما يكتبه الأستاذ السيد طه السقاف فى سبيل الدفاع عما نقله والذب عن مقاله، لأنى قررت لزوم جانب التوقف والتمهل ريثما يتولى حضرته ذلك أو يقوم غيره من أنصار التاريخ من مواطنى بالمهجر فيعرف صاحب جريدة الهدى مبلغ علمه بالتاريخ وبكتب المؤرخين ويبصره بحقيقة دعاويه وما ظهر من ريائه العلمى ولا يدعه حتى يترك له ولغيره من المتطفلين أكبر عظة وأعظم عبرة من ناحية التاريخ الحضرمى، وهى أن تاريخ حضرموت بعد الاسلام قد حققه الحضارمة واليمنيون، وما بقى لتشويش الدخلاء إليه سبيل ولا لعبثهم متسع.

وذلك لأن هؤلاء الدخلاء قد أكبروا الأمر وأعظموا الفرية، حيث تظاهروا وادعوا — على جهلهم — بأنهم أعرف بتاريخ حضرموت من علمائها وأدبائها، بل من مؤرخيها وجهابذتها.

لكنه قد خطر لى بعد مضى هذه المدة الطويلة دون عثور على رد، ووقوف على تعقب لمحاولة صاحب جريدة الهدى بصدد النحلة الإباضية وعهد حضرموت بها — خطر لى أن ربما يوجد هناك علة تصرفهم — أى مواطنى هناك — عن التعقب والاستدراك على هذه المحاولة الواهية، كشعورهم مثلاً بانبناء أمور هؤلاء على محض المماراة ومجرد السفسطة.

فقلت حينئذ إن كان هذا هو الصارف لهم ومن أجله لووا عنان تعقبهم لصاحب جريدة الهدى واستدراكهم على أخطائه فى محاولته — فإنى بهذا لا أرى رأيهم لما يؤدى إليه من التشكيك والارتياب فى صحة حادثة من أشهر حوادث الماضى، وواقعة من أظهر وقائع الغابر.

ماذا قال المؤرخون عن دخول الاباضية ووجودها بحضرموت؟

إن واجبى بازاء محاولة صاحب جريدة الهدى — لإنكار عهد الإباضية بحضرموت وإنكار إبادتها على يد العلويين وتلامذتهم وأنصارهم — يتحدد فى ألا أزيد على نقل أقوال مشاهير المؤرخين وثقاتهم لدى الأمة العربية والشعوب الاسلامية. وأن أسرد ما ذكروه فى تاريخهم عن

تحامله، لأن كتب الأنساب طافحة بذكرهم على غير ما يقول. والنسابون من العرب فى مشارق الأرض ومغاربها مطبقون على تسميتهم بآل أبى علوى وبالعلويين. ولكن إذا كانت عقلية صاحبنا تصور له أن ابتداعه اليوم هذه الكلمة يعد فتحاً عظيما له فى عالم الاختلاق ومجداً يخلد له فى بطون الأوراق، أو تصور له أيضاً أنه بهذا سيكون مخرجاً للسادة آل أبى علوى عن حظيرة العلوية التى تواطأ النسابون على انتمائهم إليها — فلعقليته أن تبرز للعالم ماشاءت من المخزيات والمضحكات ولا عتاب ولا ملامة، مادام هو فرحا بذلك.

دخول النحلة الإباضية إلى حضرموت، وعن وجودها مدة تقرب من القرنين حتى جاء عهد السادة العلويين الذى كان فيه إبادتها وتطهير الإقليم الحضرمي منها .

ولا أتعرض إلى غير عزو القول إلى قائله ملخصاً أو مبسوطا ، ولكنى أدع التعليق على ذلك لقراء « المعرفة » الذين بينهم — والحمد لله — العدد الكثير من ذوى المكانة العالية فى العلم والفطنة ، والاطلاع والتحقيق .

ابن جرير الطبرى

قال ابن جرير الطبرى فيما يرويه عن موسى بن كثير : كان أول أمر أبى حمزة، وهو المختار ابن عوف الأزدى السلمى من البصرة . قال موسى: كان أول أمر أبى حمزة أنه كان يوافى كل سنة مكة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد وإلى خلاف آل مروان ، قال : فلم يزل يختلف فى كل سنة حتى وافى عبد الله بن يحيى فى آخر سنة ١٢٨ فقال له : يارجل اسمع كلاما حسناً، أراك تدعو إلى حق فانطلق معى، فإنى رجل مطاع فى قومى، فخرج حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة ودعا إلى خلاف مروان وآل مروان (١).

المسعودى

قال المسعودي فى تاريخه : وفى سنة ١٣٠ جهز مروان بن محمد جيشاً مع عبد الملك بن محمد ابن عطية السعدى فلقى الخوارج بوادى القرى فقتل بلخ (يعنى ابن عقبة الأزدى)، وفر أبو حمزة وأكثر من كان معه من الخوارج ، وسار عبد الملك فى جيش مروان من أهل الشام يريد اليمن ،وخرج عبد الله بن يحيى الكندى الخارجى من صنعاء فالتقوا بناحية الطايف وأرض جرش فكانت بينهم حرب عظيمة قتل فيها عبد الله بن يحيى (٢) وأكثر من كان معه من الإباضية، ولحق بقية الخوارج ببلاد حضرموت ، فأكثر أهلها إباضية إلى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ، ولافرق بينهم وبين من بعمان من الخوارج فى هذا الوقت (٣).

ابن الأثير

قال ابن الأثير فى تاريخه الكامل فى حوادث سنة ١٢٨ : كان اسم أبى حمزة الخارجى

---

(١) ص ٧٨ ج ٩ : تاريخ الطبرى طبعة أولى بالمطبعة الحسينية بمصر.

(٢) ذكر المسعودى قبل هذا الكلام أن عبد الله بن يحيى سمى نفسه طالب الحق .

(٣) ص ٦٧ ج ٣ من تاريخ المسعودى المسمى بمروج الذهب، والمطبوع بهامش نفح الطيب سنة ١٣٠٢ بالمطبعة الأزهرية بمصر .

المختار بن عوف الأزدى السلمى البصرى ، وكان أول أمره أنه كان من الخوارج الإباضية يوافى كل سنة مكة ويدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد، فلم يزل كذلك حتى وافى عبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق فى آخر سنة ثمان وعشرين، فقال له : يارجل أسمع كلاما حسناً ، وأراك تدعو إلى حق فانطلق معى فإنى رجل مطاع فى قومى، فخرج حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة ، ودعا إلى خلاف مروان وال مروان . وقال فى حوادث سنة ١٢٩ : وفى هذه السنة قدم أبو حمزة بلخ بن عقبة الأزدى الخارجى الحج من قبل عبد الله بن يحيى طالب الحق محكما للخلاف على مروان بن محمد ، فبينما الناس بعرفة ما شعروا إلا وقد طلعت عليهم أعلام وعمايم سود على رءوس الرماح وهم سبعمائة. ففزع الناس حينما رأوهم وسألوهم عن حالهم فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان. وذكر فى حوادث سنة ١٣٠ بقية أخبار أبى حمزة وقتله وقتل طالب الحق .(١)

ابن خلدون

قال فى تاريخه : كان اسم أبى حمزة الخارجى المختار بن عوف الأزدى البصرى، وكان من الخوارج الإباضية، وكان يوافى مكة كل موسم يدعو إلى خلاف مروان . وجاء عبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق سنة ١٢٨ وهو من حضرموت فقال له انطلق معى فإنى مطاع فى قومى فانطلق معه إلى حضرموت وبايعه على الخلافة . وبعثه عبد الله سنة ١٢٩ مع بلخ بن عقبة الأزدى فى سبعمائة فقدموا مكة وحكموا بالموقف. وعامل المدينة يومئذ عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك . وذكر ابن خلدون قتل أبى حمزة وانهزام الخوارج بوادى القرى، وقتل طالب الحق بعد ذلك . (٢)

وساق فى آخر الباب كلته عن انقراض كلمة الخوارج بالشام والعراق إلى أن قال: إلا ما كان من خوارج البربر بافريقية، فإن دعوة الخارجية فشت فيهم ثم فشت دعوة الإباضية والصفرية... إلى قوله : وبقيت آثار نحلتهم فى أعقاب البربر ، ثم قال بعد ما تقدم: وكان بنواحى البحرين وعمان إلى حضرموت وشرقى اليمن ونواحى الموصل آثار تفشى وعروق فى كل دولة .

وختم ابن خلدون الباب بهذه الجملة : ويقال إن باليمن لهذا العهد شيعة من هذه الدعوة

---

(١) ص ١٦٦ و١٦٧و١٧٧و١٨٥و١٨٦ ج ٥ من ابن الأثير طبعة أولى بالمطبعة الأزهرية بمصر سنة ١٣١٠.

(٢) ص ١٢٧ ج٣ : ابن خلدون

ببلاد حضرموت (أى عهد المؤلف فى النصف الأخير من القرن الثامن) ، والله يضل ويهدى من يشاء. (١)

ونقل ابن خلدون عن ابن حوقل مانصه : ويسكنها (أى الشحر ، وهو قسم حضرموت الساحلى) بعدهم مهرة من حضرموت أو من قضاعة ... إلى أن قال : ودينهم الخارجية على رأى الإباضية منهم. (٢)

مقارنة بين أقوال الشلى وأقوال هؤلاء المؤرخين

ينسب صاحب جريدة « الهدى » الشلى صاحب المشرع الروى فى مناقب بنى علوى ، إلى أنه لا يكتب لمجرد التدوين التاريخى ، وأن صفته التحامل والتحزب فيما يكتب ،ونحن مضطرون هنا إلى نقل ماأورده الشلى بهذا الصدد مما يجعله صاحب جريدة الهدى محوراً للاستشهاد على تحامل العلويين ؛ الذى مازلنا نجهله ونجهل كثيراً الطرف المقصود به فى هذا المقام .

قال الشلى رحمه الله : ثم فى سنة تسع وعشرين ومائة استولى على هذا الإقليم طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندى الأعور ،واجتمع عليه الخوارج، ثم سار إلى صنعاء واستولى عليها فجبى الأموال وجهز إلى مكة عشرة آلاف وغلبوا عليها،ولما سمع بخبرهم مروان بن محمد ـ وكان بالمدينة ـ جهز عليهم والتقى الجمعان بقديد فى صفر فانهزم أصحاب مروان وقتل منهم ثلثمائة نفر من قريش منهم حمزة بن مصعب بن الزبير وابنه عمارة وابن أخيه مصعب بن عكاشة وأمين ابن عبد الله وعمرو بن عثمان ، وقتل من بنى أسد أربعون،وفيه يقول النابغة :

ما للزمان وماليه   أفنى قديد رجاليه

ثم بعث مروان بن محمد أربعة آلاف عليهم عبدالملك بن عطية السعدى،والتقوا مع أصحاب طالب الحق بمكة المشرفة،فانتصر أصحاب مروان وقتلوا أصحاب طالب الحق، فلما بلغه ذلك أقبل من اليمن فى ثلاثين ألفاً،وسار ابن عطية لقتاله فالتقوا ثانياً ودام القتال حتى قتل طالب الحق وقتل معه ألف حضرمى وبعث برءوسهم (٣) إلى مروان ... ثم قال بعد كلام لا علاقة له بالموضوع: ولم تزل الإباضية ظاهرين فى هذا الإقليم وشوكتهم قائمة إلى أن قدم المهاجر إلى الله

(١) ص ١٧٠ ج ٣: ابن خلدون .

(٢) ص ٢٢٧ ج ٤: ابن خلدون .

(٣) نقل ابن الأثير فى الكامل قتل طالب الحق وحمل رأسه إلى مروان .

مالى أحمد بن عيسى [١] (وساق نسب المهاجر) فطهر الله به البدع والضلال بما أورده من صحيح الاستدلال، وأحياه به ونشره بعد ما أماته وأقبره . ثم تلاه الشيخ سالم [٢] فأنزل البدعة إلى أنزل رتبتها، ونشر العلوم وأظهر فضيلتها . ثم عززها الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم [٣] فقدس به ذلك الوادى ، وأسس على التقوى مسجد ذلك النادى، فأظهر فى هذا الإقليم عقائد أهل السنة والجماعة، وأحيا العلوم على الصراط المستقيم، قاصداً بذلك وجه الله الكريم .

وقال فى موضع آخر: لما وصل السيد الإمام أحمد بن عيسى تلك الديار قصدته الأخيار ، وعملت المطى إليه من أقصى القفار ، ودخلت الخوارج تحت الطاعة، وعلمت الإباضية أن ليس لهم بأهل السنة استطاعة ، وقام بنصرة السنة حتى استقامت بعد اضمحلال، وأظهر إمامه الإمام الشافعى بنشر مذهبه، وأقعد النسب الهاشمى فى علياء رتبه ، وتاب على يده خلق كثير ، ورجع عن البدعة إلى السنة جم غفير، بعد أن ركبوا الصعب والذلول فى تشتيت شمله والله يجمعه ، واجتهدوا فى خفض مناره والله يرفعه . [٤]

هذا هو ماأورده صاحب المشرع بصدد عهد الإباضية بحضرموت وكيف كان دخولها إليها ، وكيف تمت إبادتها فى عهد العلويين . فأين هو يا ترى أثر ذلك التحامل العظيم الذى يرفع به عقيرته حضرة عبد الواحد الجيلانى فى هذا المقام وفى غيره، فيبهت به أقواما أبرياء يقرأ كتاباتهم المنصفون فيأسفون أن يكون بين كتاب الضاد كاتب لبق كحضرة صاحب جريدة الهدى يكرس وقته النفيس ويستخدم قريحته الوقادة فى القذع والالذع وجرح العواطف ومغالطة الحقائق وإيقاد نيران الفتن بين أبناء الوطن الواحد ؟ إن هذا مما لا يرضاه له أى حادب عليه ، هداه الله وإيانا سواء السبيل ؟

[تريم . عدن] عبد الله بن حسن بلفقيه باعلوى العلوى

---

(١) هاجر المهاجر إلى حضرموت سنة ٣١٧ بطريق الحجاز واليمن، ووصلها حوالى سنة ٣١٩ وتوفى بها سنة ٣٤٥ .

(٢) الشيخ سالم هو سالم بن بصرى ترجمه الطيب بامخرمة فى الجزء الثانى من تاريخه فقال: سالم بن بصرى بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى بن محمد بن على بن جعفر الصادق إلى آخر نسبه؛ ثم قال: وبصرى المذكور هو أخو علوى بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى جد الأشراف آل أبى علوى؛ وذكر أنه توفى سنة ٦٠٤ هجرية .

(٣) توفى الفقيه المقدم رضى الله عنه ونفع به بتريم سنة ٦٥٣ هـ .

(٤) ص ١٢٧ و١٥٤ و١٥٥ ج ١: المشرع الروى .

في الأدب الروسي

قصة الأنف

لنيقولا جوجول (١٨٠٩ - ١٨٥٢)

— ١ —

في صبيحة ٢٥ مارس حدث بمدينة بطرسبرج حادث جد طريف ، فقد استيقظ الحلاق « إيفان ياكوفلفتش » مبكراً قليلاً على خلاف عادته ، وذلك لأن الحجرة كانت تعبق برائحة خبز حار . ولأول ما نهض من فراشه وقعت عيناه على زوجته ، تلك السيدة المترهلة المغرمة بتعاطي القهوة ، فرآها منهمكة في إخراج أرغفة طازجة من الفرن فقال :

« لست أريد أن أتناول قهوتي اليوم يا « براسكوفيا أوزبوفنا » ، فإني أفضل بدلا منها خبزاً حاراً مع قليل من البصل » .

والحق الذي لا مرية فيه ، هو أن إيفان ياكوفلفتش كان يفضل أن يتمتع بالقهوة والخبز معاً ، إلا أنه كان على ثقة من أنه محال أن يطمح إلى شيئين في آن واحد ، لأن براسكوفيا أوزبوفنا كانت تمقت مثل هذا الإسراف . فقالت الزوجة في نفسها :

« ليتناول الأحمق خبزاً فذلك خير لي وأبقى ، لأن فنجاناً ثانياً من القهوة سيترك لي شراباً هنيئاً » ، ثم ألقت إليه برغيف فوق المائدة .

ووفقاً لآداب المائدة وضع إيفان ياكوفلفتش فوق قميصه طرفاً من رداء قديم ، ثم جلس إلى مائدة تناثر الملح عليها ، وفوقها بصلتان ، فتناول السكين بيده وأخذ يقطع الرغيف في حين كان وجهه تبدو عليه سيماء الجد والرزانة . وبعد أن قطع الرغيف نصفين حملق إلى لبابه ملياً ، وأخذته الدهشة حين رأى شيئاً أبيض فيه ، فنقر إيفان ياكوفلفتش بسكينه مثنى وثلاث ، ثم لمسه بأصبعه ، ومع ذلك لم يهتد إلى معرفته .

وأخيراً أنشب أظافره في لباب الرغيف وانتزعه ، وكم كانت دهشته بالغة حين رأى ذلك أنفاً !... سقطت يد إيفان ياكوفلفتش من أثر الدهشة ، ولكنه بسرعة مسح عينيه جيداً ، وعاد يفحص ذلك الشيء من جديد . . لقد كان أنفاً حقيقياً ؛ وأعجب من ذلك أن الأنف بدا لناظريه مألوفاً عنده ، وفي الحال سرت في وجه إيفان ياكوفلفتش نظرة ذعر عميق ؛ ولكنه ذعر ضئيل إذا قيس بالسخط الذي استولى على زوجته التي أخذت تصرخ وتقول :

« من أين اقتطعت هذا الأنف أيها الوحش الضارى والوغد السكير ؟ سأذهب بنفسى إلى البوليس لأبلغ عنك أيها الأثيم .. طبعاً نجد مثل هذا الأنف هنا، فلقد سمعت من ثلاثة من كرام زبائنك أنك عند ما تحلق لهم شعورهم تعمد إلى أنوفهم فتسحبها ذات اليمين وذات الشمال حتى لتكاد تقتلعها من وجوههم ».

وكان إيفان ياكوفلفتش آنئذ أقرب إلى الموت منه إلى الحياة ، فقد لاحظ أن الأنف لا يمكن أن يكون إلا أنف « كوفاليوف » ذلك الرجل الذى يحلق له كل يوم أربعاء وكل يوم أحد.

« مهلا يابراسكوفيا أوزبوفنا، مهلا ، سألفه فى خرقة وأضعه فى ركن من أركان الحجرة .. وليبق هنا قليلا ريثما أعود إليه ثانية » .

« لا . لا . لا أحب أن أتصوره ... يا للقذارة ، ياللشناعة !وهل أنا ممن يسمح لأنف مجدوع أن يبقى فى حجرته ؟ . . ابعد به ، خذه إلى حيث تشاء، لا تجعل عينى ترمقانه ثانية ».

فوقف إيفان ياكوفلفتش كمن دهمته داهمة ، وفكر وأطال التفكير، ولكنه لم يدر كيف يتصرف، فقال: « إن إبليس وحده هو الذى يعرف كيف حدث هذا » . ثم أخذ يحك خلف أذنه ويقول : « هل جئت ثملا ليلة أمس أم ماذا ؟ لست أستطيع أن أجزم بشىء الآن، إلا أن هذا الحادث أمر شاذ ، لأن الخبز شىء يؤكل ، فى حين أن الأنف شىء آخر يخالفه تماماً، فكيف اجتمعا ؟ ما أغمض هذا السر ! ».

ثم استسلم إيفان ياكوفلفتش للصمت العميق وتراخت قواه عند ماخطر بباله أن البوليس قد يبحث عن الأنف ويلقى تبعة ذلك عليه . ثم تراءى له طوق البوليس الأحمر وسيفه الممشوق، فعراه ارتعاش شديد . وأخيراً انزلق فى بنطلونه وحذائيه وسحب الأنف ليدرجه فى خرقة بالية ، ثم خرج إلى الشارع مسرعاً تصحبه لعنات براسكوفيا أوزبوفنا المرة .

أراد أن يقصى الأنف عن الأنظار، وأن يلقيه كيفما اتفق، وبعد ذلك ينثنى راجعاً فى شارع جانبى دون أن يشعر به أحد . وإذ كان النحس حليفه أبداً فقد التقى بشخص يعرفه ابتدره سائلا حين كان يهم بإلقاء الأنف: « إلى أين؟ ومن ذا الذى ستحلق شعره فى هذا الصباح مبكراً ؟ ».

وهكذا لم تتح لإيفان ياكوفلفتش فرصة سعيدة يتخلص فيها من ذلك الأنف . وفى مرة ثانية ألقى الأنف بالفعل من يده، ولكن الخفير أشار إليه - عن بعد - بطرف بندقيته وهو يقول : « التقطه ، إنك قد ألقيت شيئاً » ، فاضطر إيفان ياكوفلفتش إلى أن يسترد الأنف ويضعه فى وطابه ثانية ، وهو آنئذ أكثر ما يكون يأساً ، خصوصاً وقد تزايد عدد المارة وأخذت المتاجر تفتح أبوابها شيئاً فشيئاً . وصمم فى الحال على أن يذهب إلى جسر القديس إسحق ، رجاء أن يتمكن من قذفه فى جوف نهر النيفا .

والآن، فلنتحدث عن شخصية إيفان ياكوفلفتش لأنه رجل جدير بالاعتبار من جملة وجوه .

إيفان ياكوفلفتش — ككل عامل روسي يحترم نفسه — كان سكيراً إلى حد الجنون، ومع أنه كان يحلق لحى الناس في كل يوم، إلا أن لحيته كانت تتمتع بحرية النمو، وكان معطفه ذو الذيل الطويل (ولم يكن يرتدي غير هذا الشكل) أرقط مختلف الألوان لقدمه وقذارته، وكان أيضاً فظاً غليظ القلب، فعند ما كان يقول له كوفاليوف وهو يحلق: « إن يدك دائماً تغرس الموسى في اللحم »، كان يجيبه الحلاق بقوله: « وأى شيء يجعلها تغرز هكذا ؟ »

« لا أستطيع أن أجيبك على سؤالك، ولكن الواقع أنها تغرز الموسى في اللحم ». هكذا ربما يكون رد كوفاليوف الذي عند مايتناول طرفاً من النشوق، كان إيفان ياكوفلفتش يجرحه مثنى وثلاث من أجله، في خديه وتحت أنفه وخلف أذنيه، وفي ذقنه وفي حيثما شاء.

تنبه إيفان ياكوفلفتش بعد مشية طويلة، فاذا به فوق جسر القديس إسحق، فنظر حوله جيداً ثم انحنى فوق سور الجسر، كما لو كان يتأمل السمك وهو يتسابق في جوف الماء، ثم ألقى في شيء من الحذر الأنف بخرقته. وبدلا من أن يذهب ليحلق لحى كتاب الحكومة في مكاتبهم، اتجه نحو مؤسسة تحمل هذا العنوان « الشاى والمرطبات »، فطلب زجاجة من الخمر المعتق، إلا أنه لمح في نهاية الجسر مفتشاً من مفتشي البوليس مهيب الطلعة ذا شاربين طويلين، فجمد الدم في عروقه، ثم ابتدره رجل البوليس قائلا: « تعال هنا يا صاح ».

وإذ كان إيفان ملما بالتقاليد، فقد رفع قبعته بيسراه قليلا ثم تقدم وقال: « أتمنى لكم الصحة ياصاحب السعادة »، فقال رجل البوليس: « لا لا أيها الرفيق العجوز، أنا لست صاحب سعادة. خبرني، ماذا كنت تفعل حين وقفت بجانب سور الجسر ؟ ».

« إنني كنت في طريقي إلى زبائني، ثم توقفت لأعرف فقط أكان التيار سريعاً أم بطيئاً ».

« هذا كذب وتضليل ! أنت لا تنجو بذلك، أرجوك أن تصدقني »، فقال إيفان: « إنني على استعداد ياسيدي العظيم أن أحلق لك مرتين أو ثلاثا في الأسبوع بدون مقابل ».

« لا يا صاح، عبثاً ما تقول، إن لي ثلاثة حلاقين يحلقون لي، وهم واثقون بأن ذلك شرف لهم. ولكن كن صادقاً، أطلعني على سبب وقوفك ». فامتقع وجه إيفان ياكوفلفتش، ولكن هذا الحادث توارى في زوايا النسيان ولم يعلم شيء مما حدث بعد ذلك.

— ٢ —

استيقظ كوفاليوف — زبون الحلاق إيفان ياكوفلفتش — في صبيحة اليوم التالي، وأخذ يترنم بأصوات نكراء تعودت أن تنفرج عنها شفتاه عند استيقاظه: « هم.م.م.هم.م.م الخ ». ثم اتكأ إلى حافة السرير وأخذ المرآة الصغيرة التي فوق منضدته، حتى يرى الدمل الذي برز فوق أرنبة أنفه في المساء السابق؛ ولكنه رأى شيئاً عجيباً، رأى مسطحاً مستوياً حيث كان

يجب أن يبرز الأنف... نعم فقد كان الأنف غير موجود ، فامتلأ لحينه جزعاً وهلعاً، وطلب قليلا من الماء ومنشفة ليمسح عينيه من القذى علّه يراه ، ولكن لم يكن هناك أنف ما ، فتلمس وجهه بيده ، ثم قرص جسمه ليتأكد أنه لم يكن نائماً ، فتبين له أنه مستيقظ بلا شك، ثم قفز من فراشه وهز جسمه وحرك عضلاته ، ومع ذلك ظل الأنف غائباً ، وأخيراً ارتدى ملابسه ثم يمم وجهه شطر البوليس.

كان كوفاليوف يفضل أن يلقب بالماجور كوفاليوف ، كذلك سنلقبه منذ الآن بهذا اللقب ، وكان من عادة الماجور كوفاليوف أن يتنزه جيئة وذهاباً فى ميدان « نفسكى » ، وكانت ياقته دائماً نظيفة جميلة ، وشارباه يشبهان ما نراه الآن عند ماسحى الأراضى والمعماريين وأطباء الجيش، وهما يبدءان من أواسط الخدين وينتهيان عند الأنف . وكان قد هبط بطرسبرج رجاء أن يعثر على وظيفة تليق بمقامه الذى خيله لنفسه . وكان يرى أنه إذا أسعده الحظ فلا أقل من وظيفة رئيس يشرف على مصلحة خطيرة ، ولم يكن الماجور كوفاليوف يرتاح إلى فكرة الزواج، إلا أنه إذا استطاع أن يعثر على عروس تملك مائتى ألف من الجنيهات فلا بأس بالزواج ، وهكذا يستطيع القارىء أن يتصور ماذا كان موقف الماجور كوفاليوف عند ما نظر إلى نفسه، فبدلا من أن يجد أنفه المتناسق ، وجد مسطحاً مستوياً ، وإذ كان النحس حليفه فإنه لم يجد عربة ما فى الطريق ، لذلك اضطر أن يسير على قدميه ملتفاً فى معطفه ومخبئاً وجهه تحت منديل بيده ، حتى أن كل من رآه يظن أن له أنفاً ، ثم أخذ يقلب المسألة فى ذهنه وهو يسير :

« قد يكون ذلك خيالا منى ووهماً ، محال أنى فقدت أنفى » .

ثم انثنى نحو رجل يبيع الحلوى ليتاح له النظر فى مرآة أخرى ، ولحسن حظه لم يكن بالمحل أحد ما ، اللهم إلا الغلمان الذين كانوا يمسحون البلاط ويضعون الكراسى فى أماكنها ، فقال: « حسناً، الحمد لله ، الآن أستطيع أن أنظر وأتأكد » ثم واجه المرآة بجبن شديد ، « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليتنى وجدت شيئاً بارزاً موضع الأنف ، ياللحسرة ، ألا يوجد شىء البتة ؟ »

ثم عض على يديه ندماً وحسرة ، وأسرع فى الخروج وهو قلق البال ، وصمم ـ خلافاً لعادته ـ أن لا ينظر أو يلتفت إلى أى إنسان من المارة ، وما كاد يسير قليلا حتى وقف فجأة أمام منزل، وكأنه شجرة نبتت هناك لا تبرح موضعها ، ذلك لأنه حدث أمام عينيه شىء غير مفهوم ، فقد وقفت عربة أمام المنزل ، ثم انفتح بابها فخرج منه سيد أنيق الهندام واندفع نحو درج المنزل ، وكان ذلك السيد موضع دهشة كوفاليوف ومصدر خوفه واضطرابه فى آن واحد، إذ أنه تراءى لكوفاليوف أنه هو أنفه المفقود ، وفى هذا الظرف العصيب خيل إليه أن كل شىء يضطرب أمامه، وأن الأرض التى يقف عليها كانت تميد به، وشعر أنه ضعف عن تمالك أعصابه ، ومع ذلك فقد صمم على أن ينتظر عودة ذلك السيد إلى عربته ليعيد إليه النظر

والفحص الدقيق ، وبعد دقيقتين رأى الأنف يعود فوق الدرج ، وكان يلبس ياقة مقواة مرتفعة وبنطلونا لركوب الخيل ، وكان يرسل سيفاً إلى جانبه الأيسر ، وعند ماخرج من باب المنزل نظر يمنة ويسرة . وطلب إلى السائق أن يفتح باب العربة ، ثم ولجها فسارت .

أما كوفاليوف المسكين فقد طار لبه وجن جنونه ، ولم يستطع أن يتروى في هذا الاتفاق العجيب ، الذي أوقفه أمام أنفه الذي كان ـ حتى الأمس فقط ـ في وسط الوجه ولا يستطيع الحركة والمشى ، فكيف يبدو اليوم في حلة رسمية ويعتلى العربات ويتسلق الدرج ؟

أطلق لساقيه العنان خلف العربة ، وكان المنديل يحجب معظم وجهه ، ولكنه وقف عند مدخل السوق العامة ، وأخذ يشق صفاً من الشحاذات العجائز اللاتى كن موضع سخريته واحتقاره بالأمس ، فاذا به اليوم يخشى سخريتهن ، وتلفت باحثاً عن السيد في كل جهة ، وأجال ببصره في كل موضع ، وأخيراً عثر عليه واقفاً أمام متجر من المتاجر ، وكان الأنف يحجب وجهه بتمامه تحت ياقته المقواة المرتفعة ، ويشاهد بعض البضائع المعروضة بكل انتباه .

« كيف أقترب منه وأحدثه ؟ » ، قال ذلك في نفسه ، على حين أخذ يفكر بقوة ، ثم خطر له أن يسعل بالقرب منه عله يستلفت انتباه الأنف ، فسعل ولكن الأنف لم يغير اتجاه وجهه .

فقال كوفاليوف : « سيدى ، سيدى » ، وذلك ببطء حتى يجعله يتحدث إليه في السر .

« ماذا تريد » قال الأنف ذلك مجيباً كوفاليوف على سؤاله ، ثم أدار له وجهه .

« تبدو لى عجيباً » ياسيدى ، يجب عليك أن تعرف أين موضعك الحقيقى ، أين ألقاك الآن حتى أستصحبك ؟ أنت ستقبل . فقال الأنف : « معذرة ، أنا لا أفهم عم تتكلم ، أفصح » .

« كيف يجب أن أفصح له ذلك » ؟ سأل كوفاليوف عن ذلك نفسه ، وأخيراً جمع كل مالديه من شجاعة وقال : « طبعاً أنا ماجور ، وكونى أسير بغير أنف أمر ينبغى أن تدرك عدم لياقته ، قد يمكن لامرأة عجوز ممن يبعن البرتقال فوق جسر « فنسكى » أن تبقى هناك بغير أنف ، أما أنا فلا يمكننى ذلك ، إذ أن لى مطامح سامية ، ولأنى تعرفت إلى آنسات كثيرات من عائلة « تشهتارف » العضو النيابى وغيرها ، فأنت تستطيع أن تقدر ذلك ، وأنا لا أعرف ياسيدى (وفي هذه اللحظة هز الماجور كوفاليوف كتفيه) ، اعذرنى إذا أنت نظرت إلى المسئلة من جهة الواجب والشرف ، فأنت تستطيع أن تفهم الأمور جيداً » .

« لم أفهم قط كلمة مما تقول . ماذا تريد ؟ » كذلك سأله الأنف بتضجر وتبرم . فأجابه كوفاليوف : « سيدى ! لست أعرف كيف أتفهم كلماتك . إن الأمر يبدو لى في غاية الوضوح ، فاما أن ترغب فى ... لماذا ، أنت أنفى وملك لى ، تعال هنا » ، ثم هم أن يقبض عليه ، إلا أن الأنف حدجه بنظرة حادة أوقفته عند حده ، ثم قال وحاجباه يرتعشان غيظاً : « أنت مخطىء ياسيدى ، أنا شخص مستقل ، ولا يمكن أن تكون بيننا أية علاقة » . قال ذلك ثم انصرف إلى

عربته ليمتطيها، فارتبك كوفاليوف ارتباكا عظيما، ولم يدر ماذا يفعل أو ماذا يقول. وفي هذه اللحظة كنت تسمع حفيف ملابس نسائية يقترب رويداً رويداً . ظهر أنها ملابس اثنتين إحداهما سيدة متقدمة في العمر تزدان ملابسها بالدنتلا ، وأخراهما فتاة هيفاء في ثوب أبيض يبدو جذاباً جداً .

اقترب كوفاليوف منهما، وأخذ يصلح من هيئة ملبســه وموضع سلسلة ساعته الذهبية ، على حين أخذ يبتسم يميناً وشمالاً ، ثم صوب اهتمامه نحو تلك الهيفاء الأثيرية التي كانت تتبختر في مشيتها حتى تجاوزته ويدها البيضاء وأصابعها الشفافة فوق جبينها النضر . ولقد استطالت ابتسامة كوفاليوف عند ما لمح تحت قبعة الفتاة ذقناً أبيض مستديراً، وخداً كورود الربيع المبكرة، ولكنه سرعان ما تبدلت ابتسامته عبوساً، فتراجع مرتداً على حين غرة كأنه قد أصيب بمفاجيء، ولا غرو فقد تذكر أنه لا يملك شيئاً قط فوق وجهه مكان أنفه ، وتفجرت الدموع من عينيه ثم انصرف عائداً نحو ذلك السيد ذي الحلة الرسمية ليخبره أنه ليس إلا مخادع شارد ، وأنه ليس إلا أنفه الخاص ، ولكن الأنف لم يكن هناك .

فتولى كوفاليوف من هذا يأس شديد ، على أنه وقف هنيهــة ينظر في كل جهة ليرى أين ذهب الأنف ... كان يذكر تماماً أن في قبعة الأنف ريشة، ولكنه لم يتذكر معطفه ولا لون عربته ولا حصانيها ، أضف إلى ذلك أن مئات العربات كانت تجرى بسرعة البرق الخاطف مما يجعل من العسير تمييزها ، حتى لو جاز أنه راقب واحدة منها ، فانه لا يستطيع أن يوقفها .

وكان اليوم جميلا مشمساً ،وكانت جماعات الناس تتحول في « نفسكى »، وكانت الفتيات ككثبان من الزهور منثورات على الأرصفة من « بولتسسكى » حتى جسر « انتشكن »،وبينما هو كذلك إذ لمح شخصاً من معارفه يتقدم إليه، وكان يلقبه بالكولونيل، خصوصاً إذا تحدث عنه إلى أناس آخرين ، كما أنه رأى « يارزخين » رئيس الكتاب بمجلس الشيوخ وصديقه الحميم، وكان هناك أيضاً ماجور آخر أخذ يلوح له بيده كثيراً، إلا أن كوفاليوف تعامى عنه.

« هاى ! هاى ! عربة ! سق مباشرة نحو منزل رئيس البوليس »، قال ذلك كوفاليوف ثم قفز إلى داخل العربة وهو يقول : « سق بسرعة »، ثم قال وهو يجتاز المدخل « هل رئيس البوليس في المنزل ؟ » فأجابه البواب : « لا ، لقد خرج الآن فقط »

— « هل أنت واثق ؟ »

— « نعم، نعم، وهو لم يبرحنا إلا منذ فترة، ولو أنك جئت قبل دقيقة واحدة للقيته »، وعند ذلك وثب كوفاليوف إلى العربة وهو ممسك وجهه بمنديله، ثم أخذ يصيح صيحة اليائس « سق، سق »، فتساءل السائق : « إلى أين ؟ » فقال : « إلى الأمام » .

— وكيف إلى الأمام ؟ ههنا ينحنى الشارع ،فهل أسير يساراً أو يميناً ؟

أيقظ هذا السؤال كوفاليوف واضطره أن يفكر وأن يطيل التروى ، ومن كان في مركز

كوفاليوف عليه أن يقدم نفسه إلى البوليس مباشرة ، لا لأن له صلات شخصية مع رجال البوليس، ولكن لأن إجراءآت البوليس ومعونته ربما كانت أسرع من أى ملجأ آخر يلجأ إليه .

وهكذا كان كوفاليوف على وشك أن يأمر السائق بالتوجه شطر مركز البوليس، لولا أن فكرة لاحت له، مؤداها أن ذلك اللئيم المخادع الذى سلك معه فى أول التقائه به مسلكاً شائناً ربما انتهز الفرصة وانسل هاربا من المدينة ، فتذهب كل أبحاثه أدراج الرياح، أو على الأقل تطول مدتها لشهر أو أكثر لاقدر الله . وخيل إليه أن السماء ألهمته سبيل التصرف الحسن، إذ صمم على أن يذهب إلى مكتب جريدة من الجرائد ليحرر فيها مقالا يصف أنفه فيه ، حتى إذا ما صادفه أحد من القراء فإنه يستطيع أن يقدمه إليه، أو على الأقل يرشده إلى موضعه . وإذ قد تشبع بهذه الفكرة فقد أخبر السائق بأن يتوجه نحو مكتب الجريدة، وما زال طوال الطريق يستحثه بكلمة بذيئة أو بوكزة فى ظهره وهو يقول : « أسرع أكثر من ذلك أيها اللعين . هيا هيا أيها الدنس » .

وأخيراً وقفت العربة أمام بناية ضئيلة ، فاندفع كوفاليوف إلى حجرة استقبال صغيرة حيث كان كاتب أصلع الرأس يلبس نظارتين ومعطفاً طويلا متهدلا، يجلس إلى مكتب ويضع قلمه بين شفتيه، على حين كان يعد قطعاً نقدية من النحاس أمامه . فقال كوفاليوف : « من هو المكلف باستلام أسئلة القراء هنا ؟ » ، وبعد صمت وجيز ما دفقند كر التحية فقال : « صباح الخير » .

فأجابه ذلك الكاتب الأصلع الذى حدجه بنظرة قائلا « ولك أتمنى صباحاً خيراً أيضاً » ثم عاد فصوب نظره مرة ثانية نحو النقود الموضوعة فوق مكتبه .

فقال كوفاليوف : « أحب أن أذيع إعلانا » .

« اسمح لى أن أرجوك انتظارى ثانية » ، قال الكاتب ذلك وهو يقيد رقما على الورق بيده ويحرك حبتين من اللوح العداد بيده الأخرى .

وكانت الغرفة غاصة بالنساء العجائز والباعة وبوابى المنازل، وكلهم يريدون نشر إعلانات ، فكنت ترى واحداً يريد أن يعلن أنه سائق رزين حسن السير والسلوك يبحث عن عمل ، وترى فى إعلان ثان أن عربة اشتريت من باريس سنة ١٨١٤ معروضة للبيع . وفى ثالث أن خادمة فى سن التاسعة عشرة تجيد الغسل والكى وهى مستعدة أن تؤدى غير ذلك من الخدمات . كما يوجد رجاء أيضاً إلى الذين يحتاجون لشراء نعل لأحذيتهم أن يتكرموا بالحضور بين الساعة الثامنة صباحا والساعة السابعة بعد الظهر . وكانت الحجرة التى تكدس فيها هؤلاء جميعاً صغيرة ، وكان هواؤها لذلك خانقاً ، ولكن كوفاليوف لم يكن يشم تلك الرائحة الكريهة .

« سيدى ، أرجوك أن تأذن لى بسؤال ، مسألتى مستعجلة جداً »، قال ذلك كوفاليوف وهو لايكاد يطيق صبراً على سكوته .

« دقيقة واحدة ، دقيقة واحدة ، روبيتان وثلاث وأربعون كوبكاً ، روبية واحدة وأربعة وستون كوبكاً »، كذلك كان يقول ذلك الكاتب الأصلع وهو يقذف السيدات العجائز وبوابى المنازل بمختلف الوثائق التى أحضروها إليه مبيناً عليها قيمة الإعلان ، ثم التفت إلى كوفاليوف وقال له : « ماذا أستطيع أن أفعل لك ؟ »

« لا أريد أن أسأل سؤالا : فقد حدثت سرقة لاأحب أن أصرح بها ، ولكنى أحب فقط أن تعلن أن أى شخص يحضر إلى ذلك الوغد الهارب فله منى جائزة ؟ »

« أرجو أن تسمح لى بالسؤال عن لقبك »

« لا . لا لماذا أضع لقبى ؟ أنا لا أستطيع أن أعطيك إياه إذ لى حلقة واسعة من الأصدقاء كالمدام تشهتارف زوجة العضو النيابى ، وبلاجيا جريجوريفنا أرملة أحد الضباط . . . ولكنك تستطيع أن تقول إنى رجل برتبة الماجور».

« هل السارق الذى فر هو خادمك ؟ »

« بكل تأكيد هو . . هو أنفى الذى فر منى . . أنفى الخاص »

« ها . ها . ما أعجب هذا الاسم ! هل سرق منك المسيو أنف مبلغاً جسيماً ؟ »

« المسيو أنف؟أنت لم تفهم كلامى . هو أنفى أنا ، أنفى الخاص هو الذى فر منى ، إلى أين لست أدرى ، اللعين يريد أن يسخر بى ويهزأ على حسابى » .

« ها . ها . وبأى شكل فر ؟ لست أفهم ذلك » .

« وأنا بدورى لست بقادر على إفهامك كيف فر ، والمهم الآن هو أن تعلم أنه يتجول فى المدينة مدعياً أنه من رجال الأمن ، ولذلك فأنا أرجو أن تعلن أن من يعثر عليه فليحضره إلى بأسرع مايمكن ، فكر أيها الصحفى كيف أستطيع أن أسير بدون هذا العضو الظاهر من جسدى ؟ بكل تأكيد ليس فقده كفقد أصبع قدمى الصغير الذى يمكن إخفاء فقده بلبس حذاء فلا يعرف أحد، هل هو هناك أم لا ، أذهب كل ثلاثاء إلى مدام تشهتارف وإلى بلاجيا جريجوريفنا وابنتها الفتانة ، وكلهن صديقاتى ، فتصور أى عزيزى هذا المانع الذى يمنعنى رؤيتهن، أنا لاأستطيع أن أريهن نفسى بعد الآن » .

فأخذ الكاتب يتروى وينعم النظر ،ثم قال بعد صمت طويل : «لا ، لاأستطيع أن أضع مثل هذا الإعلان فى صحيفتى » .

« ماذا ؟ ولماذا ؟ »

« ذلك لأن الصحيفة قد تخسر سمعتها ، إذ لو كتب كل شخص أن أنفه قد فر هارباً كما تريد أن تقول ، فإن القراء سيقولون حتما إننا لا نجد ما نكتبه ، ولذلك فقد أخذنا نملأ الجريدة بالسخافات والبلاغات الفارغة »

ولكن أين السخف في هذا ؟ أنا شخصياً لست أرى أبداً أي دليل على سخف إعلاني ».

« هل تظن أنه ليس سخيفاً ؟ ...... حدث في الأسبوع المنصرم أن موظفاً بالحكومة قدم إلى وبيده إعلان بلغ ثمنه روبيتين وثلاثة وسبعين كوبكاً ، وكل ما في الإعلان أن كلباً يلبس معطفا أسود قد ضل . ربما لا تظن أن في هذا الاعلان شيئاً ما ، لكنه اتضح فيما بعد أنه هجاء لشخص معين : فقد كان ذلك الكلب صرافا في مصلحة من مصالح الحكومة لست أذكر اسمها ».

« ولكنني لست أطلب الاعلان عن كلاب أو قطط ، بل عن أنفي . وأنا إن أعلنت عن أنفي فكأنني أعلن عن نفسي ، أفهمت ؟ » .

« إذا كنت قد فقدته فهذا من شئون الطبيب ، يشاطرني في هذا الرأي قراء جريدتنا ، فهم سيقولون إن هناك من الناس من يعوضك أنفاً من أي شكل شئت .. والآن ألاحظ عليك أنك شخص فكه مغرم بالنكتة والفكاهة » .

« أقسم بقدسية ربي أني لست أتفكه ولا أتندر . وإذ قد ظننت فسأريك بعينيك ».

« لست أريد أن أزعجك ، فإذا كنت لا تشعر بانزعاج فمن دواعي سروري أن ألقي نظرة واحدة على وجهك »، قال الكاتب ذلك على حين كان يتناول قليلا من علبة النشوق ، فرفع كوفاليوف منديله عن وجهه ؛ فقال الكاتب : « إنه في الحق شيء عجيب . موضع الأنف مستو تمام الاستواء كأنه فطيرة طازجة ، وهو أملس بشكل لا يصدق » .

« هل تعارض بعد الآن في إعلاني ؟ أنت ترى أن لا مناص من الإعلان ، وسأكون شاكراً لك أنت على وجه الخصوص إذا أتممت الإعلان ؛ ثم إني مغتبط بأن هذا الحادث أسعدني بالتعرف إليك أيها السيد » . ويظهر أن المأجور في هذه اللحظة كان قد صمم على أن يلتجيء إلى الثناء والاطراء والتملق .

« إن نشر مثل هذا الإعلان ليس عظيم الفائدة لك ؛ إذ أني لا أتوقع أي فائدة تعود عليك منه ، فإذا أردت الاستفادة من الإعلان فالرأي عندي هو أن تترك الإعلان ليد محرر ماهر ليصور قصة أنفك كفلتة من فلتات الطبيعة ، ثم انشر هذا المقال في صحيفة « نحلة الشمال » ، التي تنشر مثل هذه الأمور الشاذة (وفي هذه اللحظة تناول قليلا من النشوق) ، وطبعاً هذا هو الذي يبعث الدهشة في الرأي العام .

[البقية في العدد القادم]

فناء عالم المادة

وإثبات وجود الله رياضياً

ما فتىء الإنسان منذ البداية يتساءل عن سر هذا الوجود ، وما زال حائراً فيما يحوطه من معضلاته التى لا يستطيع تفهم كنهها . فهو أبداً تجابهه تلك المعضلة الأزلية « ما هذا الكون وما معناه ؟ من أين أتى ؟ وإلى أين يسير ؟ » . ولاشك أن هذه هى أعظم المسائل التى عرضت للحكماء والفلاسفة، والتى شغلت كثيراً من العلماء من قديم العهد . وليس من العجب فى شىء أن اختلفت آراؤهم وتباينت أبحاثهم ، وليس ما أمامنا من علوم الفلسفة والكيمياء والطبيعة والرياضة وغيرها إلا وليدة هذا البحث ونتيجة التفكير فى هذه الأمور . ولو أننا تصفحنا التاريخ لرأيناه حافلاً بالحروب والمنازعات فى سبيل الدفاع والذود عن عقائد الناس فيها . ولم يخل عصر من العصور دون رسول مرشد يلقن الناس تعاليم أولية عن سر وجودهم.

وكثيراً ما ضلت أفكار الفلاسفة فى هذا الكون وتفاوتت تخيلاتهم فى تصويره . فهذا ديمقراطيس يخبرنا أن العالم وجد عن طريق الاتفاق وأحكام الصدفة، فى حين يخبرنا فريق آخر أن الأرض والأجرام السماوية كانت على هيئتها هذه من قديم الأزل ولا تزال كذلك ، فلا ابتداء ولا انتهاء . وذهب فريق آخر ممن علكتهم روعة الكون إلى القول بأنه خيال وصور مطبوعة فى العقل البشرى ، ولا حقيقة لها فى الخارج . على أن هنالك من الفلاسفة من ساروا إلى مدى أبعد من ذلك .. وعلى رأس هؤلاء أرسطو وحكيم قرطبة ابن رشد . فمن رأيهما أن كل فعل يفضى إلى خلق جديد إنما هو عبارة عن حركة . وهذه الحركة تتطلب شيئاً يتحرك ، ووسطاً يتم فيه هذا التحرك . أما هذا الشىء فهو فى رأيهما مادة الكون الأصلية، وهو شىء قابل للانفعال ، ولا حد له ولا وصف ، فهو إذن ضرب من ضروب الافتراض لابد منه .

وفى هذا العصر الذى اشتد فيه النزاع بين القديم والجديد ، نرى كثيراً من أفرادنا ممن سئموا كل قديم ، وأغرتهم ظواهر المدنية ، ينبذون حتى معتقدهم ودينهم ، ويؤمنون بآراء مادية متخذين المادة إلههم ومعبودهم . لهذا رأيت أن أطرق هذا الموضوع من الوجهة العلمية لأبين لهم أن العلم الحديث إنما يطابق ما جاء فى الأديان السماوية كل المطابقة ، وأن المادة لا تستحق منهم كل هذا التقدير .

فكلمة مادة تشمل كل ما يشغل حيزاً من الفراغ ، وتمتاز بأن لها وزناً ، وفيها تمتد الأبعاد

الثلاثة . لهذا نقول إن الحرارة مثلا ليست بالمادة، ولو أنا فرغنا الهواء تماماً من إناء مملوء به فإنه طالما يشغل فراغه الداخلي حجم معين، لابد من وجود وسط داخله يمتد فيه هذا الحجم. هذا الوسط لا وزن له ، ويخالف المادة فى جميع خواصه ، ويعرف علمياً بالأثير . هكذا قال فلاسفة الرياضة أمثال ديكارت عند ماعرضت لهم فكرة الفراغ التام. فالفراغ التام إذن لاوجود له، وإنما كل فراغ لا تملؤه المادة ينتشر فيه وسط آخر اسمه الأثير .

ولما شرع العلماء يدرسون أشعة الكون، وكانت المادة مسيطرة على أفكارهم، قالوا ـ وعلى رأسهم نيوتن ـ إن الضوء مثلا مجموعة من الذرات المادية تقذف بسرعة هائلة من الجسم المضىء . ولكن لما توسع العلماء فى دراسة الضوء فى القرن التاسع عشر، وتبين لهم أن هذا التعريف مناف لما ظهر من خواص الضوء ، أثبتوا ـ وعلى رأسهم مكسويل MaX well أن الضوء موجات فى وسط غير المادة ووضعوا بذلك أساس النظرية الموجية wave, Theorty القائلة بأن جميع ظواهر الكون من حرارة وكهرباء وضوء وما شابهها موجات أو اهتزازات متتابعة فى الأثير ، وتختلف هذه الموجات عند موجات الصوت التى تنتقل فى المادة كالهواء مثلا .

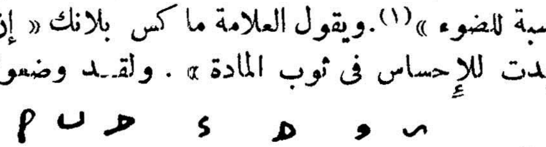


ويمثل الشكل (ا) اهتزازات الأثير، فى حين يمثل الشكل (ب) اهتزازات عمود من الهواء أثناء انتقال الصوت .



وسبب تعدد هذه المظاهر هو اختلاف طول هذه الموجات وسرعتها وعدد ذبذباتها فى زمن معين، فأسرع الموجات مثلا موجات الضوء (سرعتها ٢٩٩٨٨٢ + أو ـ ٦٠ كيلومتراً فى الثانية).

ولما ظهرت النسبية Relativity فى هذا القرن، وكشفت لنا عن ذلك السر العظيم، وهو كون المادة إحدى الظوهر السابقة، إذ يقول بعض علمائها أمثال الأستاذ مشرفة : « إن المادة هى أشعة كونية متكاثفة بطيئة السرعة بالنسبة للضوء »(١). ويقول العلامة ماكس بلانك « إن الذرة المادية قوة تغالب عليها البطء فبدت للإحساس فى ثوب المادة » . ولقد وضعوا جدولا رتبوا فيه هذه الظواهر تبعاً لأطوال موجاتها كما هو موضح بالشكل حيث تدل الرموز ا ، ب ، حـ ، . . .



على الترتيب، على أوضاع المادة : المغناطيسية ، والكهربائية ، الحرارة ، والضوء ، أشعة اكس، وأشعة جاما ، هكذا .. حيث نرى أن جميع هذه المظاهر موجات أثيرية . ومما أثبتته النسبية هو أن كل جسم مادى يتاح له التحول بسرعة الضوء ينعدم وزنه وبعده المتحرك ويصبح ضوءاً، لذلك قال السير ويليام براج رئيس مجمع العلوم البريطانى : « خلقت المادة من النور وإلى النور

(١) ليس الأستاذ مشرفة هو صاحب هذا القول ، وإنما سبقه به آخرون . م

« المعرفة »

تعود » . ويقول الله تعالى : « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شىء عليم » .

ومما يجدر ملاحظته هنا هو ثبوت فناء المادة ، إذ يجزم العلماء الآن أن مادة هذا العالم ستفنى عن طريقين : طريق التحول إلى إشعاع ينتشر فى وسط الأثير ، وطريق تشتت وتنافر بقاياه فى القضاء اللانهائى . ومعظم العلماء الآن لاينكرون أن النجوم الحالية تتنافر عن بعضها وتتشتت بسرعة عظيمة آخذة فى التزايد، كما أنها تستحيل إلى إشعاع ينتشر ليتكاثف مرة أخرى على أبعاد شاسعة فى مكان سحيق ليتحول إلى مادة جديدة، وإذن فهنالك عالم مادى جديد آخذ فى التكون، وهنالك إذن سلسلة من الأكوان فى حين تموت إحداها فى ناحية من الفضاء وتتناثر، ويتكون الآخر فى مكان بعيد عنه ثم يبدأ يتناثر ، ولذلك يقول تعالى « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار » .

ويجدر بنا بعد ما ذكرنا من أمر النسبية أن نبين كيف صورت جميع الظواهر السابقة بقوانين رياضية بحتة ، وكيف جعلت الرياضة مفتاح هذا الكون . وذلك بأن نسوق محاورة خيالية بين عالم رياضى وآخر لا يؤمن إلا بالمادة ، ليسهل الفهم ويقرب إلى الأذهان .

العالم الرياضى : لقد استطاعت رياضة النسبية أن تعطينا صورة جديدة لكل ما فى الكون، فهى مفتاح جميع ظواهره .

العالم المادى : إذا كنت تدعى ذلك فبما تعلل سقوط الحجر المطلق إلى الأرض مثلا ؟

العالم الرياضى : إن الحجر المطلق يسقط إلى الأرض ، لا لخاصيته ، أو سر كالجاذبية التى تدعونها ، بل لأن تركيب معادلته الرياضية يؤدى إلى تلك الظاهرة .

العالم المادى : إذا كنت تنكر أمثال هذه الخواص ، فكيف تعلل هذا النظام الميكانيكى الذى نشاهده ؟

العالم الرياضى : إن الكون مبنى على نظام رياضى بحت ،وهو ليس –كما تدعى– نظاماً ميكانيكياً، فليس فى الكون أى حكم أو خاصية مطلقة (Absolute) . وأنت قد تحكم على شىء فى زمان ومكان خاص بحكم ما ، ثم تعود فتحكم على نفس الشىء بضد هذا الحكم فى مكان وزمان آخر . وما ذلك لاختلاف فى الشىء،وإنما لاختلاف فى معادلتيك الرياضيتين باختلاف زمانهما ومكانهما.

العالم المادى : وكيف إذن نحكم الحكم المطلق على هذا الكون ؟

العالم الرياضى : لو أنا تدبرنا هذا الكون ودرسنا خواصه رياضياً لأرغمنا على الاعتقاد بوجود قوة مفكرة ومخيلة رياضية هائلة مستقلة عن مظاهره ، فهى وحدها المطلقة ، وهى وحدها التى تديره بمهارة منذ خلقته يوم أرسلت هزتها الأولى وسط الأثير ، فاندفعت تظهر لنا بمختلف الظواهر . وهى لا تشابه زمانه أو مكانه فى شىء ، بل هى قوة واعية ، ولو أنها أخطأت مرة واحدة لاختل الكون . وما تفكيرنا نحن إلا نتيجة طبيعية لهذا التدبير الكمين . ولا غرو إذن ، إذا قال السير إدينجتون العالم الرياضى الشهير : « إن الكون خلق من مادة العقل الأول » .

العالم المادى . إذن فنحن خاطئون فى كل أحكامنا المادية ، ولا سبيل إلى معرفة الحقيقة المطلقة ما لم نصبح خارج الزمان والمكان حتى نستقل بمعادلاتنا الرياضية ولا يكون ثمة خلاف .

العالم الرياضى : هذا ما كنت أروم الوصول إليه ، فهنالك فقط تدرك الحقيقة بعينها ، وهنالك فقط ترى أى عقل رياضى جبار يدير هذا الكون ، ذلك أيها العالم الطبيعى هو قوة الله ونوره الذى يهدى به الخلق ، فالله نور السموات والأرض وما أوتينا من العلم إلا قليلا . م؟

محمد جمال الدين الفندى

المعرفة فى سنغافوره

تخاطب مجلة « النهضة الحضرمية » فيما يختص بالمعرفة بشأن الاشتراكات فى سنغافوره .

المعرفة فى جاوا

نرجو حضرات مشتركينا فى جاوا أن يرسلوا قيم الاشتراكات إلينا مباشرة ، حيث إن الشيخ عمر معروف عقبه لم يسدد ماعليهم من السنة الثانية إلى الآن .

المعرفة فى سوريا وفلسطين ولبنان

تطلب « المعرفة » فى سوريا وفلسطين ولبنان من فروع شركة الخواجات فرج الله إخوان

المعرفة فى يافا

تطلب « المعرفة » فى يافا من مكتبة فلسطين بساحة الجرينة ، لصاحبها سليمان أفندى الخطيب

المدنية الحديثة فى قفص الاتهام

لا يتكلم الانسان عن المدنية الحديثة إلا لأنها تتكلم عنه ، وإلا لأنها تمسه بكثير أو قليل ، وإلا لأنها تملك عليه حواسه ، وإلا لأنها تضع له القواعد لحياة جديدة . ولولا ذلك ما كان لينشط بذكرها لسان ، ويجرى بما لها وعليها قلم ،فهى موضوع الحديث إذا جد الحديث عن حياة الانسان ، وهى المصدر الذى تبعث منه أفكار الانسان فى هذا العصر [وتؤخذ منه نظرياته ، وهى الأصل الذى يتفرع عنه خياله وتثمر منه آراؤه ، وهى اللون الذى تصطبغ به سماء حياته وتمتزج به أهواؤه وأذواقه ، وهى المادة التى تتغذى منها روحه ويقوى شعوره ، فهو أبداً يتساءل عن هذه القوة التى ترغمه لها ، وهو أبداً يتساءل عن هذه المدنية الحديثة، وكيف أنها سادت هذا العالم وطغت عليه وشغلت منه القلب والرأس ، وهو أبداً يتساءل عن الباعث الذى يجعله مدفوعاً مع تيارها ، مأخوذاً بالصالح والفاسد فيها على السواء ، وهو أخيراً يهمه أن يقف على هذا كله ، ثم هو بعد ذلك يتهالك على مقعده محزوناً مكتظاً بالأفكار مثقلا بالهموم ، يسائل نفسه : أليس لهذه المدنية حد تقف بنا عنده؟

***

فالمدنية الحديثة إذاً تمسنا وتلازمنا سواء أرضينا أم كرهنا ، وهى لاشك تؤثر كذلك فى حياتنا تأثيراً ظاهراً . ولسنا منكرين آثارها فى أصحابها وصاحباتها الذين ابتدعوها وكانوا أول من كستهم بغبارها ولفحتهم بهجيرها ، إلا أننا نريد أن نقول — ولا حرج فيما نقول — إن من آثارها الظاهرة الخطيرة ، تلك الجرائم الكثيرة . .

ولسنا منكرين يوماً فضل هذه المدنية الحديثة فى تكوين العقول الانسانية تكويناً مناسباً لها ، وما أحدثته من التفكير الدقيق فى خلايا الجماجم البشرية ، تفكيراً ينهض بحملها وقيادتها إلى نهاية مجهولة ، حتى آمنت بها العقول وأكبرت من شأنها الآراء ، إلا أنا لا ننسى حقيقة ما أصاب النفس من أثرها وخطرها بقدر ما أصاب العقل والفكر من ذلك . بل لا نكون مغالين إذا رأينا أن مصاب النفس منها أشد وأعظم من كسب العقول منها ، لأن النفس لا تعلل الأشياء إلا بمنطقها الخاص ـ المنطق الذى لا يرى الغبطة إلا على أنها غبطة،ولا الألم إلا على أنه ألم ـ فما من شك فى أن المدنية الحديثة قد وطئت كل النواحى من حياة الانسان دون استثناء، ولم تجد ما يصدها أو يقاومها فى مواطئها،لأنها احتلت نواحينا وصيرتها إليها ، كما يحتل الغبار ثوباً أبيض ناصعاً فيستحيل أغبر أربد . أو هى غمرتنا كما يغمر الماء الأرض ، فتصبح الأرض غير الأرض ! وعلى هذا القياس تغيرت الالوان والمعالم ،وأحدث هذا التغير قوة وجمالا

فى بعض ما أحدث ، كما ترك أثراً كبيراً من نقيضهما . أى أن المدنية غيرت وجه الحياة ومظاهر الأشياء فيها ،فبدت الحياة فى أفق جديد،وتراءت المظاهر فى ثوب قشيب،وهذا هو السر الذى يجعلنا مأخوذين بها معجبين ،ولا غرو فالنفس ولوعة بالجديد نزاعة للغريب . وفى أسباب المدنية الحديثة من أفانين السحر والطلسم ما يستهوى النفوس ويأخذ بالألباب .

إذاً فالمدنية الحديثة مظاهر مستحدثة ؛ ومظاهر مستحدثة لجميع الصفات والأشياء التى تحيط بنا فنتأثرها ، وإن من تلك الصفات ما هى قبيحة ومنها ما هى حسنة ، بل إن ناموس هذه المدنية قد استدعى تقوية الناحيتين وتعزيز الجانبين :الناحية المضيئة ،والناحية المظلمة، وكيف لا وهذا شىء طبيعى ، لأنه ما فائدة كثرة المصابيح وازدياد قوتها إذا لم يكن هناك ظلام شديد حالك ؟ ! وكذلك تفوقت المدنية فى كل شىء ، فلقد تعددت سيئاتها كما تعددت حسناتها ، وأصبح التفنن فى أسباب الشر والموت متفوقاً تفوقه فى أسباب الحياة ومباهجها ، فهاهو ذا مثقال الإثم والإجرام ومثقال النزاهة والكمال يتعادلان فى الميزان ؛هذا أمر لا ريب فيه ، أيكون لبراعة البوليس فى العالم ونشاطه من سبب غير براعة المجرمين ونشاطهم العجيب؟

***

ذلك لأن نهضة المدنية الحديثة مستندة على سواعد الحرية المطلقة أو الإباحية والتبسط فى كل شىء ،بقطع النظر عن كون ذلك الشىء نافعاً أو ضاراً ، جالباً للخير أو عاملا للشر ، داعياً للأمن والسلام أو مثيراً للحرب والدمار ، فكان لا بد أن تتسع الدوائر : دوائر النزاع والخلاف والشقاق والحسد والانتقام والتنافس والتناحر والتزاحم والإجرام . ولقد صدق القائل إذ قال مرة فى معرض حديثه عن هذه المدنية: « كأن الإجرام صفة لازمة للمدنية، أو كأنه مثل كل شىء فى هذا العالم خاضع لناموس النشوء والارتقاء » . حقاً إن الاجرام صفة لا غناء للمدنية الحديثة عنها،ففى خطوات هذه المدنية قدم من الخير وقدم من الشر،فكأنها تتقدم إلى العالم فتصافحه بيد وتصفعه بيد !

وهناك ما يساعد على الإجرام ، والإجرام الذى لم يعرفه العالم قبل أن يرتطم بصخرة المدنية الحديثة ، بل إن هناك ما يحبب الخاطر إليه ويملأ النفس منه ، فالأسباب متوفرة والنواحى إليه متعددة . ألا ترى أن التنازع والتنافس قائمان على أشدهما ! ألا ترى أن الضعيف الخائر فى هذا الميدان ـــ ميدان المطارحة والمجاوبة بقذائف المنافسة والمنازعة ـــ كثيراً ما يستولى عليه اليأس فالقنوط فالزهد فى البقاء فالخلاص من الحياة ؟

كم ترى من الثورات النفسية التى تثيرها عواصف هذه المدنية الحمقاء ؟ وكيف أن هذا يجر حتما إلى الوقوع فى المساوىء والشرور والإقبال على الفتك والهتك والأذى ؟ فهاهو ذا الانتحار يسمو مركزاً فى أذهان صقلتها المدنية الحديثة ، أذهان الأطباء! فكم من طبيب

سمعنا أنه تجرع السم فآثر بذلك الموت منتحراً على البقاء جائعاً، فى الوقت الذى يفهم فيه، بل يفهم الناس فيه أن الإمساك عن الأكل أحسن ما تعالج به آلام المعدة والأمعاء ! وها هو ذا القتل والغدر قد فشى أمرهما واستفحل خطبهما بين ربوع اخضر فيها عود المدنية الحديثة فأصبح دم الانسان أرخص ما فى الإنسان .. وهاهى ذى الجرائم الفظيعة التى كانت فيما مضى مستبعدة الوقوع حتى فى الأحلام والأوهام ، وحتى أن خيال المرء كان لا يجرؤ على رسمها وتصويرها .

وناهيك ما ذكرته إحدى الصحف من أن البوليس فى (بيزته) بفرنسا بارئة المدنية الحديثة، قد قبض على رجل فى السنة الثامنة والأربعين من عمره يدعى جبريل فيدال بتهمة الاعتداء على عفاف ابنته ! وقد ظل هذا الوحش من الآباء يعاشر ابنته معاشرة الأزواج دون أن يعلم بأمره أحد، إلى أن حملت المسكينة منه فأسرعت إلى المستشفى حيث قصت قصتها المحزنة المخزية، فاعتقل الوالد المجرم وقدم للمحاكمة . وقد أنكر التهمة بالرغم من أن ابنته أكدتها، وبالرغم من شهادة أبنائه عليه ، وكانوا قد كتموا أمر أبيهم خوفاً منه أو خوفاً عليه .

يرتكب اليوم هذه الجريمة وغيرها من كانوا بالأمس ينكرون على الهمج أكلهم للناس، فأين آكلو البشر من آكلى الأعراض ؟ وتقع مثل هذه الجريمة فى بلاد يضع أهلها القوانين والأحكام ويجرى على سراطهم فى العلوم والفنون والسنن والأحكام جميع العالمين ، فما معنى هذه المدنية وما معنى الحضارة وما معنى الأخلاق فى أمة كان جبريل فيدال أحد أبنائها الأعزاء ؟! وهل بعد ذلك من يقول إن المدنية الحديثة تمحو آثار الإجرام ؟

ليست هذه المدنية ولا آدابها ولا فنونها ولا علومها ولا مالها ولا سلطانها ولا اختراعاتها ومستحدثاتها بقادرة جميعاً على منع الإجرام وإن كانت هى التى أوجدته ونوعت أسبابه وأكثرت من أساليبه . إذاً ما هو الشىء الذى يمنع الإجرام ؟ الشىء الذى يطهر النفوس البشرية من كل خبيث منكر ، فلربما تطورت هذه الآداب — وهى كغيرها دائمة التطور — فأصبحنا نسمع عن آداب القتل وآداب الانتحار وآداب السرقة وآداب الفجور وآداب التهتك والخلاعة وآداب الجنون والمجون الخ، كما نسمع الآن عن فنون الانتحار والقتل ، وكما نسمع عن علوم السلب والنهب، ومدارس الخطف والنشل التى أخرجت للناس أساتذة يخطفون طفل (لندنبورج) وغيره من (البورجات) ! فلا يستطيع أى إنسان ولا تستطيع أية قوة أو حكومة أن تأتى به غير الدولارات !! وهذا التطور — أو التطير — فى السرقة من أهم مميزات المدنية الحديثة.

وإنما فيما أعتقده وأؤكد فيه اعتقادى ما يعصم الناس من ارتكاب الجرائم هو شىء واحد، هو الدين الحنيف الرقيب على النفس المصور لها كل جميل وكل خير وكل سلام ، السلطان الطبيعى عليها، فهو يحكم طبيعة النفس. ولكن يظهر أن المدنية الحديثة لا تعرف الدين وقوته ولا تأثيره ولا نفعه فتستفيد منه وتستضىء به . بل هى خرجت على كل الأديان. بيد أننى الآن لست فى مكان التدليل على خطأ المدنية الحديثة فى عدم أخذها بمعصم الدين ، ويكفى أن أقول إنها على ما فيها من حسنات أكبر جناية على الإنسان ؟

[الخرطوم . سودان] محمد صالح إبراهيم

الضيـــــــف

للأستاذ محمد الهراوى

لاتكن ضيفاً ثقيلاً	يكره الناس لقاءك
لاتكن عبئاً عليهم	لاتحمّلْهم عناءك
ليس من ذنب أناس	أن يكونوا أقرباءك
فتحُلّ الصبح ضيفاً	واصلاً فيهم مَساءك
أنت لاتدرى إلى كم	تزعج الخِلّ إزاءك؟
فعساه مستمداً	لك من قوم عشاءك
وعساه مستعيراً	لك من جار غطاءك
رُب بيت أنت فيه	رَاض بالصبر بلاءك
يُظهر البِشر حياءً	وهو يشكو منك داءك
لاتقلْ رحمى وقُربى	يُنكر الحق ادّعاءك
إنما القُربى إلى من	شئته أنت وشاءك
ليس حقاً أن عذراً	حمّل الأهلَ ثواءك
فاستقلّ العيش حراً	صائناً فيه إباءك
وتذكّر أنت ضيفاً	كيف إن جاءك ساءك؟
إن تزرْ ،فليكُ غِبّاً	ثم لاتُكثرْ بقاءك ؟
قد مضى عصر قديمٌ	وجديد العصر جاءك
إن فى الفندق مأ	واك،وفى السوق غذاءك
فاترك الناس نزيلاً	واجعلْ الأجر كِراءك
رب من يلقاك هَشّاً	كسّر « الزيرَ » وراءك

الهراوى

المعرفة فى العراق

سـمير

للأديب محمد السيد محمد المويلحي

بتلك الزرقة الفيروزية الصافيـة ، وبتلك النجوم العوالى التى تترك فى النفس أثراً ساحراً وسحراً آسراً ، وبتلك الأضواء اللألاءة التى سكبها القمر على فحمة الليل فأضت كأسة مياسة.. استطاعت « عزيزة » أن ترى من نافذتها شبحاً يغدو ويروح بين الأشجار ..!! فأنعمت النظر فيه جيداً ، حتى إذا اقترب من المصباح صرخت صرخة مكتومة ..!! وفى تئيم قالت : « هو، هو بعينه » .

بادهتها رغبة ملحة تحفزها للمسير نحوه ، ليمرحا فى فراديس الحب ويهنآ فى عروش الظلمة الداكنة ، حيث لا رقيب ولا حسيب .

أقفلت نافذتها ووقفت وراءها تجابه الظلماء التى تحجبه عنها ولكنها تحدثها فى ابتهاج ، وانثنت فاتحة لها مرة ثانية ، فرأته يرنو إليها بشغف وحنان ، وقد ثارت ثورة غرامه ، فخلعت على وجهه نقاباً من نار ودثاراً من نور ، فأومأت إليه برأسها أن انتظر ، ثم رفعت إليه بفم الريح قبلتها الطويلة .

* * *

خضعت لعواطفها ، وسارت إلى أمها تستأذنها الخروج لعيادة صديقتها « أمينة » ، ولوثوقها من مرضها وعدم خروجها قالت لها ملحة : « وهى تتمنى زيارتك أنت الأخرى.. » ولم تنتظر جوابها بل جابهتها بسرعة خاطفة وبحركات تمثيلية متقنة « أد إيه أمينه تحبك يا ماما. . ! ! ياروحى عليها . . وأنا بحبها عشان كده ، لأن اللى يحبك أفديه بروحى. . . » ، فضحكت الأم ضحكة تواضع وخجل ، وقد دخلت عليها حيلة ابنتها ، فقالت لها :

« والله يابنتى أنا رخره أحب أمينة ، وأعطف عليها من كل قلبى ، لأنها بنت حلال يتيمة مسكينة ، روحى ، بس متغيبيش لحسن بابا ييجى ويزعلنا » .

يزعلنا ليه ..؟ الناس كلها بتخرج فى رمضان ، هو أنا اللى بس بخرج ؟

طب روحى وسلمى عليها ، مع السلامة ..

وفى حومة هذا الحوار كان سمير يتلهف شوقاً لقدومها ، حتى إذ رآها قادمة نحوه سار إلى أن صادفته حافلة فأوقفها وأمرها بالركوب فصعدت وصعد فى إثرها قائلا : « المعادى » . . ثم نظر إلى عينيها المتشحتين بدثار السحر المدثرتين بوشاح الفتنـة والجاذبية . . وإلى وجهها البهى المشرق الذى يشع منه نور العفاف ، ويتألق فيه ضوء الصبا . . ! ! فشعر كأن قلبه قد

قفز من مكانه ، وصعد إلى مقلتيه ليمتع نفسه بالنظر إلى هذا الحسن الناضج، وهذه الرؤيا الحالمة .

رابها إدمانه النظر إليها فسألته قائلة :

— مالى أراك ساهماً واجماً ؟ هل من جديد ..؟

— إننى أمتع روحى بالنظر إلى تلك الأضواء التى لا تخبو ، أمتع قلبى وحبى بزوجتى المحبوبة التى بوأتها عرش فؤادى، و... فقاطعته قائلة :

— حبيبتك لا زوجتك ! لأنك لو كنت تريدنى حقاً لما تأخرت عن الذهاب لوالدى ومفاتحته فى أمرى . ! !

— أتشكين فى حبى وشرفى ؟

— لو كنت أشك ، ما سمحت لنفسى بالخروج إليك ليلاً ، ولكننى متعجبة – وأى عجب – لهذا الانتظار الممل . .

— عزيزة ! ألا تعلمين أن مرتبى لا يتناسب ومركز والدك ، ماذا يكون موقفى عند ما يجابهنى بهذه الحقيقة المرة ؟ ويطردنى شر طردة ، ثم ألا تعلمين أيضاً أننى مستسره « سكرتيره » ؟

— ليس هناك فرقاً ! ! يجب أن تكون شجاعاً جسوراً . اعتمد على الله وتقدم ، إنك لن ترتكب إثماً ولن تطلب منه حراماً، لقد كان مثلك صغيراً ثم كبر ، ثم ألا تعلم أن كل شىء يبدو صغيراً وينمو شيئاً فشيئاً حتى يغدو كاملا أو ما يقرب من الكمال ؟ أقنعه بهذا إن حاجاتك، فإن لك من أخلاقك الوديعة واستقامتك الطيبة خير شفيع، وسأفضى لوالدتى بكل شىء حتى تكون خير معوان لنا . .

* * *

تقابلت العيون ، فتلاحمت الشفاه، وانتشر عبيق الحنان الفواح ، وسرت كهربائية الوجد حتى أدركت الحوذى فارتبك . . وأحدث صوتاً هو أشبه باحتجاج منه بنحنحة ! ! فتباعدا وهما يرشقانه بأقسى النظرات ويرميانه بالتدخل المعيب ، ولكنهما ثابا إلى رشدهما ، فابتسما وعذراه لأنه شرقى « والشرق مشهور بحبه لكرامته وشرفه »، وما هى إلا برهة وجيزة حتى كانا فى المعادى ، يسيران على شاطىء النهر وقد انعكست عليه أضواء القمر فآض كمرآة مجلوة صافية . حلا لهما الجلوس ، فجلسا على ربوة دحداحة محاطة بالمروج من كل صوب ، وقد سحرهما هذا السكون المتدثر بالروعة والجلال ، وهذا الهدوء العميق الزاخر بالرقة والجمال، الذى لا يشوبه لا نقيق ضفادع ، ولا شخشخة حشرات .

* * *

راح كل منهما يستعرض ماضيه وذكرياته وما صادفه من نعيم أو شقاء ، ولكنهما لم

عجداه إلا من ناحية واحدة ، هى ناحية التعارف والاندماج الذى ملأ عقليهما بسحر الوجود وفتنة الوجد ، ومن ثم امتطيا جناح الخيال حيث سماوات المستقبل الزاهر الزاخر بالسعادة ، الكامن فى وطن سحرى مملوء بأحلام الأمانى وأطياف الحنان ، هذا الوطن الذى سيجمعهما ويغمرها بنور الزيجة المرجوة . .

وما إن وصل تفكيرهما إلى هذه الأمنية الشريفة النبيلة حتى انتشى كل منهما بنشوة الهوى وراح فؤاده يغنى « أنشودة الأبدية » التى هى أحلى مايتقبله الوجدان الزاخر بالنبل والسمو . .

وكان من أثر هذه الآصرة الخيالية ـ التى آضت عندهما وكأنها حقيقة مقدسة ـ أن هب سمير واقفاً وقد اتسعت حدقتاه والتمعت مقلتاه ، وأخذ يرنو إلى عينيها بنظرات مرتعشة مرتبكة ولا ينبس ببنت شفة كأنه فى حضرة إله جبار .. هبت واقفة ـ هى الأخرى ـ وقد انعكست على وجهها تلك الأنوار اللألاءة فآضت كتمثال قد من ماس مياس، أحس فى قرارته ركزاً خفياً يقول :

تهجد فى محراب هذا الجمال وتضرع إلى خالقه أن يضمك إليه . .

فجثا راكعاً عند قدميها وقد طوقها بذراعيه القويتين وقال :

حبيبتى . . أنت سحر الوجود وفتنته وبلسم القلب ومنيته ، اغمرينى بأنوارك ، وأنيرينى بأضوائك ، تسلطى على بفتنتك ، واجذبى روحى برقتك ، ثم اسحقى كيانى وكيانك وكونى من تراثهما كياناً واحداً .

عزيزة ..هاهى ذى دموعى منسابة فوق وجنتى تلهبهما بنارها وتحرقهما بكيها، فهبينى عطفك وحنانك. هأنذا رافع نحوك ذراعى أسألك الوفاء والصبر ، والنأى عن الهجر والغدر .. ثم راح يبكى بشدة . .

تخدرت أعصابها وتخاذلت أعضاؤها،فافترشت من تلك المروج مهاداً وثيراً،ثم ارتمى فوقها يسحقها بجسده الملتهب ، ويقبلها قبلات نارية فتاكة وهى تجيبه بأحر منها وأفتك . .

رقصت حولها الشياطين والزبانية وأغراهما الشباب الجامح والموقف الجائح ، ولكنهما لم يخلقا من هذه الطينة القذرة . . ! ! فإنه وإن كانت الشهوة تسحقهما فإن النبل يرعاهما . . لذلك هب سمير واقفاً وهو يقول :

ـــ نحن أرفع من هذا وأشرف . . أليس كذلك ياعزيزة ؟ فلم تجبه ، بل نظرت إليه نظرتين : نظرة غيظ وألم ، ونظرة نبل وتقديس ، كأنه رب صغير عصم نفسه عن الدنايا وثلم الأعراض . وأخيراً وفى مجهود عنيف قالت :

ـــ نعم لغيرنا هذا، أنت قديس ياسمير، بارك الله فيك، ثم هوت على يده تلثمها شاكرة فخورة .

كان هذا الإطراء قميناً بأن يخجل (سمير) فجلس على الربوة وقد لمع وجهه بلون وردى

أكسبه بهاء ورواء ، أما عزيزة فقد أبى حبها إلا أن يجلسها بين أقدامه ، واضعة رأسها بين فخذيه تلهبهما بلثماتها القوية ، ولـكنه رفع رأسها بين يديه ورنا إلى عينيها بمقلتين غارقتين فى عبراتهما وقال : عزيزة ، حبيبتى ! إننى مرءوس لوالدك ، وسأبذل أقصى مافى وسعى لحمله على زواجنا ، سأحضر باكراً فاجتهدى أنت الأخرى ، والآن فلنذهب . ثم تعانقا طويلا وانثنيا عائدين .

* * *

« سليم أفندى » رجل نقى النفس ، طيب القلب ، محبوب من مرءوسيه مع شدته معهم ، وهو وإن كان رجعياً يفكر بعقلية القرن المنصرم إلا أنه — لفرط حبه لابنته عزيزة — سمح بتعليمها وتهذيبها ، ولم تكن له أمنية فى الحياة إلا أن يراها زوجة لثرى كبير أو موظف قدير خطير تقضى معه بقية عمرها فى سعادة ورفاهية ، لإيمانه بأن السعادة لاتكون إلا مع المال والجاه ! ! لذلك لا نعجب إذا رأيناه يقف من سمير موقفاً صارماً جباراً فيصب جام غضبه عليه ، ويقذفه بحمم براكينه ، ويعجب كيف جرؤ على طلب يد كريمته ولسان حاله يقول :

أتريد أن تسطو على سعادتها وهنائها وتذيقها معك ألم الفقر وذل المنصب الحقير ؟

لم يستطع سمير أن يقنعه ، أو بعبارة أدق ، لم يترك له سليم أفندى فرصة يرجعه فيها عن غلوائه وكبريائه وتطرفه الذى سيحطمه ويحطم معه ابنته ، إلا أنه فى شىء كثير من الصلابة والشمم قال له : سيدى ! أنت أعرف الناس بأخلاقى واستقامتى كما أنك تعلم أننى منتسب للجامعة ، ولن يمضى طويل زمن حتى أكون من حاملى الليسانس ، وليست هى آخر آمالى ومطامحى ، وأظن أن كل هذا يشفع لى عندك . وفى استعطاف وتضرع قال له : أرجوك ألا تحطم آمالى وتحطم معها سعادة أ أ ...

— حذار أن تلوك اسمها فأنت غريب عنها وستظل غريباً .. !!

ويظهر أن سليم أفندى بعد أن نطق بهذه الجملة القاسية لمستسره ، أراد أن ينصحه بابن ، فقال :

— يابنى ! ابحث لك عن فتاة تناسب مركزك حتى لا تبهظك بالنفقات الطائلة التى لا تتناسب ومرتبك .

فدنا إليه سمير وقد تخضلت عبراته وتحطم فؤاده وقال :

أشكرك ياسيدى ، وأتمنى لـكريمتك السعادة من كل قلبى ، ثم خرج متعثراً وهو يبكى بصوت مسموع ! !

دخل سليم أفندى ليخبر كريمته بهذا النبأ الذى وقع فى ظنه أنها ستسر له أيما سرور ، ولـكنه وجدها تبكى بكاءاً مراً ، وتئن أنيناً موجعاً . . ! ! فـكان بينه وبين زوجه حوار :

— بنتك بتعيط ليه . . ؟ إنتوا سمعتوا الحكاية ولا إيه ؟

— سمعناها من أولها لآخرها ! !

— طيب وهو أنا مجنون أديها لواحد زى ده ! ! متعيطيش ياعزيزة .

ولكنها ازدادت فى أنينها حتى أوشك ان يكون حشرجة ، وكان حالها لايخفى على أحد ، إلا على أمثال سليم أفندى ! ورغم كل هذه الآلام الظاهرة قال سليم :

— وخده على خاطرها ، بتظن إنى كنت حوافق . . محال . . محال . .

***

بعد تسعة شهور كان بيت سليم أفندى يعج بالمهنئين والمهنئات لخطوبة كريمته بالسرى الكبير والتاجر الخطير « الشيخ أحمد حلمبوحة »،وكان الكل فى سرور حار إلا عزيزة فإنها كانت تحترق فى قرارتها وتنتحر فى هيكلها . . . .

لم يسمع سمير بتلك الخطوبة لأنه كان منهمكا فى عمله ومنتظراً نتيجة امتحانه التى ستظهر بعد يوم واحد ، وفى الصباح الباكر ذهب إلى مكتبه فألفاه يموج بزملائه وكلهم فى انتظاره ليهنئوه بهذا النجاح الممتاز .

دهش لهذه المفاجأة وانعقد لسانه ، فتقدم أحدهم « باتع أفندى »، وبيده الجريدة وهو يشير إلى هذا النبأ ، ولسوء الحظ لم يقع نظر سمير إلا على خبر خطوبة «عزيزة» بالشيخ أحمد حلمبوحة ،فرمى برأسه إلى الوراء وقد انفجرت العبرات من عينيه بقوة ثم راح فى غيبوبة مميتة.

ساد الهرج واشتد اللغط بين زملائه فمن قائل :

— من كتر فرحته يا أخى . . ماهو نجاح مدهش .

ومن قائل :

— مهما كان مش قد كدة الفرح . . دا ميت خالص . . ! !

وبينما هم فى حومة هذا الحوار إذ بسليم أفندى يدخل مشدوهاً مدهوشاً لهذه الحركة الغريبة الصاخبة،فسأل عن الخبر فقال له أحد مرءوسيه :

— سمير أفندى أغمى عليه لما أخبرناه بنجاحه فى الليسانس .

ولكن سمير نهض واقفاً وقال : الحمد لله ،إنتهى كل شىء .. أشكركم جميعاً على إحساسكم النبيل . فانصرف كل إلى عمله ولم يبق إلا هما فقال سليم :

— مبارك ياسمير يابنى ،دا نجاح ممتاز باهر ، والله إنت تستاهل أكتر ، إن شاء الله أهنئك بنجاحك فى الدكتوراه . . فأجاب سمير :

— مبارك الخطوبة « ياحضرة الباشكاتب » إن شاء الله أهنئك بالبكارى . . هه ! بكارى الشيخ أحمد حلمبوحة،فامتقع سليم أفندى من هذا التهكم المر،ولكنه فى الوقت نفسه عرف سر إغمائه فأراد أن يواسيه فطيب خاطره وشجعه بكلمات كانت تهبط على رأسه وكأنها شظايا تلهب رأسه وتفتك بروحه . .

مرت الأيام تباعا وانقضت الشهور سراعا فإذا بسمير فى الدرجة الرابعة، وإذا به أول الناجحين فى الدكتوراة ، بل إذا به يخلف سليم أفندى فى منصبه لإحالة الأخير إلى المعاش . . . ولكن أى مركز !! وأى جاه يشعر لهما بلذة وقد تحطمت آماله وتمزقت سعادته ؟ لذلك كان دائماً كسيف البال كايم الفؤاد عابس الوجه، شديداً حتى مع نفسه وأهله، وكان يميل إلى الوحدة والخلاء، يصطحب معه جرائده عصر كل يوم ، ويذهب إلى الخلوات الراكدة النائمة .

وبينما كان يتصفح جريدة فى يوم من الأيام إذ به يقف مشدوها مبلبلا حائر اللب وهو يقول : مسكينه، لقد تحملت العذاب بأنواعه ، وها هى ذى ضربة أخرى ، ثم أخذ يقرأ بإمعان وروية « لكل هذه الأسباب المتقدمة والتى أهمها التزوير فى أوراق رسمية وإدمان المخدرات والنصب والاحتيال .. حكمت المحكمة على الشيخ أحمد حامبوحة بالسجن سبع سنوات مع الأشغال الشاقة »، ثم رمى بجرائده وانثنى راجعاً إلى بيته وهو مضعضع الحواس مفتت القلب ، ومضى أسبوع فإذا بالساعى يخبر رئيسه سمير أفندى .. أن سيدة تلح فى الدخول عليه، فأمره بإدخالها وهو يعجب من تكون ؟؟

تقدمت عزيزة ببطء وقد اتشحت بمئزر أسود، لا حزناً على « الشيخ حامبوحة » ، وإنما حزناً على شبابها وسعادتها .. وقالت :

سمير بك .. سمير بك — وهنا انحدرت دموعها — أتيت لأهنئك بمنصبك الكبير وأطلب لك السعادة من كل قلبى .. لقد أساءك والدى وفرق بيننا وقتل قلبينا وها أنذى قد أتيت أرى خطيبى سابقاً وحبيب شبابى ومبعث سعادتى ، لا لشىء إلا (وهنا تقدمت حتى لاصقته وأسرعت بلثم وجنته) لأقول إننى أصبحت فقيرة وفقدت كل شىء فى الوجود .. حتى حبك وعطفك — لقد تغيرت كثيراً ياسمير .. العفو ياسمير بك ..

— عزيزة ! أنا سمير لم أتغير .. أنا بك ؟ أنا سمير بك ؟ ثم هب واقفاً وأتى بجوارها وصرخ باكيا وقد ركع عند قدميها وأخذ يلثم جلبابها بحنانه القديم وشغفه العظيم، ثم رنا إلى وجهها المخضب بالعبرات وقال :

عزيزتى .. حبيبى .. أنا خادمك اصفحى عنى، أتقبلينني الآن؟ أيقبلنى والدك ؟؟
وهنا يفتح الباب فإذا بسليم أفندى واقف وقد سمع جملة سمير الأخيرة فأجابه : نعم، الآن أصبحت عظيما ونحن الآن نرجوك .... اصفح عنى يابنى، لقد كنت قاسياً عنيداً ... اصفح عنى لأجل عزيزة.

وفى اليوم الثانى نشر هذا الخبر « أعلنت خطوبة كريمة الأستاذ سليم أفندى بالدكتور الفاضل سمير عصمت فنتمنى لهما الهناء » .

وبعد شهر واحد كانا فى ضاحية المعادى يسيران على الشاطىء، ثم حلالهما الجلوس فهرعا إلى تلك الربوة الدحداحة، وهما يغنيان بأعذب الألحان ويتعانقان وو..؟؟ »

محمد السيد محمد المويلحى

بين المتناظرين

بطلان مذهب الأحمدية

خارت عزائم بعض المسلمين وضعفت هممهم، وراحوا — سامحهم الله — يتلمسون وجوه الالتحام بالديانات الأخرى، ظناً منهم أن هذا يقوى شوكتهم ويعزز كلمتهم . وما دروا بذلك أنهم يضرون أنفسهم ويغضبون ربهم ، وأن الخير كل الخير فى أن يتمسكوا بدينهم كاملا غير منقوص ؛ ذلك الدين الذى أصبحت أمهات تعاليمه معلومة بالضرورة .

فترى كثيراً من المذاهب الجديدة التى تطالعنا بها ليالى المحاق تشير إلى تلك الغاية العقيمة، وليس أقرب إلى تلك النزعة من مذهب الأحمدية « القاديانية » . وإليك أصول ما خالفوا به الدين الإسلامى نقلا عن داعيتهم حضرة « منير الحصنى »(١) والبراهين الدالة على فساد تلك الأصول :

١ — موت المسيح حتف أنفه وعدم رفعه حياً إلى السماء . ويدلك على بطلان هذا صريح قوله تعالى : « وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفى شك فيه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وماقتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه » . روى (٢) أن رهطاً من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير، فاجتمعت اليهود على قتله فأخبره الله بأنه يرفعه إلى السماء ويطهره من صحبة اليهود، فقال لأصحابه أيكم يرضى أن يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا، فألقى الله عليه شبهه فقتل وصلب . وقيل إن الذى ألقى عليه الشبه رجل منافق كان يبغض المسيح عليه السلام . وقوله تعالى : ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى « إلى سمائى ومقر (٣) ملائكتى » ومطهرك من الذين كفروا « من سوء جوارهم وخبث صحبتهم »، وقيل متوفيك قابضك من الأرض من توفيت مالى على فلان إذا استوفيته، أو مميتك فى وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن، إذ الواو لاتوجب الترتيب . قال النبى عليه الصلاة والسلام « ينزل عيسى خليفة على أمتى يدق الصليب ويقتل الخنازير ويلبث أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى، وكيف تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى فى آخرها والمهدى من أهل بيتى فى وسطها ؟ »

---

١) « المعرفة » أول نوفمبر سنة ١٩٣٢ (٢) تفسير البيضاوى والنسفى ببعض تصرف (٣) تفسير النسفى

أو متوفى نفسك بالنوم ورافعك وأنت نائم حتى لايلحقك خوف وتستيقظ وأنت فى السماء آمن مقرب » اﻫ . وقال [١] عليه الصلاة والسلام « كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم [٢] منكم » . أقول لاتعارض فى وجود الإمام حين نزول المسيح عليه السلام، إذ الواو تخبر عن حال نزوله لا عن حال مكثه فى الأرض .

وأما الاستشكال بأن المسيح المخبر عنه فى حديث المعراج بأنه أحمر جعد الشعر، والذى يأتى لقتل الدجال آدم سبط الشعر؛ فلم ترد الأحاديث أن الذى يقتل الدجال هو المسيح عليه السلام، فضلاً عن أن وصفه بذلك قد عارض فيه ابن عمر [٣] رضى الله عنه، فعنه: « لا والله ما قال النبى صلى الله عليه وسلم لعيسى أحمر، ولكن قال: بينما أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر يهادى بين رجلين ينطف رأسه ماء أو يهراق رأسه ماء، فقلت من هذا ؟ قالوا: ابن مريم »، ومع ذلك فإنه لم يصفه [٤] فى حديث المعراج بما ظنه حضرة الأحمدى؛ ففى حديثه صلى الله عليه وسلم قوله « فلما خلصت » يعنى إلى السماء الثانية « إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما فسلمت فردا » .

٢ — يمنعون النسخ فى الشريعة الإسلامية فيتقربون بذلك إلى اليهود كما تقربوا بسابقه إلى النصارى، وقد قال تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها »، وتفسير النسخ [٥] لغة: التبديل، وشريعة: بيان انتهاء الحكم الشرعى المطلق الذى تقرر فى أوهامنا استقراره بطريق التراخى، فكان تبديلا فى حقنا، بياناً محضاً فى حق صاحب الشرع، وفيه جواب عن البداء الذى يدعيه منكروه، أعنى اليهود، ومحله حكم يحتمل الوجود والعدم فى نفسه لم يلحق به ما ينافى النسخ من توقيت أو تأبيد ثبت نصاً أو دلالة، وشرطه التمكن من عقد القلب عندنا دون التمكن من الفعل خلافا للمعتزلة، وإنما يجوز النسخ بالكتاب والسنة متفقاً ومختلفاً، ويجوز نسخ التلاوة والحكم دون التلاوة، والتلاوة دون الحكم، ونسخ وصف بالحكم مثل الزيادة على النص فإنه نسخ عندنا خلافاً للشافعى رحمه الله؛ والإنساء أن يذهب بحفظها عن القلوب . أو ننسأها مكى وأبو عمرو: أى نؤخرها من نسأت أى أخرت « نأت بخير منها » أى نأت بآية خير منها للعباد أى بآية العمل بها أكثر للثواب « أو مثلها » فى ذلك إذ لا فضيلة لبعض الآيات على بعض .

أقول: ومنع النسخ يوجب التضارب فى كلام الله الحكيم وأحكامه الكريمة، فآيات الخمر الأولى مثلا تشير إلى إباحته، وآياته الأخيرة تمنع تعاطيه، وآيات السلم الأولى تعارض آيات الجهاد وهكذا . ثم إن سنة التدرج والترقى كانتا تقضيان بتعليم العرب أحكام الدين شيئاً فشيئاً، لا

---

١ صحيح البخارى من كتاب بدء الخلق (٢) ذكر حضرة الكاتب الأحمدى عجز الحديث دون صدره (٣) صحيح البخاري من كتاب بدء الخلق (٤) صحيح البخارى من كتاب بدء الخلق (٥) تفسير النسفي

أن يفرض عليهم كل أحكامه جملة واحدة . ورضى الله عن الإمام البوصيرى حين يرد على اليهود فى همزيته حيث يقول :

مثلما قالت اليهود وكل لزمته مقالة شنعاء
إذ هموا استقرءوا البداء وكم سا ق وبالا إليهمو استقراء
وأراهم لم يجعلوا الواحد القها ر فى الخلق فاعلا ما يشاء
جوزوا النسخ مثلما جوزوا المس خ عليهم لو أنهم فقهاء
هو إلا أن يرفع الحكم بالحكـ م وخلق فيه وأمر سواء
ولحكم من الزمان انتهاء ولحكم من الزمان ابتداء

قال العلامة الصاوى: [١] وزعم اليهود أن النسخ يستلزم البداء باطل لما تقرر أن المصالح الداعية للنسخ ترجع لأحوال المكلفين وذلك لايقتضى أن الله ظهر له شىء بعد أن لم يكن لقيام الدليل العقلى على أن علمه تعالى محيط بجميع ماكان ومايكون وما هو كائن أزلا وأن تصرفه فى العالم على مقتضى علمه .

٣ — وجود النبوة بعد سيد المرسلين محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وهذا يعارض قوله تعالى «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين». وفى الحديث الصحيح [٢] عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبى خلفه نبى وإنه لانبى بعدى». وقال [٣] عن جابر: «مثلى ومثل الأنبياء كرجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون لولا موضع اللبنة». وفى رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه زيادة «إلا موضع لبنة فى زاوية» وقال فى آخره «فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» .

٤ — بقاء الوحى الإلهى، وهذا غير صحيح: لأن الوحى فى عرف الأصوليين [٤] لغة: هو إعلام فى خفاء وشرعا: إعلام الله أنبياءه بالشىء سواء أكان بواسطة أم بغير واسطة، والأول قد يكون بصوت يتمثل لسمع النبى وقد لايكون . والوحى نوعان [٥] : ظاهر وباطن . والظاهر ثلاثة أقسام :

الأول : ماثبت بلسان الملك فوقع فى سمعه عليه السلام بعد علمه بالمبلغ بآية قاطعة، والقرآن من هذا القبيل . الثانى: ماكان بإشارة الملك من غير بيان بالكلام ويسمى خاطر الملك. الثالث مالاح لقلبه صلى الله عليه وسلم بلا شبهة بإلهام الله تعالى إياه .

والباطن ماكان باجتهاده صلى الله عليه وسلم خوف فوات الحادثة .

---

(١) شرح الهمزية للعلامة ابن حجر وحاشية العلامة الجمل (٢) صحيح البخارى (٣) صحيح البخاري من قصة اسلام أبى ذر (٤) ايضاح سلم الوصول الى علم الاصول بعض تصرف (٥) راجع كتاب الوحى فى الصحيحين

وعليه فليس الوحى إلا للأنبياء والمرسلين ، وأما ماجوز فى حق أولياء الأمة على سبيل الكرامة فليس بوحى ولكنه إلهام، والإلهام فى غير التشريع جائز للحديث الصحيح (١) عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم: (لقد كان فيمن قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون « تلقى الملائكة فى روعهم المعارف من غير رؤية » من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتى أحد منهم فعمر) ،ولقوله تعالى « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة » الآية .

٥ — الجهاد بالسيف غير جائز إلا فى حالة الدفاع عن النفس محتجين بقوله تعالى « لا إكراه فى الدين » ،فقد أجمع العلماء (٢) على أن الجهاد فرض على الكفاية لقوله تعالى « كتب عليكم القتال وهو كره لكم » ،ولأحاديث المغازى التى ملأت بطون الصحف . وأما آية (لا إكراه فى الدين)(٣) فقد قال ابن مسعود وجماعة: كان هذا فى الابتداء ثم نسخ بالأمر بالقتال ، وهو إما عام منسوخ (٤) بقوله « جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم » ،أو خاص بأهل الكتاب؟

متولى أحمد كيوان

---

١ صحيح البخارى من فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم (٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ورحمة الامة فى اختلاف الائمة، والميزان للشعرانى (٣) تفسير النسفي (٤) تفسير البيضاوى .

مملكة المرأة والبيت

فن التفصيل

بقلم الآنسة المهذبة : خديجة محمد ابراهيم

لم تكن معرفة تفصيل الملابس فى وقت من الأوقات بألزم منها فى وقتنا هذا الذى ارتفعت فيه أثمان المنسوجات وأجرة التفصيل ارتفاعا عظيما، وعلى أية حال فإن جهل السيدة بتفصيل ملابسها يضاعف عزمها، ويحول بينها وبين ماتشتهيه من مختلف الأزياء الحديثة، وبخاصة إذا كانت فقيرة، وليس التفصيل بالأمر البعيد المنال، بل هو فى مقدور كل سيدة رزقت قليلا من الصبر والفطنة، وإن المقاطع (الأرانيك) التى تباع الآن فى كل مكان، قد جعلت التفصيل أمراً ميسوراً .

ملاحظات

١ — يجب أن تبل الملابس القابلة للانكماش قبل تفصيلها .

٢ — كل سنتيمتر فى الرسم يدل على عشرة سنتيمترات من النسيج .

٣ — تدل الخطوط المتقاطعة فى الأشكال الآتية على ثنية النسيج .

٤ — تقضى الآداب بأن يقدم المقص لأى شخص آخر من الجهة التى يمسك منها، والإبرة من جهة فتحتها .

ملابس الطفل المولود

ما أسعد تلك السويعات التى تبدأ فيها يد الأم بعمل ملابس ابنها الأول، وكم أمنية من معسول الأمانى تكمن تحت كل غرزة من غرز تلك الملابس التى تحوكها له ؟

ويحتاج عمل ملابس الأطفال إلى عناية ودقة وحسن ذوق، وهذا موفور لكل سيدة ذكية الفؤاد.

القميص الأول للطفل (لغاية ستة أشهر)

مقدمة : يلبس الطفل هذا القميص سواء أكان ذكراً أم أنثى فى الأشهر الأولى من حياته فوق كافولة مشدودة بقماط من (الفلانلا)، ولتسهيل لبس القميص يجب أن يفتح من الخلف؛ وبما أنه يلامس جسم الطفل فيجب أن يصنع من مادة خفيفة ناعمة .

نوع النسيج : يصنع هذا القميص من البندقى (الباتسته) أو (النانسوك) أو (الترانتيل) ويزخرف بالمضرسات (الدانتله) أو (الركامو) أو (الكرويشيه) لعمل الغرز الريشية .

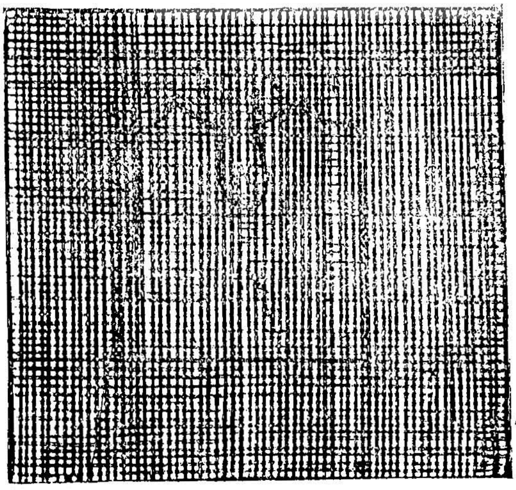
ملاحظات فى التفصيل: يجب أن يكون طول القميص ٢٥ س م، وأن يكون عرضه ٦٠س م، وعلى العموم فالعرض قدر الطول مرتين ونصف مرة تقريباً، ولعمله تؤخذ قطعة النسيج وتثنى نصفين فى اتجاه خيط النسيج فيتكون منها شكل طوله ٢٥ س م، وعرضه ٣٠ س م، ثم توضع ثنية على امتداد طول الجنبين لايزيد عرضها على واحد ونصف س م.

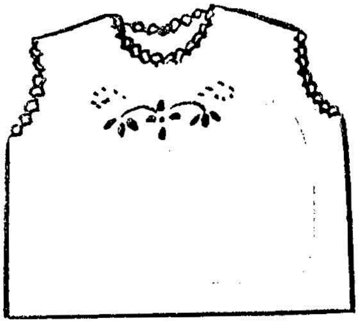
التقويرة الأمامية للطوق: يقاس على الركن العلوى الأيمن للقطعة الأخيرة مقدار ٦ س م على الطول ومثلها على العرض ثم يقور النسيج مابين هاتين النقطتين.

التقويرة الخلفية: ثم يقاس على الركن العلوى الأيسر مقدار ٣ س م على الطول، و٦س م على العرض، ثم يقور النسيج كما تقدم.

وفى هذه الحالة تثنى القطعة نصفين بحيث تنطبق تقويرتا العنق على بعضهما، فتصبح القطعة أربع طبقات.

تقويرة الذراع: ثم يقاس مقدار ١٢ س م على طول الثنية الأخيرة الوسطى، ثم توضع علامة تدل على نهاية طول الفتحة، ثم توضع علامة أخرى على بعد ٢ س م من مبدأ هذه الثنية، ثم يمد خط من هذه العلامة حتى يصل إلى مبدأ تقويرة العنق التى على عرض النسيج، ثم يقص النسيج على هذا الخط، ثم تفرد القطعة كما كانت أولا، ثم يقور النسيج بحيث يكون عرض القوارة ٤ س م تتوسطها الثنية الوسطى، ويجب أن يزيد عرض نصف القوارة الأيمن نحو واحد ونصف س م على عرض النصف الأيسر كما هو مبين بالرسم.





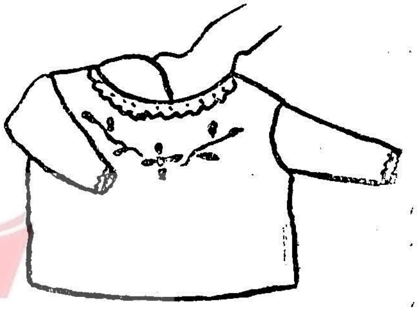
(شكل قميص الطفل المولود)

طريقة الخياطة: تضم الأكتاف (١) إما بالأجور التركى (٢) وإما بالخياطة الفرنسية (٣) وإما بطريقة الشل والكف، ثم تثنى تقويرة الذراع ثنية بسيطة، ثم تكف ويركب حولها

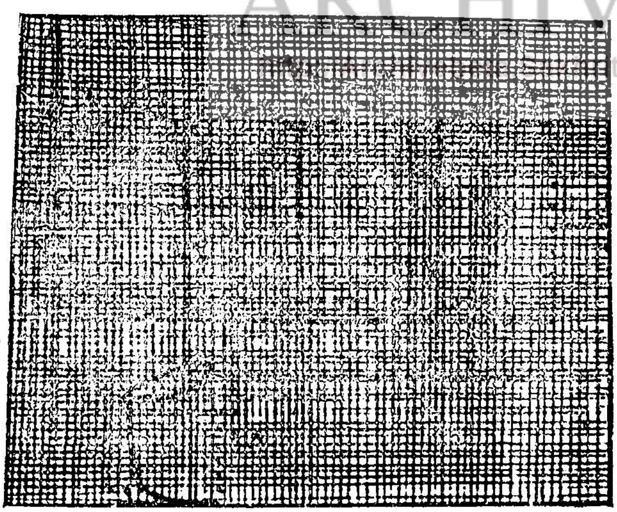
مضرس (دنتله) ويركب فى طوق القميص شريط وذلك ليمكن استمساكه (تدكيكه)، ثم تكف ثنية الذيل والجوانب .

الصدرة

تفصل كالقميص تماماً غير أن طول تقويرة العنق الأمامية لا يزيد على ٤ س م، وطول التقويرة الخلفية لا يزيد على ٢ س م، وهى تؤخذ من نسيج أبيض تتوفر فيه الخفة والدفء وكثرة المسام (كالفلانلا والبيكا والكستور) .



كم الصدرة : تؤخذ قطعة من النسيج عرضها ٢٥ س م وطولها ١٨ س م، ثم تطبق من منتصفها فتتكون منها قطعة طولها ١٨ س م وعرضها ١٢ ونصف س م، ثم على بعد ٣ س م فى الركن العلوى الأيسر توضع علامة، ثم يقور النسيج من هذه العلامة إلى نهاية الركن العلوى الأيمن، كما هو مبين بالشكل ، ثم يؤخذ على العرض قدر ٢ ونصف س م ابتداء من الركن السفلى الأيسر ، ثم يقور النسيج من هذه العلامة إلى العلامة الأولى .



(صدرة الطفل المولود)

التطريز

التطريز اسم شامل يتفرع إلى جملة فروع ، ويسمى بالايطالية (الركامو) ، وبالعربية الرقم، وقد يكون على الأنسجة البيضاء من قطن وتيل وكتان وسحل (بفته) ثقيل وخفيف (ترانتيل).

ويطرز البندق (الباتسته) والموصلى (الموسلين) وترقم السكروته والأطلس والقطيفة والجوخ والفلانلا .

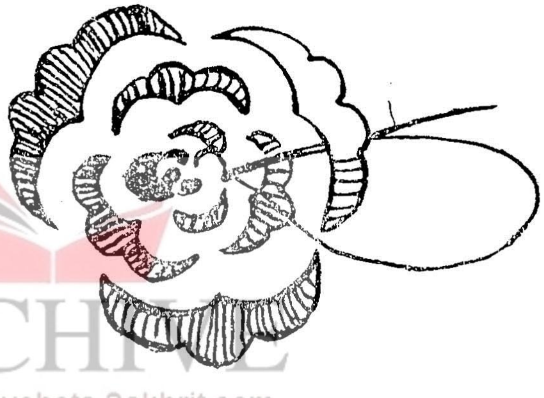
خيط الرقم : أما خيوط التطريز فقد تكون من القطن أو الكتان أو الحرير الملون أو الخيوط المذهبة أو المفضضة ، وتختلف هذه الخيوط فى الغلظ وفقاً للنسيج المراد تطريزه .

الأدوات : الأدوات اللازمة فى التطريز غاية فى البساطة والرخص ، فهى لا تتعدى الإبرة والمقص والمثقب .

التطريز البسيط : لا يخرج عن الغرز البسيطة كما يرى فى الشكل الموضح ، وفيها يشل الجزء المراد تطريزه سواء أكان على هيئة وردة كالشكل الأول ، أم على هيئة ورق الأشجار كما فى الشكل



الشكل (٢)



الشكل (١)

الثانى ، وفى الحالة الأولى يكسى الجزء المحدود بغرز الشل (الشلاله) كما فى الشكل السابق ، بعضها ملاصق لبعض ، وفى الحالة الثانية يكسى الجزء المحدود بغرز طويلة ثم غرز قصيرة مارة بالنسيج ، وهكذا على التوالى من اليمين إلى اليسار ، ثم تكسى الغرز الأولى بغرز ثانية وهكذا .

خديجة محمد إبراهيم

فى الخياطة

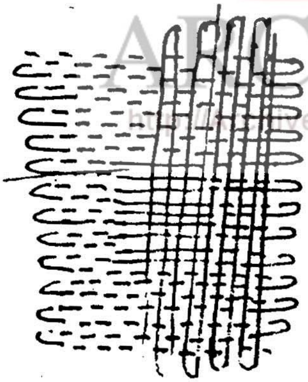
رفو الجوارب :

إصلاح الجوارب من ضروريات السيدات والرجال ، لسرعة تلف بعض أجزائها خصوصاً فى فصل الصيف . ولما كانت الجوارب تلاصق القدمين والساقين وقتاً طويلاً ، فيلزم أن تكون خالية مما يؤلم هذه الأجزاء الحساسة من الجسم . والذى يساعد على ذلك رفو تقويها أو تقرية الأجزاء الضعيفة فيها بدل خياطتها بالطريقة العادية فى رتق شقوق الملابس العادية .

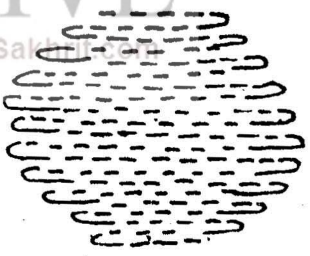
وللرفو عدة أنواع منها :

رفو الثقوب: يقلب الجورب ، ثم يوضع الثقب على بيضة الرفو ، أو يشد بين إطارين دائرى الشكل ، (التارة المعروفة للتطريز) ، ثم يبدأ - على بعد سنتيمتر من الثقب - بغرز إبرة الرفو فى النسيج ، ثم يؤخذ على سن الإبرة خيط ويترك خيط آخر وهكذا إلى أن تتراكم الخيوط على طول الإبرة ، ثم تسحب بلطف وتكرر العملية فيطول كل صف عن سابقه إلى أن تصل الصفوف إلى الثقب ، فتظل ذات طول واحد . أما الثقب فتمتد فيه الخيوط امتداداً ، وتكون غرز الرفو جزءاً من أعلى الثقب وجزءاً من أسفله .

وبعد ذلك يملأ الجزء الذى رفىء أولا ، مع ترك ثنية فى نهاية كل صف . وتسمى الصفوف الأولى بالسُّدَى ، ثم يدار الجورب فيصبح الجزء العلوى والجزء السفلى للثقب على الجانبين ، ثم يبدأ بصفوف اللحمة ، وهى التى تكون متجمعة على صفوف السدى ، ثم يؤخذ على سن الإبرة خيط من السدى ويترك آخر وهكذا إلى أن تصل الصفوف إلى نهاية السدى ، فيتكون من الطبقتين شبكة على الثقب ، وقد يمكن جعل الرفو على شكل مربع كما فى الشكل (١) ، أو كما فى الشكل (٢) وهو الأفضل .



(رقم ٢)


(رقم ١)

حفظ نعال الأحذية

تدهن النعال كل أسبوع بزيت معدنى ، وذلك بأن يغمر الفرجون بهذا الزيت وتطلى به النعال ، فتدوم أطول . ومن خاصية هذا الزيت أيضاً ، أنه يمنع الرطوبة عن الأقدام .

وإذا لحظ انكماش فى وجه الأحذية من عدم استعمالها أو من تأثير رطوبة ، فتحرق قطعة من الخشب الأخضر وتعرض الأحذية لدخانها ، وأن يراعى وضع مقوى الأحذية بداخلها إذا كانت غير مستعملة حتى تظل حافظة لشكلها المرتب .

فى تنظيف الاثاث

(١) تنظيف الكراسى المنجدة المكسوة بالجلد

لتنظيف هذا النوع من الكراسى طرق كثيرة منها : أن تزال البقع بدعكها بقطعة مغمورة بزيت البترول أو بعطر التربنتين ، أو تنظف بعد ذلك بما يأتى : —

(ا) إما بطلاء الأثاث (ب) وإما بزيت الخروع (ح) وإما بمزيج من الخل وزيت البزرة بمقدارين متساويين ، مع مراعاة أن تكون كمية المزيج المستعمل قليلة، لأن كثرته تعوق التلميع أو تجعله صعباً . ويراعى على كل حال تلميع الجلد جيداً جداً ، حتى لايترك أثراً ما من الوسائل التى استعملت فى التنظيف حرصاً على ملابس من يجلسون عليها .

(٢) تنظيف الأخشاب المدهونة الملمعة

تنظف بطريقة من الطرق الآتية : —

١ — إما أن تدعك بزيت البترول ، أو بزيت البذر (الزيت الحار) دعكا جيداً .

٢ — وإما أن تنظف بمزيج من مقدارين متساويين من الماء الساخن والخل .

٣ — ينظف خشب (الموجنى) بمزيج من الماء الدافىء والاسبرتو ، فتمزج ملعقة كبيرة من الاسبرتو ، بلتر من الماء الدافىء ، أو ينظف الخشب المذكور بنقيع الشاى بعد تبريده . فإذا نظفت الأخشاب المهملة تطلى بورنيش الأثاث، وتلمع جيداً فتعود جميلة صالحة الاستعمال.

طلاء الأثاث

ورنيش الموبيليات نوعان : جامد وسائل، فالطلاء السائل يصنع من المواد بالمقادير الآتية:

١ — فنجان من زيت البذر ، وفائدته أن يغذى الخشب .

٢ — فنجان من عطر التربنتين ، وفائدته أن يزيل الأوساخ الدهنية .

٣ — نصف فنجان من الخل ، وفائدته أن يزيل بعض البقع ، ويجعل اللون زاهياً.

٤ — نصف فنجان من الإسبرتو ، وهذا يساعد على لمعان الأثاث .

تمزج هذه المقادير بعضها ببعض ، وتحفظ فى زجاجة مسدودة بسداد محكم ؛ فإذا أريد دهن الاثاث ، ترج الزجاجة قبل الاستعمال رجاً شديداً .

الطلاء الجامد

يصنع من المواد الآتية : أوقية شمع أصفر (٢) أوقيتين من شمع أبيض (٣) أوقيتين من مبشور الصابون (٤) نصف رطل من زيت التربنتين (٥) ثلاثة أرباع رطل ماء مغلى، ثم يبشر الشمع ويوضع مع زيت التربنتين فى وعاء ، ويوضع هذا الوعاء فى وعاء أكبر منه به ماء ساخن حتى يتم ذوبان الشمع فى الزيت، ثم يوضع مبشور الصابون مع الماء المغلى حتى يذوب ويبرد فيمزج الجميع ويحفظ فى العلب .

مكتبة المعرفة

مشكلة البغاء

لصديقنا العالم الجليل الشيخ محمود أبى العيون ، نباهة ذكر ، وبعد صيت ، اكتسبهما عن جدارة واستحقاق ، بما يبذل فى سبيل الدين والأخلاق والاجتماع عامة ، وفى مسألة البغاء بصفة خاصة ، من جهود جبارة ، وحملات جريئة ، ونقدات مرة ، وهجمات خطيرة ، للقضاء على تلك المسألة ، التى هى سبة وشنار يلحقان سمعة مصر زعيمة البلاد الإسلامية ، بل هى – ولكن صرحاء – لطخة عار فى جبين القانون المصرى ، الذى زلت قدم واضعه فى هذه النقطة زللاً عميقاً .

والله إن القلم ليعجز عن تصوير هذه المآسى ، وهاتيك الفواجع ، ووصف تلكم المباآت ، وتشخيص أعراض هاتيكم الرزيلات ، التى انتشر ظلها فى أنحاء بلد عربى دينه الرسمى الإسلام ؛ فهل من مستيقظ ؟ وهل من مستمع لهذه الأنات الصاعدة إلى بارىء النسم شاكية إلى الله ظلم الإنسان لأخيه الإنسان ؟

لسنا والله بالقادرين على كظم الغيظ ، وتهدئة السورة النفسية عن الانفجار ، فقد نفد الصبر ولم يبق فى قوسه منزع ؛ فإلام النوم والتقصير ؟ وحتى م الجمود يارجال الحقانية ؟ وأين أنتم يارجال الصحة ؟

أقسم لكم أن جرة قلم واحدة كفيلة برد الشرف إلى منبعه ، وإرجاع الحق إلى نصابه ، فإن أبيتم إلا الاستكانة فإن الله سيسألكم أشد السؤال ، ويجزيكم عما قدمتم بما تستحقون .

نذكر هذا بمناسبة الرسالة التى بين يدينا الآن ، والتى خطها قلم الأستاذ أبى العيون ، وهى جديرة بالدرس والتحليل ، قمينة بأن تكون دستوراً لكل بيت ، وقانوناً لكل ناد ، ليتعظ من لا يتعظ ويعتبر من لا يعتبر .

وبعد ، فليتقبل صديقنا الفاضل جزيل شكرنا على مايقوم به من خدمات فى سبيل الدين أولاً ، وفى سبيل الوطن ثانياً ، وفى سبيل الإنسانية المعذبة ثالثاً ؛ وإن كان لاشكر على واجب .

سيرة حياتى

بقلم الأستاذ توفيق فضل الله ضعون

وضع زميلنا الفاضل الأستاذ توفيق فضل الله ضعون ، صاحب مجلة « الدليل » التى تصدر فى (سان باولو – برازيل) سفراً تحت هذا العنوان ، تناول فيه بالتسجيل والعرض سيرة حياته

وما تضمنته من أهم ما جرى له من الحوادث فى سوريا ومصر والسودان وسواها من البلدان ، وصاغ ذلك كله فى قالب روائى فكاهى .

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن الدافع الذى دفع الأستاذ إلى وضع هذا السفر ، هو بلوغه الخمسين من العمر ، وقد قال فى مقدمة كتابه : إنه يريد التملص من ربقة الاستحياء الشرقى الموروث ، فيسرد سيرة حياته بكل تجرد وإخلاص لضميره .

والكتاب فى موضوعه فكرة جديدة لما يألفها الشرق بعد ، ثم هو إلى ذلك يجمع ملاحظات دقيقة ، ويضم بين دفتيه ألواناً متعددة من مختلف الحياة فى الشرق والغرب . على أن مما يستحق الملاحظة ، وقد يكون النقد أيضاً ، ذلك الفصل الذى عقده على مصر مفتتحاً إياه بما يأتى :—

« كنت فى نحو العشرين من عمرى ، عندما وطئت رجلاى للمرة الأولى فى حياتى أرض مصر القاهرة فى أصيل سنة ١٩٠٣ ، وكانت هذه السنة سنة شؤم على الذين أموا مصر من السوريين طلباً للاستخدام ، ورأس مالهم من العلم والاختبار يكاد لا (هكذا ..) يذكر ، ورأس مالهم المادى « عشوة بدوى » . ولكن هنالك رأس مال يفوق الأول مكانة ، وقوامه كتب التوصية إلى بعض المتنفذين من بعض أصدقائهم أو أقاربهم فى سوريا أو فى مصر ، ويكاد يكون تعويذة لا أفعل منها فى الحصول على وظيفة مهما كان حاملها قاصراً علماً واختباراً وأدباً » .

فلعل المؤلف الفاضل يتفضل بزيارة مصر الآن ، ليرى مبلغ ما يتمتع به مواطنوه بيننا فى مختلف شئون الحياة التجارية والمالية والأدبية ، من تقديرنا لهم ، وإقبالنا عليهم ، فلا يعود إلى تسجيل هذه السبة على مصر .

التربية عند العرب

تأليف الأستاذ خليل طوطح

وضع المربى الفاضل الأستاذ خليل طوطح — أستاذ فى العلوم ودكتور فى الفلسفة ، ومدير مدرسة الفرندز للصبيان برام الله بفلسطين — رسالة فى التربية عن العرب ، قدمها فى الأصل باللغة الإنجليزية كأطروحة للدكتوراه فى جامعة كولومبيا بأمريكا ثم ترجمها إلى اللغة العربية ، فجاءت كتاباً جامعاً أصول التربية ونشأتها وتدرجها عند العرب بما لا يدع قولا لقائل ، موفياً كل نقطة حقها من البحث والاستقصاء ، متمشياً مع طريقة العرض المنظم تمشيا دقيقاً .

وما نظننا فى حاجة إلى دعوة الطلاب والمدرسين لمطالعة هذا الكتاب القيم ، ففيه ما يغنى عن كتب ، وحسبنا أن نشير إلى رءوس مواده التى بحثها ، ليعلموا قيمة المجهود الذى بذله المؤلف الفاضل ، وهذه هى :

المدارس — المعلمون — الطلبة — تعليم النساء — برامج الدروس — أساليب التدريس وآدابه — فلسفة التربية عند العرب — كتب التربية عند العرب — الخاتمة .

فنوصى القراء باقتنائه لنفاسته وقيمته . ونتمنى للكتاب ما هو جدير به من الذيوع والرواج .

دائرة المعارف الاسلامية

يطيب لنا أن نتحدث الآن فى غير إسهاب، وفى كثير من القصد عن «دائرة المعارف الإسلامية»، لا من حيث فكرتها التى سبق إلى تحقيقها جماعة من عمد المستشرقين حتى تمكنوا من إخراجها باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية إخراجاً ليس أدل على توفيقهم فيه من تلك الشهرة الواسعة التى تجاوزت بها تلك الدائرة حدود الصيت البعيد.

وإنما يطيب «للمعرفة» أن تتحدث عنها من جانب آخر، ونعنى به جانب الجرأة النادرة التى توفرت فى طائفة خيرة من شبابنا المثقفين، حتى قدرت لهم أن ينصرفوا عن التفكير فى كل شىء إلا عن ترجمة هذه الدائرة إلى اللغة العربية وطبعها فى طابع عربى مبين. هى جرأة نادرة حقاً، لأننا نحن الذين نساهم فى الدعاية الواسعة للثقافة العربية الإسلامية قد استطعنا أن نقبض بأيدينا على الجمر، فعرفنا أن الجمهور العربى قلما يعنى بالناحية الثقافية الرفيعة عنايته بكل ما هو تافه ضئيل، ولكن هذه الجماعة ـ التى تنشد اليوم الذى تستطيع فيه أن تنفض أيديها من آخر جزء فى هذه الموسوعة الكبرى، والتى أخرجت لنا أول بواكيرها من بضعة أيام ـ هى قبس من ضوء الشباب؛ لا يعنيهم أن يذوقوا ألوانا من الضيق، بقدر ما يعنيهم أن يتابعوا خطواتهم إلى النجاح والفوز.

إن الثقافة العربية الاسلامية فى حاجتها الماسة إلى أشباه هذه الموسوعات، لحقيق بها أن تفاخر بأولئك الشبان المتحمسين، لأنهم يواجهون فى ترجمة «الموسوعة الاسلامية» ضروبا من العقبات، يتصل بعضها بالجانب المادى ــ وهو ما نرجو وزارة المعارف والهيئات العلمية أن تساهم فيه لتكفيهم مؤونة البحث عنه إلى حد بعيد ــ ويتصل بعضها بالجانب العلمى، وقد استطاعوا أن يجاوزوا هذه العقبات حين وقف بجانبهم جماعة من أعلام العلماء يردون أخطاء المستشرقين عن تراثنا الخالد.

وإنه لقليل على هذا العمل الجرىء أن نقصر القول فيه على كلمة تقريظ أو حمد؛ فإن لنا لعوداً عاجلاً إلى ذلك الجزء الذى أصدرته اللجنة حتى نبحثه فى ضوء الدراسة المستفيضة، مغتبطين كثير الاغتباط حين نقول: إن هذا العمل الباقى على الزمن هو نتاج التعليم الجامعى فى مصر. فأنت مغتبط دون ريب حين تعلم أن الأساتذة الذين توفروا على إخراج الموسوعة فى ثوبها العربى القشيب هم: محمد ثابت الفندى، وأحمد الشنتناوى، وابراهيم زكى خورشيد، وعبد الحميد يونس، وكلهم من أنضج الثمرات التى أنتجتها دوحة الجامعة الفينانه.

وكلهم ممن قرأ لهم قراء «المعرفة» صفحات منشورة على صفحاتها هى بواكير بحوثهم؛ لذلك لا نفتأ نذكرهم بالخير والثناء، داعين الجمهور العربى المثقف إلى تقدير هذه الجهود الجبارة، والإقبال على عملها إقبالا يضمن لهذه الجهود التوفيق والنجاح.

ونحب أن يعلم القراء أن فكرة هذا المشروع ليست طارئة فى أذهان هؤلاء الشبان الناهضين، وإنما هى فكرة متمكنة من أذهانهم منذ سنين ثلاث. وقد فاتحوا وقتئذ صاحب «المعرفة» فى المساهمة معهم فى العمل، لكن ظروفه الصحفية، ومشاغله الخاصة المتعددة لم تتح له شرف المساهمة فى ذلك العمل الجليل.

فليطمئن العالم الاسلامى كله إلى هذا العمل المبارك، ولتهنأ لجنة ترجمة الموسوعة بما سيسجله لها التاريخ العربى من ذكر حميد فى خدمة الإسلام والمسلمين.

بين المعرفة وقرائها

عمل السكر الصناعي

(سورابايا . جاوه) السيد محمدسعيد بن مرتع — من اهتدى من الناس إلى نبات السكر ، وطريقة صنعه ؟

(المعرفة) نرجو السيد توضيح سؤاله هذا؟ وماذا يقصد من نبات السكر ؟ فإن هناك أنواعا عدة من النبات يستخرج منها السكر ، أمثال القصب والبنجر . ولعل حضرة السائل يقصد السؤال عمن اهتدى إلى عمل السكر الصناعي ، فإن كان ذلك ، وهو ما نظنه فجوابنا عنه ما يلي :

تمكن الأستاذ « بيلي » أحد أساتذة جامعة ليفربول ، من تركيب السكر بالوسائل الصناعية في عام ١٩١٥ ، معتمداً في ذلك على نور الشمس الذي تستخدمه النباتات لتحول غاز الكربون إلى أنواع السكر والنشاء المختلفة ، ثم جاء بعد ذلك الكيميائيان السويسريان : آمي ديكتا وفوجل ، فتمكنا من تركيب السكر بطريقة تخالف طريقة بيلي . وقد فاز « بكتا » بصنع « السكروس » ؛ وطريقته في ذلك علمية بحتة لم يتيسر استخدامها تجارياً لكثرة نفقاتها .

فناء المادة

(الزقازيق . مصر) السيد عبدالله الغندور — هل المادة تفنى أم لا ؟ وما هي أقوال الفلاسفة في ذلك وأهل الكلام الطبيعيين وغيرهم مع أدلة كل باتساع ؟

(المعرفة) نلفت نظر حضرة السائل إلى المقال المنشور في هذا الجزء ص٤٩٧ ففيه الكفاية ؛ فإن لم يقتنع فليكتب إلينا بذلك حتى نوفي الموضوع حقه من الناحية الفلسفية والكلامية .

ملكة الشعر

(القاهرة . مصر) ع . ع . خفاجي — أنا مولع بقراءة البحوث الأدبية عامة ، والشعر خاصة ، وعندي ملكة شعرية بالسيلقة لا تصنع فيها ، وأقوله في أي معنى أشاء دون التقيد بعلم العروض الذي لما أدرسه بعد . وأريد أن أتعهد هذه الملكة بقرض الشعر الرصين الأخاذ ، فبماذا يشير على صاحب « المعرفة » باتباعه ؟

(المعرفة) ننصحك بقراءة دواوين الشعر القديم والحديث ، وحفظ الجيد المختار منه ، خصوصاً ما كان منه موافقاً نزعتك وروحك ، ويجب أن تقرأ ما تقرأ في إمعان نظر ، ودقة

فهم، ليسهل عليك هضمه ، ولا تظنن هذا يسم شعرك بميسم التقليد ، بل هو يسوقك إلى الخلق والابتكار ، ثم هو يصقل ملكتك ويعودك سبك الشعر وحبكه فى قوالبه التى لما تدرسها بعد ، فيغنيك عن دراسة العروض .

على أنه لا بد لك من الاطلاع على بعض القصائد الذائعة لكبار الشعراء من الإنجليز والفرنسيين ، أو الإلمان إن كنت تعرف لغتهم . ثم يحسن بك بعد هذا أن ترسل ما تنظمه إلى زميلتنا « أبولو » ، وهى المجلة الفنية الوحيدة لخدمة الشعر ، ويقيننا أن صاحبها الفاضل الدكتور أبا شادى ، لا يألو جهداً فى مساعدتك وتشجيعك بنشر الجيد مما ترسله .

جواب الشرط

(يافا . فلسطين) عزت الجبالى ـ قرأت لأديب معروف لدى الجميع ، وممن تناولوا بعض نواحى من شعر « شوقى » بالنقد والتحليل فى إحدى المجلات الشهرية ... نقداً لبيت أمير الشعراء وهو :

إن رأتنى تميل عنى كأن لم ـ يك بينى وبينها أشياء

فقال : « فى البيت خطأ نحوى ، لأن تميل جواب الشرط ، فيجب أن تكون مجزومة » ، فقل لنا رأيك فى هذا ياصاحب « المعرفة » ، فقد قرأنا لك مقالاً عن « شوقى » عرفنا منه مبلغ تقديرك للرجل وصلتك به .

(المعرفة) هذا نقد لا محل له من الاعراب ، فقد قال ابن عقيل فى شرح الألفية عند كلامه فى باب الجوازم : إن الشرط إذا كان فعلاً ماضياً والجواب مضارعاً صح الجزم والرفع ، وكلاهما حسن » .

فليطمئن حضرة السائل ، فإن ابن عقيل أصدق وأعلم بعلم النحو من الناقد على الأقل .

عتاب فى سبيل الزواج

(اللاذقية ـ سوريا) أحد خدام الدين ـ لصاحب « المعرفة » فى نفوس الشرقيين والعرب وعلماء الاستشراق منزلة يحسده عليها كثيرون . وأقسم بحق محمد أننا هنا فى اللاذقية نأخذ ما يقوله مؤمنين مصدقين ، لذلك دهشنا جداً لهذه الكبوة التى كباها فى الجزء الماضى عند رده على السؤال الخاص بالزواج ، فقد كان لايرى للسائل أن يتزوج ، مع الملاحظة بأن السائل قد دل عليه سؤاله ، أى أنه رجل لا ينقصه شىء سوى استكمال نصف دينه الآخر . فهل هذا يجوز من صاحب « المعرفة » وهو من أعلام العروبة ؟ ثم لماذا لم يتزوج ؟ هل هو من الداعين إلى الإضراب عن الزواج ؟ أنبئنا بالخبر اليقين ، ثبت الله دينك .

(المعرفه) ياخادم الدين ، بل ياحريصاً غيوراً عليه ، لك شكرى على حسن ظنك بى ، وتقديرى لغيرتك الدينية وغضبتك المضرية ، واعتذارى من قبول مانعتنى به من منزلة « أخجلت تواضعى » . والآن تعال معى إلى كلمة سواء :

أنالم أنكر فضل الزواج ولا وجوبه ؛ بل أنا من أول الداعين إليه ، والحاثين عليه ؛ وكل مافى المسألة أننى لم أتزوج ، فلم أعرف ما إذا كانت حالة الطالب فى الزواج تعود عليه بالخير أم بغيره ، فاضطررت إلى عرض سؤاله على فئة من أصدقائنا المتزوجين، وكلهم له قيمته العلمية والدينية والاجتماعية، فأفتوا بالرأى الذى نشرناه ، ولكننى احتطت فقلت فى آخر الجواب ما يلى: « توكل على الله وتزوج ـ نزولا على حكم الأغلبيه ـ ولا تحملنى مسئولية ذلك فى المستقبل، لأنك سألتنى ما ليس لى به علم » .

فأى كبوة كبوتها فى هذا ؟ ألم تقرأ قول القائل: «من قال لا أدرى فقد أفتى بما يدرى » ؟ فياسيدى ياخادم الدين! عد إلى ما كتبته فى ذلك الشأن وتدبره جيداً ، فلن ترنى إلا متشرفاً معك بخدمة الدين أيضاً ،دون أن أتستر كما تسترت، ولكل وجهة هو موليها .

أما لماذا لم أتزوج ، فعلى الرغم من أن هذا شىء خاص ، لايحق لإنسان أن يسألنى عنه، إلا أنه نظراً لإخلاصك وغيرتك الدينية ، أصارحك القول بأنى أرجىء زواجى حتى أبلغ سناً معينة ، وأوفق لوقت ملائم يكون الاختيار فيه موفقاً سديداً،وليس فى هذا معنى تفضيل العزوبة على الزواج على طول الخط .فهل اقتنعت ياسيدى ؟ أم ماتزال مصراً على رأيك ؟ أرجو أن تكون اقتنعت،وإلا ذكرتنى بقول المعرى :

فى اللاذقية فتنة مابين أحمد والمسيح
هذا بناقوس يدق وذا بمئذنة يصيح
كل يعزز دينه ياليت شعرى ما الصحيح؟

***

صور بعض الكتاب

نرجو صاحب هذا السؤال أن يحضر إلى الإدارة، أو يكتب إلينا موضحاً عنوانه لنرد على سؤاله .

مجموعات المعرفة

ترسل الإدارة ـ إلى من يطلب ـ مجموعة السنة الأولى بثمن قدره ٥٠ قرشاً مصرياً لمصر والسودان و ٧٠ قرشا للخارج. أما السنة الثانية فثمنها ٤٠ و ٦٠ قرشاً . ولا حق للطالب فى الهدايا مطلقا ، إذ هى وقف على المشتركين .

كذلك ترسل الإدارة الأعداد الناقصة التى يطلبها راغبوها ، نظير ٤ قروش للعدد الواحد ، عدا العدد الأول ، فثمنه ١٠ قروش مصرية.

ويجب أن ترسل القيمة مقدماً : أذونات أو طوابع بريد ، أو حوالة على أحد المصارف المالية الموجود لها فرع بالقاهرة.ولا تدخل فى هذا مصاريف التجليد .

عنوان المجلة (٤ شارع عبد العزيز بالقاهرة)